

تأليف

الدكتور / محمود عمر هاشم

أستاذ ورئيس قسم الحديث وعلومه بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

وعميد الكلية

جامعة الأزهر . الزقازيق

٢٠٠٠ — ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :-

فللسنة النبوية مكانتها فى الإسلام ، ولدراستها أهمية بالغة ودقيقة. فكان لابد للباحث فى السنة من التعرف على مناهج المدونات الحديثية ، والمصنفات الأصيلة التى صنفها أئمة الحديث ، فقد شمر العلماء عن ساعد الجد من لدن الصحابة فى جمع الأحاديث والسنن وحفظها وتبليغها للناس ، وقد انقطع إلى هذا العمل الجليل أئمة لا يشق لهم غبار فى فقه الحديث ، ونقدها ومعرفة صحيحها من معلولها ، وجيدها من زائفها ـ معرفة أوفت على الغاية ، وما زالوا يرحلون ويحفظون ويكتبون ، ويتحرون الصدق والحق ، حتى تركوا لنا فى باب الرواية موسوعات ضخمة ، وثروة طائلة فى هذا العلم النبوى الشريف ، يجد فيها المسلم والباحث عن الحقيقة مايشاء من دين ودنيا ، وعقيدة وتشريع ، وأخلاق وآداب ، ومواعظ وزواجر ، وقصص وتواريخ ، وحكمة واجتماع ، وبلاغة وفصاحة .

وكيف استطاع سلفنا بمقاييسهم الدقيقة ، وموازين النقد العلمى أن يتعرفوا على الرواة أهل الثقة وعلى غيرهم ؟ وعلى تمييز صحيح الأخبار من سقيمها ؟

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منى هذا العمل المتواضع ، وأن يرزقنى التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المؤلف

الدكتور / محمود عمر هاشم

« مكانة السنة في الإسلام »

للسنة النبوية الشريفة مكانتها فى الإسلام ، فهى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم فهى المفسرة لمبهمه ، المفصلة لمجمله ، المقيدة لمطلقه ، المخصصة لعامه ، الشارحة لأحكامه ، قال الله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ (١) كما أتت السنة ـ كذلك ـ بأحكام لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح عليها ـ كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير وتحليل ميتة البحر .

وكل ما جاء فى السنة النبوية على لسان الرسول ﷺ إنما يتبع فيه ما يوحى إليه ، قال الله تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب و لا أقول لكم إنى ملك ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى** ﴾ (٢)

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه حين يبين للناس ما نزل إليهم لا يصدر فى بيانه من تلقاء نفسه وإنما يتبع ما يوحى إليه .

ولهذا جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ طاعة له ، وأوجب على المسلمين اتباع بيانه فيما يأمر وينهى قال تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ (٣) وقد اصطفى الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ، ليبلغ الرسالة الإلهية ، ويتلو على الناس آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وأعده الله إعدادا كاملا ، وأحاطه بعنايته وكلأه برعايته وعصمه من الناس وعلمه ما لم يكن يعلم ، قال تعالى : ﴿ **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك**

---

(١) سورة النحل : آية ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام : آية ٥٠ .

(٣) سورة النساء : آية ٨٠ .

طرق التخريج

الطريقة الأولى : فى تخريج الحديث عن طريق راوى الحديث الصحابة .

هذه الطريقة نلجأ إليها عندما يكون اسم الصحابى موجودا فى الحديث الذى تريد تخريجه ، فإذا كان موجودا فعلينا أن نستعين بثلاثة أنواع من المصنفات وهى :ـ

١) المسانيد .
٢) المعاجم .
٣) كتب الأطراف .

١) المسانيد

أما المسانيد فهى الكتب الحديثية التى صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة ، أى أنهم جمعوا أحاديث كل صحابى على حدة .

والمسانيد التى صنفها الأئمة كثيرة تبلغ حوالى مائة مسند وقد ذكر الكتانى فى « الرسالة المستطرفة » اثنين وثمانين مسندا منها ، ثم قال : « والمسانيد كثيرة سوى ما ذكرناه » [١] .

والمسند رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم ، ومن أشهر المسانيد :

١) مسند أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) .
٢) مسند أبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدى (٢١٩هـ) .
٣) مسند أبى داود سليمان بن داود الطيالسى (٢٠٤هـ) .
٤) مسند أسد بن موسى الأموى (٢١٢ هـ) .

(١) الرسالة المستطرفة (ص ٧٤) .

وقد اتفق العلماء الثقات على حجية السنة سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال قال الإمام الشوكاني : إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف فى هذا إلا من لاحظ له فى الإسلام [1] .

وصدق الشوكانى فإنه لم يخالف فى هذا إلا شرذمة من الخوارج والرافض لا يقام لهم وزن فى معيار البحث العلمى السليم .

وقد استفاض القرآن الكريم والسنة الصحيحة بحجة كل ما ثبت عن الرسول فمن ذلك : قول الله سبحانه : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [2] .

وقوله جل شأنه : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [3]

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [4] .

أما الأحاديث فكثيرة منها ما رواه الإمام أبو داود فى سننه بسنده عن المقدام ابن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : « ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه » .

فالمراد بقوله : (ومثله معه) هى الأحاديث والسنن .

---

(١) إرشاد الفحول للشوكانى : صـ ٢٩ . (٢) سورة الحشر : آية ٧ .
(٣) سورة النساء : آية ٨٠ (٤) سورة النور : آية ٦٣ .

وقد دل الحديث على معجزة للنبي ﷺ ، فقد ظهرت فئة في القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة وهي الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث ، وغرضهم هدم نصف الدين ، أو إن شئت فقل : تقويض الدين كله ، لأنه إذا أهملت الأحاديث فسيؤدي ذلك ـ ولا ريب ـ إلى استعجام معظم القرآن على الأمة ، وعدم معرفة المراد منه

وقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إذا عرض لهم أمر طلبوا حكمه في كتاب الله .

فإن لم يجدوه طلبوه في السنة .

فإن لم يجدوه اجتهدوا في حدود القرآن والسنة وأصولها .

وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أصل في هذا فقد قال له النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن : بم تقضي إذا عرض لك قضاء ؟

قال بكتاب الله . قال : فإن لم تجد قال : بسنة رسول الله قال : فإن لم تجد قال : أجتهد رأيي ولا آلو ـ أي أقصر .

فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله » .

أما الحديث الذي يرويه القائلون بعدم حجية السنة عند الاستقلال وهو : « إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه ، وما خالف فاتركوه » فقد بين أئمة الحديث ونقاده أنه موضوع ، وضعته الزنادقة كي يصلوا إلى غرضهم في تقويض دعامة من دعائم الدين ، وقد دلل على بطلان هذا الحديث المزعوم بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا في كتاب الله ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ووجدنا فيه ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ووجدنا فيه : ﴿ من يطع

الرسول فقد أطاع الله » [1]

ومن الأدلة التي يتحججون بها قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فلو كان القرآن في غنى عن السنة لما كان لهذه الآية معنى ونحن إذ نتمسك بالسنة ونعمل بما جاء فيها إنما نعمل بكتاب الله ، وقيل لمطرف بن عبد الله بن الشخير لاتحدثونا إلا بالقرآن ، فقال والله ما نبغى بالقرآن بدلاً ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن ، وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد فقالت يا أبا عبد الرحمن بلغنى أنك لعنت كيت وكيت . فقال ومالى لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله . فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته فقال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه . أما قرأت « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » قالت بلى . قال فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ وروى أن طاوسا كان يصلى ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس اتركهما فقال : إنما نهى عنهما أن تتخذ سنة فقال ابن عباس قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد صلاة العصر فلا أدرى أتعذب عليهما أم تؤجر لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [2] وعن عمران بن حصين أنه قال لرجل « إنك امرؤ أحمق أتجد فى كتاب الله الظهر أربعا لايجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ، ثم قال أتجد ذلك فى كتاب الله مفسرا . إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك » [3]

(١) إرشاد الفحول صـ ٢٩ .
(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٦ .
(٣) الحديث والمحدثون للدكتور / محمد محمد أبو زهو صـ ١١ ، ١٢ .

« كتابة السنة فى العهد النبوى »

تلقف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، سنة رسول الله ﷺ ، فحفظوها وفهموها وعملوا بها وطبقوها هذا إلى جانب موقفهم العظيم من كتاب الله تعالى حفظا وفهما وتطبيقا . وقد كانوا فى أول العهد لا يكتب الحديث منهم إلا القليل ، مخافة اختلاط القرآن بالسنة .

بل وردت بعض الأحاديث تنهى عن الكتابة من ذلك مارواه أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » [1] وهذا النهى عن كتابة الحديث لا يتعارض مع ما ثبت من كتابة البعض فى ذلك العهد إذ أن النهى كان فى بدء الدعوة خشية أن يختلط الحديث بالقرآن فيلتبس على بعض الناس أو أن النهى كان فى حق من يوثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة .

وأما من لا يوثق بحفظه ، فقد أذن له بالكتابة ، كما حدث لأبى شاه ، وهو من أهل اليمن ، فحين سمع خطبة الرسول ﷺ قال : اكتب لى يارسول الله فقال اكتبوا لأبى شاه .[2]

وأيضا فإن النهى وإن كان عاما إلا أنه قد سمح بالكتابة لمن كان كاتبا مجيدا لا يلتبس عليه الحال بين السنة والكتاب كعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، يقول أبو هريرة رضى الله عنه : « ما من أصحاب النبى ﷺ أحد أكثر حديثا عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » [3]

ومن فائدة النهى عن كتابة الحديث فى بادىء الأمر ، اتساع المجال أمام القرآن الكريم حتى يأخذ مكانه فى الكتابة ويثبت فى صدور الحفاظ .

---

(1) رواه مسلم . (2) رواه أحمد . (3) رواه البخارى .

كان النبي ﷺ وظيفته التبليغ والبيان ، ولم يكن للنبي ﷺ مدرسة مشيدة ولا معهد للتعليم يجلس فيه أصحابه بل كانت مجالسه العلمية كيفما اتفق فهو في الجيش معلم وواعظ يلهب القلوب بوعظه ويحمس الجنود بقوله وهو في السفر مرشد وهاد وهو في البيت يعلم أهله . وهو في المسجد مدرس وخطيب وقاض ومفت ، وهو في الطريق يستوقفه أضعف الناس ليسأله عن أمر دينه فيقف وهو على كل أحواله مرشد وناصح ومعلم إلا أنه كثيرا ما كان يعقد لأصحابه المجالس العلمية بالمسجد حيث يجتمعون فيه في أغلب الأوقات لأداء فريضة الصلاة فكان يتخولهم بالموعظة تلو الدرس حتى لا يملوا ويسأموا ، روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا » وفي هذه المجالس كان ﷺ يفيض على أصحابه من الكلم الطيب والعلم النافع والهدي الرشيد ما يشرح صدورهم ويفعم قلوبهم ، وكانوا يحضرون أولادهم مجالس الرسول ﷺ لسماع حديثه والتأدب بآدابه وكان عليه السلام كثيرا ما يستفتى فيفتي أو يسأل فيجيب أو تقع أمامه الحادثة فيكشف عن حكم الله فيها أو تنزل عليه الآية من القرآن فيفصح عن مراد الله منها أو يقع من بعض الصحابة عمل لم يكن يعرف حكمه فيسكت إيذانا منه بأنه جائز في الدين .

ولا تظن أن رسول الله ﷺ كان ملكا محجوبا عن رعيته أو سلطانا مترفعا عن الاختلاط بأفراد أمته ، بل كان على عكس ذلك متقلبا بين ظهرانيهم يبلغ رسالة ربه ويعود مرضاهم ويشيع موتاهم ويفصل في قضاياهم ويفض منازعاتهم ويقضي على اختلافاتهم وهم في كل ذلك مقبلون عليه بآذان صاغية وقلوب واعية .

هذا ولم تكن الصحابة رضي الله عنهم في حضور مجالسه العلمية سواء

بل كان منهم من يلازمه ولا يتخلف عنه في الحضر ولا في السفر كما كان من أبي بكر وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وكان منهم من يتخلف عنه في بعض الأوقات لقضاء مصالحه المعيشية كزراعة أو تجارة أو نحوها أو الخروج في سرية إلى غير ذلك ومع ذلك فكانوا حريصين على مافاتهم من دروس النبي ﷺ فإذا ما حضروا سألوا واستفسروا وكان من الصحابة من يشتد به الحرص على حديث رسول الله ﷺ فيتناوب حضور مجالسه مع جار له يحضر هذا يوما وهذا يوما ثم يخبر كل منهما صاحبه عما سمعه في يومه كما جاء ذلك في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه كان هو وجار له من الأنصار يتناوبان مجالس رسول الله ﷺ ويخبر كل منهما صاحبه بما رآه أو سمعه .

علم النبي ﷺ أن أصحابه سيخلفونه من بعده وسيقع على كاهلهم أمر الإرشاد والتعليم فأتى في دروسه التعليمية بأمور كان لها أكبر الأثر في توجيه الصحابة وتعليمهم كيف يضطلعون بمهمة التعليم فيما بعد ولنذكر لك أمثلة من هديه التعليمي الذي كان منارا احتذى به أصحابه رضي الله عنهم .

كان من هديه التعليمي عليه السلام أنه إذا سئل عما لايعلم يسكت منتظرا الوحي من الله بذلك . وكان من هديه ﷺ أنه إذا قال كلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وكان من هديه عليه السلام أنه ربما طرح المسألة على أصحابه ليختبر ماعندهم من العلم وليشحذ أذهانهم للفهم . وكان إذا سئل عن مسألة فأجاب عنها فإنه قد يفيض في مسائل أخرى لها مناسبة بالمقام أو صلة بالجواب تشير إليها ليفيد السائل والحاضرين علما جديدا وكان يتخولهم بالموعظة كراهة الملل حتى أن أصحاب ابن مسعود طلبوا منه أن يحدثهم كل يوم فأبى وقال إنما نتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا كراهة السآمة علينا ، وكان ﷺ يختص بعض أصحابه بالعلم دون بعض مخافة ألا يفهموا فيفتتنوا ، إلى غير ذلك من الأمثلة التي إذا تتبعناها في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كيفية المراجعة فيه :

إذا أردت الاستخراج منه ، فتأمل فى معنى الحديث الذى تريده ، فى أى شئ هو ؟ ثم تأمل الحديث الذى عنه رواية ذلك الحديث فقد يكون فى السند عن عمر أو أنس ، مثلا ، والرواية عن صحابى آخر مذكور فى ذلك الحديث ، فصحح الصحابى المروى عنه ، ثم اكشف عنه فى محله تجده ، إن شاء الله تعالى .

أهم المراجع التى تنتهج هذه الطريقة

١) مفتاح « المنهل العذب المورود شرح سنن أبى داود » للأستاذ مصطفى بن بيومى .
٢) هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى للشيخ عبد الرحيم بن عنبر الطهطاوى .
٣) فهارس البخارى للأستاذ رضوان محمد رضوان .
٤) فهرس « صحيح مسلم وهو الجزء الخامس لطبعة عيسى الحلبى للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .
٥) فهرس سنن أبى داود « وهو بآخر الجزء الخامس » للأستاذ عبد المهيمن الطحان .
٦) مفتاح سنن ابن ماجه وهو بآخر الجزء الثانى للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى
٧) مفتاح « الموطأ للإمام مالك برواية يحيى بن يحيى » وهو بآخر الجزء الثانى للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .
٨) مفتاح الترتيب لأحاديث تاريخ الخطيب للأستاذ أحمد بن مح[illegible] الصديق الغمارى .
٩) البغية فى ترتيب أحاديث الحلية [illegible] ذ عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغمارى .

عليها من غيرهن ولا سيما الأفعال التى تقع بين النبى ﷺ وأزواجه مما لا يمكن لأحد الاطلاع عليها والوقوف على أحكامها [1]

« الرحلة في سبيل العلم والحديث »

لقد تناثرت الأحاديث فى الأمصار تبعا لتفرق الصحابة فى البلدان والأحاديث لا غنى عنها فى فهم القرآن والتفقه فى أحكام الدين نعم جمع القرآن الكريم على عهد عثمان رضى الله عنه ووزعت المصاحف على الأقطار وحفظه المسلمون ولا يختلفون فيه . أما السنة التى هى بيان الكتاب فلم تكتب لا فى عهد النبى ﷺ ولا فى عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية القرن الأول لأسباب فكان مما يتميز به أئمة العلم في الإسلام ولا سيما أئمة الحديث كثرة الارتحال وملازمة الأسفار ، وقد جروا فى ذلك على سنن الصحابة والتابعين لقد كان الواحد منهم يبلغه الحديث بطريق الثقات فلا يكتفى بهذا بل يرحل الأيام والشهر والشهور حتى يأخذ الحديث عمن رواه بلا واسطة .

وقد ثبت فى صحيح البخارى أن جابر بن عبد الله الأنصارى الصحابى رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس وهو بالشام فى سبيل حديث كما رحل إلى مسلمة بن مخلد فى سبيل حديث أيضا وكان مسلمة أميرا على مصر ورحل الصحابى الجليل ابو أيوب الأنصارى إلى عقبة بن عامر الجهنى بسبب سماع حديث رواه أحمد بسند منقطع ، وروى أبو داود فى سننه من طريق عبد الله بن بريدة أن رجلا من الصحابة رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر فى حديث [2] .

---

(١) الحديث والمحدثون ٥٠ – ٥٧

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٤١/١ ، ١٤٢

وعلى هذا الدرب الواضح سار التابعون ومن جاء بعدهم من أئمة العلم والحديث ؛ روى الخطيب البغدادى عن عبيد الله بن عدى قال : بلغنى حديث عند علىّ فخفت إن مات أن لا أجده عند غيره ، فرحلت حتى قدمت عليه العراق ، وروى الإمام مالك عن يحى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأرحل الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد ، وأخرج الخطيب عن أبى العالية قال : كنا نسمع عن أصحاب رسول ﷺ فلا نرضى حتى خرجنا إليهم فسمعنا منهم .

وقال الشعبى فى مسألة أفتى فيها : أعطيتكها بغير شئ كان يرحل فيها دونها إلى المدينة ، وروى الدارمى بسند صحيح عن بسر بن عبيد الله قال : إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار فى الحديث الواحد ، وقال أبو قلابة : لقد أقمت بالمدينة ثلاثة أيام مالى حاجة إلا رجل يقدم عنده حديث فأسمعه .

وقيل للإمام أحمد : رجل يطلب العلم يلزم رجلا عنده علم كثير أو يرحل ؟ قال : يرحل يكتب عن علماء الأمصار .

وذكر الإمام الذهبى فى تذكرته عن أبى حاتم الرازى قال : أول ما دخلت أقمت سبع سنين ، ومشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ ، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيا ، ثم إلى الرملة ماشيا ، ثم إلى طرسوس ولى عشرون سنة ، وما أبو حاتم إلا واحد من آلاف من أئمة الحديث الذين ارتحلوا وتحملوا المشاق فى سبيل التثبت من الأحاديث والتحرى عن الرواة ويأتى فى الرعيل الأول منهم : الأئمة : البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وإن منهم من لم يذق طعم الراحة والاستقرار طيلة حياته.[1]

---

(1) فى رحاب السنة للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

« أثر الرحلة في شيوع رواية الحديث وتعدد طرقه »

تفرق علماء الصحابة فى البلدان ينشرون الحديث ويروون السنن ولتفاوت فى حفظ الحديث قليله وكثيره نشطت الرحلة ونزح العلماء من قطر الى قطر فى جمع الحديث وتبع اتساع الفتوح تجدد الحوادث والأقضية فأبرز العلماء من الصحابة ما عندهم من أحكام رسول ﷺ وقضايا الخليفتين من بعده ، فكان طبيعيا أن يترتب على كل ذلك شيوع رواية الحديث بين العلماء فى الأقطار المختلفة فبعد أن كان المصرى مثلا يتحمل الحديث عن معاذ بن جبل وأبى الدرداء وأبى موسى وابن عباس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهكذا وبعد أن كان الحديث يقع للراوى من طريق واحد أصبح يرويه من طرق عديدة ، وبعد أن كانت بعض البلدان أكثر حظا بالحديث وحملته كالمدينة مثلا أصبحت البلدان كلها تتمتع برواية الحديث وتعمل به فى أحكامها وقضاياها وعباداتها ومعاملاتها وكل ذلك بفضل ارتحال علماء الأقطار من بلد إلى بلد فى طلب الحديث وتلقيه حتى رأينا الصحابى يترح من المدينة التى هى مهبط الوحى وملاذ الحديث إلى مصر فى طلب حديث سمعه زميله من النبى ﷺ .

« ظهور الكذب في الحديث ومنافحة العلماء للكذابين »

كان للإسلام أعداء واقفين له بالمرصاد فمن الوقت الذى وقعت فيه الفتنة بين المسلمين بقتل الخليفة الثالث أولا وبافتراقهم الى شيعة وخوارج وجمهور ثانيا وجد أعداء الإسلام من الفرس وغيرهم ستارا يحجبهم فعملوا فى الخفاء ودسوا الأكاذيب ، ولما شاعت رواية الحديث واتسعت الأقطار وجد هؤلاء الكائدون جوا صالحا لبث سمومهم والقاء أكاذيبهم فى طول البلاد وعرضها ، كان الصحابة فى الدور الأول زمن الخلافة الراشدة لا ... المدينة إلا لحاجة ماسة وكانوا مشغولين بالحروب وكانت المدينة هى

عن المصطفى الرسول ، وكان أبو بكر وعمر قد حثا الناس بالحزم وأمراهم بإقلال الرواية حتى لا تشيع فيتخذها الجهال والمنافقون ذريعة للكذب وإلقاء بذور الشر والفساد وقد نجحت تلك التجربة أيما نجاح وكفى الله السنة شر الكذابين ، ولما انقضى عهد الخلافة الراشدة وانشق المسلمون بعضهم على بعض ظهر الكذابون والمنافقون من أهل الملل الأخرى الذين لم يتجاوز الإيمان حناجرهم .

أخذ هؤلاء الكذابون يأتون بالعظائم مما لم يأذن به الله ولا رسوله . فهذا جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى أبو عبد الله الكوفى الرافضى المتوفى سنة ١٢٧ هـ يقول عندى خمسون ألف حديث ما حدثت منها بشيء ويقول فيه سفيان سمعت جابرا يحدث بنحو ثلاثين ألف حديث ما أستحل أن أذكر منها شيئا وإن كان لى كذا وكذا وروى الحميدى عن سفيان قال سمعت رجلا سأل جابرا عن قوله عز وجل ﴿ لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين [1] ﴾ فقال جابر لم يجيء تأويل هذه الآية. قال سفيان وكذب فقلنا وما أراد بها قال : إن الرافضة تقول: إن عليا فى السحاب فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادى مناد من السماء - يريد أن عليا ينادى - اخرجوا مع فلان يقول جابر : فهذا تأويل هذه الآية وكذب ، كانت فى إخوة يوسف .

ولكن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أخذوا على هؤلاء الوضاعين المسالك وشردوا بهم من خلفهم . قال الشعبى رضى الله عنه ، حدثنى الحارث الأعور وكان كذابا . هذا وهناك صنف من الوضاعين كان شرا مستطيرا على الحديث ألا وهم القصاص الذى يستهوون العامة بالمناكير ويأخذون عليهم قلوبهم برواية الغرائب التى لا أصل لها وقد وجد منهم فى هذا الدور خلق كثير . فهذا هو الشعبى التابعى العظيم أحد أعيان المائة الأولى للهجرة يقول : بينما عبد الملك بن مروان جالس وعنده وجوه الناس

---

(١) سورة يوسف آية ٨٠

من أهل الشام قال لهم : من أعلم أهل العراق قالوا ما نعلم أحدا أعلم من عامر الشعبي فأمر بالكتاب إلي فخرجت إليه حتى نزلت تدمر ، فوافقت يوم جمعة فدخلت أصلي في المسجد فإذا إلى جانبي شيخ عظيم اللحية قد أطاف به قوم فحدثهم قال حدثني فلان عن فلان يبلغ به النبي ﷺ : أن الله تعالى خلق صورين في كل صور نفختان نفخة الصعق ونفخة القيامة قال الشعبي فلم أضبط نفسي أن حففت صلاتي ثم انصرفت فقلت ياشيخ اتق الله ولا تحدثنا بالخطأ إن الله تعالى لم يخلق إلا صورا واحدا وإنما هي نفختان نفخة الصعق ونفخة القيامة فقال لي يافاجر إنما يحدثني فلان عن فلان وترد علي ثم رفع نعله وضربني بها وتتابع القوم علي ضربا معه فو الله ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم أن الله تعالى خلق ثلاثين صورا في كل صور نفخة فأقلعوا عني فرحلت حتى دخلت دمشق ودخلت على عبد الملك فسلمت عليه فقال لي يا شعبي : بالله حدثني بأعجب شيء رأيته في سفرك فحدثته حديث المتقدمين فضحك حتى ضرب برجليه ذكره السيوطي في تحذير الخواص ص (٥١ ، ٥٢ .

فانظر إلى أي حد بلغ الكذب على رسول الله ﷺ في ذلك العصر وانظر إلى استماع العامة للأكاذيب وتعلقهم بها حتى أنهم إذا نصحوا ثاروا على الناصح فأهانوه وضربوه . فمن ذلك نأخذ أن مهمة المحدثين في هذا الوقت كانت من أشق ما يكون فقد أفسد القصاص والزنادقة قلوب العامة وحشوها بالخرافات. وهذا ابن عمر يزجر القاص ويأمره بالقيام من المسجد فلا يستمع لأمره حتى يستعين عليه بصاحب الشرطة فيبعث إليه شرطيا يخرجه إلى غير ذلك من الحوادث .

ومهما يكن من شيء فقد ضرب العلماء المسلمون ولا سيما المحدثون في باب الارتحال في سبيل المعرفة والبحث عن الحقيقة - على ما كانوا عليه من قلة الأزنة وعسر وسائل السفرآنئذ - مثلاً عليا تؤكد لهم السبق في هذا

المضمار وتجعلهم فى عداد العلماء الخالدين .

« مميزات الرواية في الإسلام »

الرواية وإن كانت قديمة ومعروفة قبل الإسلام إلا أن الرواة قبل الإسلام من العرب وغيرهم ما كانوا يهتمون بتصحيح الأخبار والتحرى عن رواتها ، والبحث عن صدقها ، ومطابقتها للحق والواقع ولم يكن عندهم من صنعة النقد والجرح والتعديل وتمحيص المرويات مثل ما كان للرواية بعد الإسلام ، وذلك لأن مروياتهم لم يكن لها من القداسة والتقدير للمرويات الإسلامية ، فمن ثم لم يدققوا فيها ولذلك نجد أغلبها أساطير وأحاديث خرافة يقصد بها إشباع الرغبة أو التسلية أو بث روح الإقدام والشجاعة ، واستنهاض الهمم وإثارتها للحروب .

أما الرواة المسلمون فهم يعلمون حق العلم أن مرجع الأحكام الشرعية والحلال والحرام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويعلمون أن التساهل فى زيادة شيء من الدين كالتساهل فى نقص شيء منه .

والقرآن ثابت بالتواتر المفيد للقطع واليقين ، فلا مجال الشك فيه فكان لابد لهم من التأكد من صحة نسبة الأحاديث والسنن إلى رسول الله ﷺ فمن ثم شددوا فى الرواية ووضعوا لها شروطا وأصولا وقواعد هى أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد قديما وحديثا ، فهذا القدر وهو الاعتناء بتصحيح الأخبار والتثبت منها ونقدها من جهة السند والمتن نقدا علميا صحيحا هو الذى اختصت به الرواية الإسلامية وحدها .

قال العلامة ابن حزم – رحمه الله – فى كتابه الفصل فى الملل والنحل ما خلاصته أن نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الأمم .

وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ، ولكنهم لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أزيد من ثلاثين عصرا في أزيد من ألف وخمسمائة عام وإنما يبلغون بالنقل إلى شمعون ونحوه .

وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط على أن مخرجه من كذاب قد ثبت كذبه.

وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى ، وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلا ولا إلى تابع له ، ولا يمكن للنصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولس [1]

« البعوث والوفود وأثرها في انتشار الحديث النبوي »

١- بعوثه ﷺ وأثرها في نشر الحديث : بدأت الدعوة المحمدية سرا واستمرت على ذلك ثلاث سنين ثم أمر الله نبيه بأن يجهر بها بعد أن تكونت نواة صالحة من المسلمين . فما كان من قريش إلا أن ناصبوه العداء واستمر الأمر على ذلك حينا من الزمان حتى دخل الإسلام كثير من أهل المدينة فأمر الله نبيه بالهجرة إليها فانتقل إليها مع أصحابه وأصبحت المدينة من ذلك الوقت مهبط الوحي وقاعدة الإسلام غزا منها النبي ﷺ أعداء الدين وحدث بها أكثر حديثه إلا أن القتال كان حائلا دون دخول كثير من القبائل في الإسلام كما كان مانعا من وصول الدعوة إلى أطراف الجزيرة فما أن وقع صلح الحديبية بين النبي ﷺ وأهل مكة حتى أمن الناس بعضهم بعضا وجالس بعضهم بعضا وتحدثوا في شأن هذا الدين الجديد وفي ظل هذه الهدنة المباركة دخل كثير من العرب في الإسلام فانتهز النبي ﷺ هذه

---

(١) انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٢١٥ ، الباعث الحثيث إلى علوم الحديث ص ١٨٩ - ١٩٠

الفرصة للتواصل وأرسل الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام وبعث البعوث إلى القبائل المتناثرة في أنحاء الجزيرة العربية فبعث إلى اليمن وإلى البحرين واليمامة وحضرموت وعمان وغير ذلك من بلاد العرب.

كانت البعوث رحلة تعليمية للعلماء الحاملين من القرآن والسنة [illegible] كانت البعوث عملا [illegible] في حديث النبي ﷺ [illegible] وقد كان النبي ﷺ يتخير لهذه المهمة من كان على جانب عظيم من العلم بالقرآن والسنة ويزودهم بتوجيهاته وإرشاداته الحكيمة ويعلمهم كيف يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك تأتي قوما أهل كتاب فقل: إن الله فرض عليكم [illegible] فإن هم أطاعوك لذلك فقل إن الله فرض عليكم الحج من استطاع إليه سبيلا فإن أطاعوك لذلك فقل إن الله فرض عليكم [illegible] .. الخ [illegible] أحكام [illegible] حديث النبي عليه الصلاة والسلام [illegible] البعوث [illegible].

٢ - [illegible] الوفود [illegible] الوفود تترى [illegible] وأكلما وحلما وفقهاء أكرمهم ﷺ وأرشدهم [illegible] بما لهم وما عليهم [illegible] الوفود [illegible] هذه السنة [illegible] النبي ﷺ [illegible] عن

أحكام الإسلام أصوله وفروعه وكان النبى ﷺ يتحدث إليهم فى كل ذلك ويجيبهم على أسئلتهم ويخطب فيهم ويرشدهم ويعلمهم ويوصيهم بتقوى الله والسمع والطاعة فمن هذه الوفود :-

١- وفد بني سعد بن بكر - وكان وافدهم إلى النبى ﷺ هو ضمام بن ثعلبة وفد على رسول الله سنة تسع من الهجرة ولما قدم المدينة وجد النبى ﷺ جالسا بين أصحابه ولا يعرفه . فقال أيكم ابن عبد المطلب ؟ فأشاروا إلى النبى ﷺ فدنا منه وقال إنى سائلك فمشدد عليك فى المسألة قال سل عما بدالك . فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال صدق . فقال أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك - قال اللهم نعم - قال فأنشدك بالله آلله أمرك أن تصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال فأنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم . قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال اللهم نعم قال فأنا قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ؛ ثم رجع ضمام إلى قومه فأسلموا جميعا

٢- وفد عبد القيس : لما قدموا على النبى ﷺ قالوا يارسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحى من مضر فأمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع . أمرهم بالإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم . قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت . وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم ، رواه البخارى فى كتاب الإيمان .

من هذا نرى أن الوفود كانت تقدم على رسول الله ﷺ لتنهل من معين العلم ولتتفقه في دين الله وتقف على أحكام الإسلام ثم يرجعون إلى أوطانهم يعلمون من وراءهم من قبائلهم وعشائرهم فيها الوفود إلى جانب البعوث التى كان يرسلها النبى ﷺ إلى القبائل والملوك كان لها أكبر الأثر فى نشر السنة النبوية فى أنحاء الجزيرة العربية .

« اشهر الصحف المدونة في العهد النبوي »

من أشهر الصحف التى دونت وكتبت فى العهد النبوى ، صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص ، ولهذه الصحيفة أهمية بالغة ، إذ أنها تعتبر من أهم الوثائق التاريخية للدلالة على كتابة الحديث بين يدى رسول الله ﷺ بإذنه فقد كان ابن عمرو أول من كتب الحديث بين يدى رسول الله ﷺ ويزيد من أهمية هذه الصحيفة ماذكره ابن الأثير فى « أسد الغابة » من أنها تضم ألف حديث ، وأن صاحبها متقدم الإسلام ، وقد توفر له من أسباب التحصيل وكثرة الرواية مالم يتوفر لغيره .

ولذا فقد جمع بين حفظ الحديث فى قلبه ، وكتابته فى الصحف ، يقول أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : « ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » رواه البخارى . ولكثرة ما حفظ عبد الله بن عمرو وما تحمل فقد كان الكثير من الصحابة رضى الله عنهم يحرصون على السماع منه والأخذ عنه قالت عائشة رضى الله عنها لعروة بن الزبير : يا ابن أختى بلغنى أن عبد الله بن عمرو ما رُّبنا إلى الحج فالقه فاسأله فإنه قد حمل عن النبى ﷺ علما كثيرا .

وترجع كتابة عبد الله بن عمرو للحديث إلى إذن رسول الله ﷺ له فى

الكتابة ، فقد كان يحسن الكتابة ولا يلتبس عليه شيء ، وفيما رواه ابن
ـد عن عبد الله بن عمرو أنه قال : استأذنت النبى ﷺ فى كتابة ما
ـمعت منه فأذن لى فكتبته فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك الصادقة
ـبب تسمية هذه الصحيفة بالصادقة ، أنه كتبها عن رسول الله ﷺ مباشرة
قال مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت
ـها فقال : « هذه الصادقة فيها ماسمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى
بينه فيها أحد » رواه ابن سعد وقد كان عبد الله يروى ويملى الحديث ،
ولم تتحدث المصادر عن المنهج الذى كان يسير عليه فى إملائه ، ولكن
المعروف عنه وعن غيره من الصحابة أنهم كانوا فى غاية التثبت لما يروون
سواء كان من الحفظ أم كان من الصحيفة الصادقة أم كان من غيرها
ومثل ذلك إملاؤهم .

ولكن عبد الله بن عمرو كان يعتز بالصحيفة ، لأنه أخذها وكتبها عن
رسول الله ﷺ ليس بينه وبين رسول الله ﷺ أحد ، وكان يقول : ما يرغبنى
فى الحياة إلا خصلتان : الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها
عن رسول الله ﷺ وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم
عليها .

وكان عبد الله بن عمرو يملى الأحاديث على تلاميذه ومن يتلقون عنه
السنة كما كان محافظا على صحيفته ، ويوليها أكبر العناية والصيانة خشية
الضياع ، وقد حفظ أهله من بعده هذه الصحيفة ، وكان حفيده عمرو بن
شعيب يحدث منها.

ومع كثرة ما تحمل عبد الله بن عمرو ، ومع أنه كان يكتب الحديث ،
وأبو هريرة لا يكتب مع هذا نرى أن ما رواه أبو هريرة أضعاف ماروا‌ه ابن

عمرو ، مع أن الذى كان من المنتظر والمحتمل أن يكون العكس .

هذه حقيقة ، ولكننا إذا عرفنا أن ابن عمرو كان اشتغاله بالعبادة أكثر من التعليم ، وأنه أقام بعد الفتوح فى مصر أو الطائف بينما كان أبو هريرة فى المدينة يتصدر للتحديث . هذا إلى جانب ما حظى به أبو هريرة من دعوة رسول الله ﷺ له ألا ينسى. إذا عرفنا هذا ، وقفنا على السبب فى كثرة مرويات أبى هريرة عن ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما .

وكان لجابر بن عبد الله الأنصارى صحيفة مشهورة ، وقد روى أبو الزبير وأبو سفيان والشعبى عن جابر ، وكان أكثر ما رووه من الصحيفة ، ويعتبر جابر بن عبد الله الأنصارى من الصحابة المكثرين من رواية الحديث ، وقد روى عن رسول الله ﷺ ولازمه فى كل غزواته وشهد رضى الله عنه عصر كبار الصحابة ، وأكثر من تحمل الحديث وروايته ، وكانت له حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه فيها من العلم ومن الأحاديث الشئ الكثير . وأتاحت له حياته التى امتدت به أربعة وستين عاما بعد الرسول ﷺ أن يكثر من تحمل الحديث وروايته حتى روى له ألف وخمسمائة وأربعون حديثا .

وكان لهمام بن منبه صحيفة ، كتبها عن أبى هريرة ورواها عن معمر ورواها الرواة عن معمر وأجلهم إمام أهل اليمن عبد الرزاق بن همام وأجل من رواها عنه إمام أهل السنة وأمير المؤمنين فى الحديث الإمام أحمد بن حنبل وساقها فى مسنده بإسناد واحد فى موضع واحد .

وتعتبر صحيفة همام من أوائل ما كتب من الحديث ، وقد كتبها همام عن أبى هريرة مباشرة فى حياته وأبو هريرة توفى سنة ثمان وخمسين وهمام ولد قبل سنة أربعين وفى هذا دلالة على تدوين السنة فى وقت متقدم ، فتدوين هذه الصحيفة قبل وفاة أبى هريرة ، وذلك فى النصف الأول من

القرن الأول وإنما كان لهذه الصحيفة أهميتها البالغة ، ومكانتها الخاصة فى تدوين السنة لأنها وصلت كاملة غير منقوصة ورواها همام ودونها عن أبي هريرة تامة ، ومما يؤكد الثقة بها أن جميع أحاديثها قد جاءت فى مسند الإمام أحمد بن حنبل وأن كثيرا منها فى الصحيحين والبعض ليس فى الصحيحين

« مدارس الحديث النبوي »

١ ـ مدرسة الحديث بالمدينة المنورة : كانت المدينة المنورة هى مهاجر النبى ﷺ وأصحابه وبها حدث النبى ﷺ أكثر حديثه لأن أكثر التشريع الإسلامى كان بها ، وكان المهاجرين يحبون المقام بها ويكرهون التحول عنها إلى مكة أو غيرها . وما زالت المدينة بعد وفاته ﷺ هى عاصمة الأمة الإسلامية ومركز الخلافة الراشدة ومقر كبار الصحابة . لذا كانت المدينة هى موطن الصحابة الأول ، الذى يفضلونه على غيره حيث يتبركون من بركة النبى ﷺ فى حياته وبعد وفاته وكانوا لا يبرحونها إلا لحاجة ملحة حكومية أو معاشية أو تعليمية .

روى ابن سعد فى الطبقات عن محمد بن عمر أنه قال لا نعلم أحدا من المهاجرين من أهل بدر رجع إلى مكة ـ يعنى بعد وفاة النبى ﷺ ـ فنزلها غير أبى سبرة فإنه رجع إلى مكة بعد وفاة النبى ﷺ فنزلها فكره ذلك له المسلمون وولده ينكرون ذلك ويدفعون أن يكون رجع إلى مكة فنزلها بعد أن هاجر منها .

وقد اشتهر بالمدينة من الصحابة الذين كانت لهم قدم فى الحديث والفقه عدد كبير منهم أبو بكر وعمر وعلى وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الله ابن عمر وأبى سعيد الخدرى وزيد بن ثابت الذى اشتهر بفهم الأحكام من

الكتاب والسنة والرأى السديد حتى إن عمر كان يستشيره بل يستأنس برأيه فيما يعرض له من القضايا .

هذا وقد تخرج على أيدى هؤلاء الأفاضل الفوج الأول من التابعين لهم بالمدينة ومن أشهر هؤلاء سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام وابن شهاب الزهرى وغيرهؤلاء من حفاظ السنة الذين كان إليهم المرجع فى الحديث والفتوى .

٢ ـ مدرسة الحديث بمكة المكرمة : لما فتح النبى ﷺ مكة خلف بها معاذ بن جبل يعلم أهلها الحلال والحرام ويفقههم فى الدين ويقرئهم القرآن الكريم ، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علما وحلما وسخاء شهد مع رسول ﷺ المشاهد كلها وكان يعد من أعلم الصحابة بالحلال والحرام ، وقد روى عنه ابن عباس وعمر وابنه وأخيرا تزعم دار الحديث بمكة عبد الله بن عباس بعد رجوعه من البصرة وإليه يرجع الفضل فيما كان لمكة من شهرة علمية فقد كان عبد الله من أوعية العلم وحفاظ الحديث ، وكان بها كثير من الصحابة غيره ذكر منهم الحاكم فى كتابه « معرفة علوم الحديث » جملة وافرة فمنهم عبد الله بن السائب المخزومى قارئ الصحابة بمكة وعتاب بن أسيد خليفة رسول الله ﷺ عليها وأخوه خالد بن أسيد والحكم بن أبى العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم .

وقد تخرج بهذه الدار على يد عبد الله بن عباس كثير من التابعين من أشهرهم مجاهد بن جبر وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبى رباح وغيرهم .

٣ ـ مدرسة الحديث بالكوفة : كانت الكوفة هى قاعدة الجيوش الإسلامية لذلك نزل بها عدد كبير من الصحابة زمن الفتوح وأكثرهم دفن

بها، منهم علي وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وخباب بن الأرت وسلمان الفارس وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وأبو موسى الأشعرى والبراء بن عازب والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير وأبو الطفيل وأبو جحيفة وكثير جدا غيرهم [١]

وقد كانت الزعامة في هذه الدار إلى عبد الله بن مسعود لكثرة علمه وطول مكثه بها فتخرج على يديه كثير من أصحابه من أشهرهم مسروق بن الأجدع الهمدانى وعبيدة بن عمرو السلمانى الذى قال فيه الشعبى : كان يوازى شريحا في القضاء . والأسود بن يزيد النخعى وشريح بن الحارث الكندى الذى استقضاه عمر على الكوفة ولم يزل قاضيا عليها حتى زمن الحجاج ثم استقال قبل موته بسنة وإبراهيم بن يزيد النخعى فقيه العراق وسعيد بن جبير وعامر بن شراحيل الشعبى علامة التابعين وكان إماما حافظا [٢]

٤ — مدرسة الحديث بالبصرة : زعيم هذه الدار هو أنس بن مالك رضى الله عنه وقد نزلها كثير من الصحابة غيره منهم ابن عباس — وكان واليا عليها من قبل على — وعتبة بن غزوان وعمران بن حصين وأبو هريرة وأبو برزة الأسلمى ومعقل بن يسار وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن الشخير وجارية بن قدامة وغيرهم [٣]

وقد تخرج بهذه الدار من التابعين أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى والحسن البصرى وأدرك خمسمائة من الصحابة ومحمد بن سيرين وأبو الشعثاء جابر بن زيد صاحب ابن عباس وقتادة بن دعامة السدوسى ومطرف ابن عبد الله بن الشخير وأبو بردة بن أبي موى وغيرهؤلاء كثير .

---

(١) علوم الحديث للحاكم ص ١٩١

(٢) [illegible] المؤمنين ١ — ٢٠

(٣) علوم الحديث للحاكم ص ١٩١

٥ - مدرسة الحديث بالشام : لما فتح المسلمون الشام دخل كثير من أهلها في الإسلام وقد اهتم الخلفاء بهذا القطر فأرسلوا إليه فضلاء الصحابة كمعاذ بن جبل الذى أخذ مكانة علمية فائقة فهو مبعوث النبى ﷺ إلى اليمن وهو خليفته على أهل مكة يعلمهم الحلال والحرام وهو مبعوث عمر إلى الشام ليفقههم فى دين الله : روى ابن سعد فى الطبقات عن أبى مسلم الخولانى قال : دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلا من أصحاب النبى ﷺ وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا ساكت لا يتكلم فإذا امترى القوم فى شئ أقبلوا عليه فسألوه فقلت لجليس لى من هذا؟ قال : معاذ بن جبل ويروى ابن سعد أيضا عن عمر بن الخطاب أنه قال حين خرج معاذ إلى الشام لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها فى الفقه وما كان يفتيهم به . ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبه لحاجة الناس إليه فأبى علىّ ، وقال : رجل أراد جهادا يريد الشهادة فلا أحبه فقلت والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه » .

ومن أشهر من قام بالتعليم فى هذا القطر أيضا عبادة بن الصامت الذى امتاز بجمع القرآن وكان أفقه الناس فى الدين شديدا فى الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم . أنكر على معاوية كثيرا من أموره ، ومنهم أبو الدرداء الأنصارى وكان معدودا من فقهاء الصحابة وحفاظ الحديث وقد أرسلهما عمر مع معاذ إلى الشام إجابة لطلب يزيد بن أبى سفيان فإنه كتب إلى عمر بن الخطاب : قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأرسل معاذا وعبادة وأبا الدرداء ذكر ذلك البخارى فى تاريخه ، كان هؤلاء هم حجر الزاوية فى الحركة العلمية ونشر السنة المحمدية فى ربوع تلك البلاد ، وقد أرسل عمر أيضا عبد الرحمن بن غنم للمهمة نفسها وكان يقال له صاحب معاذ لكثرة ملازمته له على أنه اختلف فى صحبته هذا وكثير من الصحابة غير هؤلاء انتشروا فى الشام هداة ومعلمين منهم شرحبيل

بن حسنة والفضل بن العباس بن عبد المطلب [illegible] مدفون بالأردن [illegible] وغيرهم كثير.

وقد تخرج على أيديهم أكثر من كبار التابعين [illegible] منهم أبو إدريس الخولاني [illegible] ومكحول [illegible] ورجاء بن حيوة الكندي [illegible] الفاضل..

٦- ملازمة [illegible] فقد تخرج كثير من أهلها [illegible] وأشهرهم عبد الله بن عمرو بن العاص [illegible] حديثا عن رسول الله ﷺ [illegible] يسمعه من رسول الله ﷺ [illegible] عندما ولاه [illegible] يحج [illegible] الأقوال.

وقد نزل [illegible] بمهمة التعليم [illegible] عقبة بن عامر الجهني وخارجة بن حذافة [illegible] وعبد الله بن الحارث [illegible] أنس الجهني [illegible] فبلغ عددهم [illegible] ذلك (١).

وتخرج على [illegible] مرثد بن عبد الله اليزني مفتي أهل مصر [illegible] الغفاري وعقبة بن عامر الجهني [illegible] يزيد بن أبي حبيب [illegible] عن

---

(١) [illegible] الإصابة [illegible] الأعلام ٣/٨٩

بعض الصحابة وأكثر روايته عن التابعين وهو بربري الأصل أبوه من أهلى دنقلة ولكنه نشأ بمصر .

هذه نبذة قصيرة عن معاهد العلم ودور الحديث فى أشهر الأمصار الإسلامية لذلك العهد تدلك على مكانة هؤلاء الصحابة وتابعيهم فى نشر رواية الحديث .

« ظهور الكذب في الحديث ومناهضة العلماء للكذابين »

إن للإسلام أعداء واقفين له بالمرصاد فمن الوقت الذى وقعت فيه الفتنة بين المسلمين بقتل الخليفة الثالث أولا وبافتراقهم إلى شيعة وخوارج وجمهور ثانيا وجد أعداء الإسلام من الفرس وغيرهم ستارا يحجبهم فعملوا فى الخفاء ودسوا الأكاذيب . ولما شاعت رواية الحديث واتسعت الأقطار وجد هؤلاء الكائدون جوا صالحا لبث سمومهم وإلقاء أكاذيبهم فى طول البلاد وعرضها . كان الصحابة فى الدور الأول زمن الخلافة الراشدة لا يبرحون المدينة إلا لحاجة ماسة وكانوا مشغولين بالحروب وكانت المدينة هى دار الحديث الوحيدة وكان أبو بكر وعمر قد أخذا الناس بالحزم وأمراهم بإقلال الرواية حتى لا تفشوا وتشيع فيتخذها الجهال والمنافقون ذريعة للكذب وإلقاء بذور الشر والفساد وقد نجحت تلك التجربة أيما نجاح وكفى الله الأمة شر الكذابين ولما انقضى عهد الخلافة الراشدة وانشق المسلمون بعضهم على بعض ظهر الكذابون والمنافقون من أهل الملل الأخرى الذين لم يتجاوز الإيمان حناجرهم .

أخذ هؤلاء الكذابون يأتون بالعظائم مما لم يأذن به الله ولا رسوله فهذا جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو عبد الله الكوفي الرافضي المتوفى سنة ١٢٧ هـ يقول عندى خمسون ألف حديث ما حدثت منها بشيء ، ويقول فيه سفيان سمعت جابرا يحدث بنحو ثلاثين ألف حديث ما استحل أن

أذكر منها شيئا وإن كان لي كذا وكذا . وروى الحميدي عن سفيان قال سمعت رجلا سأل جابرا عن قوله عز وجل ﴿ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ﴾[1]

فقال جابر لم يجئ تأويل هذه الآية . قال سفيان وكذب فقلنا وما أراد بهذا قال : إن الرافضة تقول : إن عليا في السحاب فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء ـ يريد أن عليا ينادي ـ أخرجوا مع فلان يقول جابر فهذا تأويل هذه الآية وكذب – كانت في إخوة يوسف .

وهذا همام يقول قدم علينا أبو داود الأعمى فجعل يقول : حدثنا البراء وحدثنا زيد بن أرقم . فذكرنا ذلك لقتادة فقال كذب ما سمع منهم إنما كان إذذاك سائلا يتكفف الناس زمن الطاعون الجارف أي عام سبع وثمانين ويقول همام دخل أبو داود الأعمى على قتادة ، فلما قام قالوا إن هذا يزعم أنه لقي ثمانية عشر بدريا فقال قتادة : هذا كان سائلا قبل الجارف لا يعرض لشيء من هذا ولا يتكلم فيه . فوالله ما حدثنا الحسن عن بدري مشافهة ولا حدثنا سعيد بن المسيب عن بدري مشافهة إلا عن سعد بن مالك فانظر كيف ادعى هذا الأعمى أنه سمع ثمانية عشر صحابيا ممن شهد بدرا مع أن الحسن وسعيد بن المسيب وهما أكبر منه سنا وأكثر اعتناء بالحديث وملازمة لأهله واجتهادا في الأخذ عن الصحابة ما حدث واحد منهما عن بدري واحد فكيف بأبي داود الأعمى يدعي أنه لقي ثمانية عشر بدريا .

ولكن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أخذوا على هؤلاء الوضاعين المسالك وشردوا بهم من خلفهم ، قال الشعبي رضى الله عنه . حدثني الحارث الأعور وكان كذابا . وهذا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يؤتى بقضاء علي كرم الله وجهه في خريطة فيمحوه ولا يترك منه إلا مقدار ذراع

(1) سورة يوسف آية ۸۰ .

وذلك لأن الشيعة أفسدوا كثيرا من علم الإمام علىّ فقاتلهم الله أنى يؤفكون. هذا وهناك صنف من الوضاعين كان شرا مستطيرا على الحديث ألا وهم القصاص الذين يستهوون العامة بالمناكير ويأخذون عليهم قلوبهم برواية الغرائب التى لا أصل لها وقد وجد منهم فى هذا الدور خلق كثير.

فهذا هو الشعبى التابعى العظيم أحد أعيان المائة الأولى للهجرة (١٧ ـ ١٠٤) يقول: بينما عبد الملك بن مروان جالس وعنده وجوه الناس من أهل الشام قال لهم: من أعلم أهل العراق قالوا ما نعلم أحدا أعلم من عامر الشعبى فأمر بالكتاب إلىّ فخرجت إليه حتى نزلت « تدمر » فوافقت يوم جمعة فدخلت أصلى فى المسجد فإذا إلى جانبى شيخ عظيم اللحية قد أطاف به قوم فحدثهم قال حدثنى فلان عن فلان يبلغ به النبى ﷺ: أن الله تعالى خلق صورين فى كل صور نفختان نفخة الصعق ونفخة القيامة. قال الشعبى فلم أضبط نفسى أن خففت صلاتى ثم انصرفت فقلت يا شيخ اتق الله ولا تحدثنا بالخطأ إن الله تعالى لم يخلق إلا صورا واحدا وإنما هى نفختان نفخة الصعق ونفخة القيامة. فقال لى يافاجر إنما يحدثنى فلان عن فلان وترد علىّ ثم رفع نعله وضربنى بها وتتابع القوم علىّ ضربا معه فو الله ما أقلعوا عنى حتى حلفت لهم أن الله تعالى خلق ثلاثين صورا له فى كل صور نفخة فأقلعوا عنى فرحلت حتى دخلت دمشق ودخلت على عبد الملك فسلمت عليه. فقال لى ياشعبى: بالله حدثنى بأعجب شئ رأيته فى سفرك فحدثته حديث التدمريين فضحك حتى ضرب برجليه [1]

« كتابة الحديث »

الكتابة عند العرب قبيل الإسلام: لم تكن الكتابة عند العرب بالشئ الذائع يتناوله جميع الأفراد، بل كان ذلك فى الخاصة منهم، ومن اليمن انتقل الخط إلى الحيرة والأنبار لما كان من الارتباط بين الإقليمين، وكانوا

(١) تحذير الخواص ص ٥١، ٥٢

يسمون خطهم بخط الجزم لأنه اقتطع من المسند الحميرى ، ومن الحيرة انتقل الخط إلى مكة ، نقله حرب بن أمية ، وكان رجلا سفارا ، ومن عنده بدأ الخط بمكة ، فتعلمه بعض رجال قريش ، هذه هى الجهات الثلاث التى وجدت بها الكتابة الخطية على أنها لم تكن بالشىء الذائع المتداول أما بادية العرب فلم تكن تخط بل كانت ترى الخط وصمة عار وسمة عيب .

هذا وكأن الله تعالى أذن بنقل الكتابة من الحيرة إلى مكة قبيل الإسلام لتكون فيما بعد عاملا من عوامل حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ثم إنه لم تكن الكتابة منتشرة بين العرب ، بل كانت منحصرة فى أفراد قليلين مما يجعل الحكم على الأمة العربية بأنها أمة أمّية لا تقرأ ولا تكتب من السهولة بمكان حتى لقد سماها القرآن الكريم عند مجئ الإسلام بذلك فقال سبحانه وتعالى ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم** ﴾[1] وقد كان عدم انتشار الكتابة وذيوعها بين العرب من أهم العوامل فى تنمية ملكة الحفظ فيهم ، فقد اعتمدوا على قوة الحافظة فى جمع ما يهمهم من الأشعار والأنساب والمفاخر والأيام ، والملكة متى استعملت عظمت ونمت ، ولذا كان العرب من أحفظ الأمم التى عرفها التاريخ إلى يومنا هذا .

الكتابه بمكة عند مجئ الإسلام : وأيا ما كان الأمر فقد جاء الإسلام وليس بمكة ممن يعرف الكتابة سوى سبعة عشر رجلا منهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح وطلحه ويزيد بن أبى سفيان ومعاوية بن أبى سفيان وأبو سفيان بن حرب وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، وبعض من نسائهم كن يكتبن أيضا منهن الشفاء بنت عبد اللــه

---

(١) سورة الجمعة آية (٢)

العدوية وحفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ وأم كلثوم بنت عقبة وكريمة بنت المقداد وغيرهن .

الكتابة بالمدينة عند قدوم النبي ﷺ إليها : أما في المدينة فكانت الكتابة بين الأوس والخزرج قليلة ، وكان بعض اليهود قد علم كتابة العربية وكان يعلمها الصبيان بالمدينة في الزمن الأول فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون ، منهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبي بن كعب وزيد بن ثابت الذي كان يكتب العربية والعبرانية ورافع بن مالك وأسيد بن حضير وغيرهم .

هذا ولما جاء الإسلام أخذ بيد العرب إلى ترقية الكتابة والنهوض بها والعمل على نشرها ، وكان للكتابة منزلة عظيمة في حفظ الوحي وتبليغ الرسالة إلى الملوك وأهل الآفاق ، لذا كانت عناية النبي ﷺ بها شديدة ، فقد انتهز أول فرصة لنشر الكتابة بين المسلمين فجعل فداء بعض الأسرى في بدر ممن يعرفون الكتابة أن يعلمَّ الواحد منهم عشرة من صبيان المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة ، ولا يطلق إلا بعد أن يتم تعليمهم .

كتابة القرآن والرسائل : وقد استعمل النبي ﷺ الكتابة في تدوين ما يتنزل من القرآن ، وفي إرسال الرسائل إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الاسلام . واتخذ لذلك كتابا من الصحابة فأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله ابن سعد بن أبي سرح لكنه ارتد وهرب من المدينة إلى مكة ثم عاد إلى الإسلام بعد الفتح وأول من كتب له بالمدينة أبي بن كعب وكان إذا غاب دعا النبي ﷺ زيد بن ثابت فكتب له وكان زيد وأبي يكتبان الوحي والرسائل أيضا ثم لما فتحت مكة وأسلم معاوية بن أبي سفيان كا يكتب للنبي الوحي وغير هؤلاء كثير كانوا يكتبون للرسول ﷺ كالخلفاء الراشدين وأبان بن سعيد وزيد بن أرقم وحنظلة بن الربيع [1] .

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٥٨

هذا وقد كتب القرآن كله بين يدى النبى ﷺ على الرقاع والأضلاع والحجارة الرقاق لأن الورق المعروف الآن لم يكن قد وجد عند العرب فى زمن النبى ﷺ ، وقد كان نزول القرآن متفرقا على حسب الحوادث والأسئلة ، فكانت الآية تنزل على النبى ﷺ فيأمر كاتب الوحى بكتابتها فى موضع كذا من سورة كذا ، وقد مكث الأمر على هذا الحال ثلاثة وعشرين عاما .

حكمة النهى عن كتابة الحديث : منع رسول الله ﷺ أصحابه من كتابة السنن وتدوين الحديث ، حتى يتسع المجال أمام القرآن الكريم ، ويأخذ مكانه من الحفظ والكتابة معا ، وحتى يثبت فى صدور الحفاظ وتألفه أسماعهم ، وبذلك يزول خطر الالتباس لذلك نهى النبى ﷺ عن كتابة الحديث ، روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه » فتراه قد منعهم من كتابة الحديث ، ووكله إلى حفظهم ، وأجازلهم روايته ونقله عنه ، مع تحذيره لهم من الكذب عليه ، وقد كان الصحابة على جانب عظيم فى الحفظ فلم يكن هناك خوف على السنن من الضياع . وشئ آخر جعل النبى ﷺ ينهاهم عن كتابة الحديث هى المحافظة على تلك الملكة التى امتازوا بها فى الحفظ فلو أنهم كتبوا لاتكلوا على المكتوب وأهملوا الحفظ فتضيع ملكاتهم بمرور الزمن ، أضف إلى هذا أن الكتابة لم تكن منتشرة فيهم ، ولم يكونوا أتقنوها حتى تحل محل الحفظ .

التوفيق بين أحاديث النهى عن الكتابة والإذن فيها : هذا وربما يقول قائل أن النبى ﷺ كما نهى عن كتابة الحديث كذلك وردعنه الإذن بالكتابة وإباحتها ، فقد روى البخارى فى كتاب العلم أن النبى ﷺ قال اكتبوا لأبى شاه يعنى الخطبة التى سمعها منه ﷺ يوم فتح مكة وقد

سأله أبو شاه أن يكتبها له ، وروى عن أبى هريرة أنه قال ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب و إلى غير ذلك من الآثار الدالة على إباحته ﷺ كتابة الحديث عنه وهى بظاهرها متعارضة مع حديث أبى سعيد فى النهى عن ذلك.

والجواب على هذا التعارض : أن النهى كان خاصا بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره والإذن بالكتابة كان فى غير ذلك الوقت . أو أن النهى كان عن كتابة غير القرآن مع القرآن فى صحيفة واحدة والإذن كان بكتابة ذلك متفرقا حتى يؤمن الالتباس ، أو يقال كان النهى عن الكتابة متقدما لخوف التباس القرآن بالحديث أو لخوف الاتكال على الكتابة وإهمال الحفظ أو غير ذلك وكان الإذن متأخرا ناسخا للنهى عند أمن اللبس أو عدم الخوف من الاتكال على المكتوب .

على أن بعض العلماء يرى أن حديث أبى سعيد هذا موقوف عليه وليس من كلام النبى ﷺ قال ذلك البخارى وغيره .

وعلى أى حال فإن الحديث لم يكتب فى زمن النبى ﷺ على النحو الذى كتب عليه القرآن فلم يأمر النبى أحدا من كتاب الوحى بكتابة وإن وجد من بعض الأفراد كتابة شىء فذلك قليل جدا .

والدليل على إذن النبى ﷺ بكتابة الحديث :

أولا : ما رواه البخارى عن ابن عباس أنه قال : « لما اشتد بالنبى ﷺ وجعه قال ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده .. الحديث » فقد هم النبى ﷺ أن يكتب لأصحابه كتابا حتى لا يختلفوا من بعده والنبى ﷺ لا يهم إلا بحق ، فهذا منه ﷺ نسخ للنهى السابق فى حديث أبى سعيد.

ثانياً : روى أحمد والبيهقي في المدخل والعقيلي من طرق مختلفة أن أبا هريرة قال : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب استأذن رسول الله ﷺ أن يكتب بيده ما سمع منه فأذن له : فاستئذان عبد الله بن عمرو من النبي في كتابة الحديث يدل على أن الكتابة كانت منهيا عنها في أول الأمر . وقد أذن رسول الله ﷺ له بالكتابة لما استأذنه ولا خصوصية لعبد الله بن عمرو على غيره .

كتابة الحديث بعد زمن النبي ﷺ . توفي رسول الله ﷺ ولم تدون السنة كما دون القرآن الكريم فلما كان عهد الخلفاء الراشدين قلت الرواية مخافة أن يشتغل الناس بالحديث ويتركوا القرآن وأكثرهم لا يزال حديث عهد به ولم يتم له جمعه في صدره كذلك لم يريدوا أن يدونوا الحديث في الصحف كراهة أن يتخذها الناس مصاحف يضاهون بها صحف القرآن العزيز فيشتبه على بعضهم القرآن بالأحاديث وربما اشتغلوا بها عن تلاوته ودرسه . لهذا نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجمع أصحاب رسول ﷺ ليستشيرهم في كتابة السنن فيشيرون عليه بكتابتها ثم يحجم عمر عن كتابتها مخافة أن يتخذها الناس مصاحف كالقرآن فيلتبس الأمر على عامتهم ومن يأتي بعدهم فيقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب حيث كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم . وقد حدثنا القرآن عنهم فقال ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [1] روى البيهقي في المدخل عن عروة ابن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه أن يكتبوا فطفق عمر يستخير الله فيها

---

[1] سورة البقرة آية ٧٨ ، ٧٩

شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال إنى كنت أردت أن أكتب السنن وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا .[1]

وقد كان هذا رأيا من عمر رضى الله يتناسب وحالة الناس فى ذلك الوقت فإن عهدهم بالقرآن ما يزال جديدا لا سيما من يدخل الإسلام من أهل الآفاق فلو أن السنن دونت ووزعت على الأمصار وتناولها الناس بالحفظ والدرس لزاحمت القرآن الكريم ربما أمن أن تلتبس به على كثير فأراد عمر بثاقب فكره أن يحبس الناس على القرآن الكريم حتى يتمكن حفظه من نفوسهم وترسخ صورته فى قلوبهم وينتشر بين خاصهم وعامهم فلا تحوم حوله الشبهات ولا تؤثر فيه الشكوك والأوهام ، فأمر بتقليل الرواية أولا ، وأحجم عن كتابة السنن ، ثانيا سدا لذرائع الفساد وغلقا لباب الفتنة .

وليس فى هذا تضييع للأحاديث فإنه ما زال الناس بخير ومازالت ملكاتهم قوية وحوافظهم قادرة على حفظ السنن وقد تابع الخلفاء على سنة عمر رضى الله عنه فلم يشأ أحدهم أن يدون السنن ولا أن يأمر الناس بذلك حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأمر بجمع الحديث لدواع اقتضت ذلك بعد حفظ الأمة لكتاب ربها وأمنها عليه أن يشتبه بالسنن .

أول من أمر بتدوين السنة من الخلفاء : لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فى العام التاسع والتسعين من الهجرة نظر بثاقب رأيه إلى الحديث النبوى فوجد من الواجب عليه كتابته وتدوينه فأصدر أمره إلى علماء الآفاق بجمع الحديث وتدوينه روى البخارى فى باب كيف يقبض

---

(١) تدريب الراوى ص ١٥١ .

العلم . (وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبى ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا) وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان : (إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه) وروى مالك فى الموطأ - رواية محمد بن الحسن (أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله وقاضيه على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء).

من هذه الروايات نرى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق بأن يكتبوا الحديث ، لكن من ذا الذى كان له فضيلة السبق فى تدوين السنن . [illegible] المشهور على ألسن علماء الحديث وحفاظ الأثر ، أن ابن شهاب الزهرى هو أول من جمع الحديث على رأس المائة الأولى للهجرة بأمر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز . ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى ما نصه : قال العلماء وكره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظا كما أخذوه حفظا لكن لما قصرت الهمم وخشى الأئمة ضياع العلم دونوه وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهرى على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز ثم كثر التدوين ثم التصنيف وحصل بذلك خير كثير والحمد لله [1] هذا وكانت طريقتهم فى التدوين تتبع وحدة الموضوع فهم يجمعون فى المؤلف الواحد الأحاديث التى تدور حول موضوع واحد كالصلاة مثلا يجمعون الأحاديث الواردة فيها فى مؤلف واحد وهكذا الصوم والزكاة والطلاق وهلم جرا .

---

(1) ج ١/٨١٥

تراجم لبعض مشاهير الرواة من الصحابة رضي الله عنهم

من هو الصحابي ؟

المحققون من أهل الحديث . كالبخارى وأحمد بن حنبل على أن الصحابى من لقى النبى ﷺ وهو مميز مؤمنا به ومات على الإسلام ، طالت مجالسته له أو قصرت . روى عنه أولم يرو . غزا معه أولم يغز . قال البخارى فى صحيحه : من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه وقال أبو المظفر السمعانى : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابى على كل من روى عنه ﷺ حديثا أو كلمة ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة . وهذا لشرف منزلة النبى ﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحبة.

وقال ابن الصلاح فى مقدمته : (روينا عن شعبة عن موسى السيلانى — وأثنى عليه خيرا — قال : أتيت أنس بن مالك فقلت : هل بقى من أصحاب رسول الله ﷺ أحد غيرك ، قال : بقى ناس من الأعراب قد رأوه ، فأما من صحبه فلا) إسناده جيد حدث به مسلم بحضرة أبى زرعة ا هـ .

بم تعرف الصحبة ؟

يعرف كون الراوي صحابيا :

١ ـ بالتواتر كما فى الخلفاء الأربعة .

٢ ـ أو بالاستفاضة والشهرة القاصرة عن التواتر كما فى ضمام بن ثعلبة وعكاشة بن محصن .

٣ ـ أو بأن يروى عن آحاد الصحابة أنه صحابى كما فى حممة بن أبى حممة الدوسى الذى مات بأصبهان مبطونا فإن أبا موسى الأشعرى شهد له أنه سمع النبى ﷺ .

٤ ـ أو بقوله عن نفسه بأنه صحابى بعد ثبوت عدالته ومعاصرته للنبى ﷺ

٥ ـ وكذلك تعرف بأخبار أحد التابعين أن فلانا من الصحابة بناء على قبول التزكية من الواحد العدل وهو الراجح .

إجماع الأمة على عدالة الصحابة :

للصحابة بأسرهم خصيصة وهو أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم وذلك أمر مسلم به عند العلماء لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة . قال الله تعالى : **﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾**[1]

وفي نصوص السنة الشاهدة بذلك كثرة ، منها حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا أصحابي فوا الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[2]

ومنها حديث عبد الله بن مغفل عند الترمذي وابن حبان في صحيحه قال قال رسول الله ﷺ : « الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » .

وبعد تعديل الله تعالى ورسوله لهم ، لا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد من الخلق ، قال أبو زرعة الرازي : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن

---

(١) سورة الفتح آية « ٢٩ » (٢) البخاري : ٧/ ٢١

حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، فالجرح بهم أولى .

« عدد الصحابة »

هذا وأصحاب رسول الله ﷺ كثيرون جدا ولا يعرف عددهم على اليقين روى البخارى فى صحيحه أن كعب بن مالك قال فى قصة تخلفه عن غزوة تبوك : « وأصحاب رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ » وقيل لأبى زرعة : أليس يقال حديث رسول الله ﷺ أربعة آلاف حديث ؟ قال : هذا قول الزنادقة ، ومن يحصى حديث رسول الله ﷺ قبض رسول الله عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه فقيل له : هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا منه ؟ قال : أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة » .

ومن هذا نرى أن الرواة من الصحابة عن رسول الله ﷺ كثير جدا — لذلك نكتفى بذكر بعضهم ممن اشتهروا بالحديث .

« أبو هريرة »

هو عبد الرحمن بن صخر وكنيته أبو هريرة ، أسلم وقدم على النبى ﷺ عام خيبر سنة سبع من الهجرة فى المحرم ، وهو أحفظ من روى الحديث فى دهره بشهادة الإمام الشافعى رضى الله عنه وغيره ، مع قلة صحبته لرسول الله ﷺ والسر فى ذلك أمور هى : أولا : مواظبته على حضور مجالس النبى ﷺ فقد روى الشيخان وغيرهما أن أبا هريرة قال : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النبى ﷺ ، إنى كنت امرءا مسكينا صحبت النبى ﷺ على ملء بطنى وكان المهاجرون يشغلهم الصفق فى الأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم فحضرت من النبى ﷺ مجلسا فقال :

من بسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه منى فبسطت بردة علىّ حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلىّ فو الذى نفس بيده ما نسيت منه شيئا بعد ».

ثانيا : رغبته الشديدة فى تحصيل العلم حتى ناله دعوة النبى ﷺ ألاينسى شيئا من العلم ، ففاق أقرانه فى كثرة الحديث عن النبى ﷺ ، مع أنه لم يصحبه سوى ثلاث سنين : روى « أن رجلا جاء إلى زيد بن ثابت فسأله عن شئ فقال عليك أبا هريرة ، فإنى بينما أنا جالس وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره إذ خرج علينا النبى ﷺ حتى جلس إلينا فسكتنا فقال :عودوا للذى كنتم فيه قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة وجعل رسول الله ﷺ يؤمن على دعائنا . ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم أسألك ما سألك صاحباى وأسألك علما لا ينسى فقال رسول الله ﷺ آمين فقلنا يارسول الله : ونحن نسأل الله تعالى علما لا ينسى فقال : سبقكم بها الغلام الدوسى» [(1)]

وروى البخارى فى باب الحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه قال : يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله ﷺ « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث – أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامه من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه » .

ثالثا : أدرك أبو هريرة كبار الصحابة وأخذ عنهم الشئ الكثير من الحديث فتكامل علمه به واتسع أفقه فيه .

رابعا : طول حياته بعد وفاة النبى ﷺ فقد عاش بعده سبعة وأربعين عاما ينشر الحديث ويبثه بين الناس بعيدا عن المناصب والمشاغل والفتن .

---

(1) رواه النسائى – باب العلم

من هذه الأمور مجتمعة كان أبو هريرة أحفظ الصحابة للحديث ، متفرقا عليهم في باب التحمل والرواية معا ، وكان كل ما رواه أبو هريرة مجتمعا يثبت متفرقا لدى جميع الصحابة أو كثير منهم ، لهذا كانوا يرجعون إليه ، يعتمدون في الرواية عليه ، حتى أن ابن عمر كان يترحّم عليه في جنازته ويقول : « كان يحفظ على المسلمين حديث النبي ﷺ » قال البخاري : روى عن أبي هريرة نحو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم »

وجاء عنه من الحديث خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثا (٥٣٧٤) اتفق الشيخان منها على ثلثمائة وخمسة وعشرين (٣٢٥) وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين (٩٣) ومسلم بمائة وتسعين وثمانية (سنة ١٨٩) توفى أبو هريرة بالمدينة (سنة ٥٧) سبع وخمسين من الهجرة عن ثمانية وسبعين عاما رضى الله عنه [1]

« أبو سعيد الخدرى »

هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجي استشهد أبوه يوم أحد ولم يترك له مالا فتحمل أبو سعيد هموم العيش ومصاعب الحياة صغيرا لكن لم يمنعه ذلك عن حضور مجالس النبي ﷺ وتلقى الحديث عنه في رغبة وحرص فائقين حتى تحمل عنه مالم يتحمله من كان في مثل متاعبه المعيشية نعدّ بحق من مشهوري الصحابة وفضلائهم ومحدثيهم المكثرين ورواته النابهين .

عاش أبو سعيد بعد رسول الله ﷺ أربعة وستين عاما مكنته من تحمل الحديث من كبار الصحابة ثم نشره وأدائه إلى الناس لذلك كثر المروى عنه

(١) الحديث والمحدثون ١٢٣ - ١٢٤

حتى جاوز الألف فقد نقل عنه أصحاب الحديث (١١٧٠) ألف ومائة وسبعين حديثا اتفق الشيخان منها على (٤٦) ستة وأربعين وانفرد البخارى (١٦) بستة عشر حديثا ومسلم باثنين وخمسين حديثا (٥٢)

روى الحديث عن أبى سعيد كثير من الصحابة والتابعين فمن الصحابة جابر وزيد بن ثابت وابن عباس وأنس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعطاء بن يسار وغيرهم وشهد مع النبى ﷺ اثنتى عشرة غزوة أولاها الخندق ، وكان قوالا للحق لا يرهب فيه أحدا مهما كان سلطانه وعظيم شأنه .

توفى أبو سعيد بالمدينة سنة أربع وسبعين عن بضع وثمانين سنة ، نشر فيها كثيرا من الحديث وكان محل تقدير الصحابة والتابعين ، رضى الله عنه .

« جابر بن عبد الله »

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى السلمى الصحابى ابن الصحابى أحد المكثرين من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ روى عن النبى ﷺ وعن كثير من أصحابه كأبى بكر وعمر وعلى وروى عنه أولاده عبد الرحمن وعقيل ومحمد وكثير من التابعين كسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار والحسن البصرى وغيرهم .

استشهد والده فى غزوة أحد وترك بنات صغار ودينا كبيرا مما جعل جابرا يذوق نصب الحياة وشظف العيش إلا أن النبى ﷺ تلقاه بعطفه وكرمه ورعاه بعناية حتى قضى دينه .

على أن مالقية جابر من صعوبات الحياة لم يكن مانعاله من تحصيل العلم وتلقى الحديث عن النبى ﷺ فقد لازمه فى كل غزواته بعد مقتل

أبيه ، وأتاح له صغر سنه وامتداد عمره وشهوده عصر كبار الصحابة الإكثار من تحمل الحديث وروايته حتى كان له حلقة في المسجد النبوى يؤخذ عنه فيها العلم .

عاش جابر بعد رسول الله ﷺ أربعة وستين عاما قضاها فى نشر الحديث حتى روى له (١٥٤٠) ألف وخمسمائة وأربعون حديثا اتفق البخارى ومسلم منها على ستين حديثا . وانفرد البخارى بستة وعشرين حديثا ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثا .

ومناقبه رضى الله عنه كثيرة : منها ما رواه الشيخان عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : (أنتم اليوم خير أهل الأرض) وكنا ألفا وأربعمائة قال جابر : لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة .

كف بصره فى أواخر عمره وتوفى سنة ثمان وسبعين من الهجرة على أحد الأقوال رضى الله عنه .

« أنس بن مالك »

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى النجارى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزيل البصرة،جاءت به أمه أم سليم إلى رسول الله ﷺ وقالت يارسول الله : هذا غلامك يخدمك ، فقبله النبى ﷺ فوجد أنس فيه أكبر العزاء عن والده ونشأ فى بيت النبوة ، وشاهد ما لم يشاهده غيره ، ووقف من أحوال النبى وأفعاله على الشئ الكثير ، وعاش بعد النبى ﷺ ثلاثة وثمانين عاما ، فساعده ذلك على تلقى الكثير من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الكبار من أصحابه بعده . كما أمكنه طول حياته من نشر الحديث بين الناس .

استقر بالبصرة بعد المدينة ، وتصدر للرواية ، وتخرج عليه كثير من أئمة

الحديث من التابعين ، أمثال ابن سيرين وحميد الطويل وغيرهما روى لأنس ألف ومائتان وستة وثمانون حديثا (١٢٨٦) اتفق الشيخان منها على مائة وثمانية وستين ، وانفرد البخارى بثلاثة وثمانين ، ومسلم بواحد وسبعين .

وروى البخارى فى تاريخه عن قتادة قال لما مات أنس قال مورق : ذهب اليوم نصف العلم قيل له كيف ذلك ؟ قال كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا فى الحديث قلنا تعال إلى من سمعه عن النبى ﷺ .

وكانت وفاة أنس خارج البصرة على نحو فرسخ ونصف ، ودفن فى موضع بعرفة بقصر أنس والصحيح الذى عليه الجمهور أنه توفى سنة ثلاث وتسعين من الهجرة .

« عائشة أم المؤمنين »

هى عائشة بنت أبى بكر الصديق ، إحدى أمهات المؤمنين ، وزوج النبى ﷺ ، ولدت بعد بعثة النبى بسنتين على أحد الأقوال . ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت ست سنين وبنى بها وهى بنت تسع سنين فى شوال من السنة الأولى للهجرة وقيل من السنة الثانية بعد منصرفه من بدر .

هيأ لها زواجها من رسول الله ﷺ واختلاطها به مع ذكائها النادر وفطنتها العظيمة وفكرها الثاقب ورغبتها الشديدة فى معرفة أحكام الدين أن تحملت كثيرا من الحديث وعلوم القرآن حتى ضربت فى كل علم بسهم وافر وأصبحت المرجع فى الحكم عند الاختلاف فلا غرابة أن تلقى عنها كبار الصحابة وتحمل عنها الحديث عمر بن الخطاب على كثرة ملازمته لرسول الله ﷺ . أضف إلى ذلك أنها بقيت بعد وفاته ﷺ تسعة وثلاثين عاما يغترف الناس من بحرها الزاخر وعلمها الفياض .

فلا جرم أن كانت عائشة معدودة من المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ روى لها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث (٢٢١٠) اتفق الشيخان من ذلك على مائة وأربعة وسبعين حديثا ، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين . قال مسروق : رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض .

توفيت رضى الله عنها سنة سبع وخمسين من الهجرة .

« عبد الله بن عباس »

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وابن أخت زوجه ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح وقبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة على أحد الأقوال في الصحيح أن النبى ﷺ ضمه إليه وقال اللهم علمه الحكمة .

كان لابن عباس بحكم قرابته من النبى ﷺ وصغر سنه اختلاط كثير مكنه من كثرة الرواية عنه . أضف إلى هذا ميله الطبيعى إلى تحصيل الحديث وشغفه العظيم به مما وجه نظر النبى ﷺ إليه فسُرّ به ودعا له . وقد ظهر لكل هذه العوامل آثارها فى شخص هذا الصحابى الجليل حتى أصبح ترجمان القرآن وحبر الأمة وعدّ من المكثرين لرواية الحديث عاش ابن عباس بعد وفاة النبى ﷺ ثمانية وخمسين عاما هيأت له أسباب الأخذ والتحمل عن كبار الصحابة وصغارهم روى الدارمى فى سننه عن عبد الله بن عباس أنه قال : (لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب النبى ﷺ فإنهم اليوم كثير . قال : واعجبا لك ، أترى الناس يفتقرون إليك قال : فتركت ذلك الرجل وأقبلت أسأل فإن كان ليبلغنى الحديث عن رجل فآتى بابه وهو قائل فأتوسد ردائى على بابه يسفى الريح

على من التراب، فيخرج فيرانى ، فيقول يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلىّ فآتيك فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث فعاش ذلك الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى يسألوننى . فقال: هذا الفتى كان أعقل منى) .

من هذا الأثر يمكنك أن تستخلص مقدار عقله ، وحرصه على جمع الحديث ، وتفانيه فيه ، كما يؤخذ منه مبلغ ما وصل إليه ، ابن عباس من الإمامة فى الحديث والعمل على نشره حتى كان الناس يجتمعون إليه ويستمعون لحديثه ، وهذا عمر بن الخطاب على مهارته وحذقه ، واجتهاده لله وللمسلمين ، كان إذا جاءته قضية معضلة قال لابن عباس : إنها قد طرأت علينا أقضية وعضل فأنت لها ولأمثالها ويأخذ بقوله .

فاق ابن عباس غيره فى العلم والفقه والحديث والتأويل والحساب والفرائض والعربية ، فكان أمة وحده فى العلم والحديث روى له ألف وستمائة وستون حديثا . اتفق الشيخان على رواية خمسة وتسعين منها وانفرد البخارى بمائة وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين .

توفى بالطائف سنة ثمانى وستين من الهجرة .

« عبد الله بن عمر بن الخطاب »

أسلم عبد الله قديما وهو صغير وهاجر مع أبيه وقيل قبله ، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ ومن بعده شهد اليرموك وفتح مصر وأفريقية وكان شديد الاتباع لرسول الله ﷺ .

روى عن النبى ﷺ وعن أبيه وعمه زيد وأخته حفصة أم المؤمنين وأبى بكر وعثمان وعلى وبلال وزيد بن ثابت وصهيب وابن مسعود وعائشة وغيرهم .

وروى عنه خلق كثير فمن الصحابة ابن عباس وجابر . ومن التابعين أولاده الأربعة بلال وحمزة وسالم وعبد الله وعروة بن الزبير وغيرهم .

روى البيهقى فى المدخل عن الزهرى أنه قال : لا يعدل برأى ابن عمر فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة فلم يخف عليه شئ من أمره ولا من أمر أصحابه .

وقد كان عبد الله معدودا من المكثرين لرواية الحديث وساعده على ذلك أمور :

١ ـ تقدم إسلامه ، وشدة ملازمته لمجالس النبى ﷺ ، وكثرة اتباعه لآثاره وسؤاله إذا غاب عن قوله وفعله ، مما يدل على شغفه بالعلم وتحصيل الحديث .

٢ ـ إتصاله بالنبى ﷺ بطريق المصاهرة ، فقد كانت أخته حفصة زوجة النبى ﷺ فسهل عليه مخالطته فى أغلب الأوقات .

٣ ـ زهده فى الدنيا والإمارة ، ومجانبته للحروب التى شبت بين الصحابة مما أعانه على التفرغ للحديث تحملا وأداء .

لهذا كله كان عبد الله من المكثرين ، فقد روى له ألف وستمائة وثلاثون حديثا اتفق الشيخان من ذلك على مائة وسبعين وانفرد البخارى بواحد وثمانين ومسلم بواحد وثلاثين

توفى رضى الله عنه سنة ٧٣ هـ وعمره سبع وثمانون عاما

« عبد الله بن عمرو بن العاص »

هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص القرشى السهمى . أسلم قبل أبيه وكان مجتهدا فى العبادة مكثرا لتلاوة القرآن كما كان أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ . روى البخارى فى كتاب العلم أن

أبا هريرة قال : « ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » وجاء عنه أنه كان يكتب كل مايسمعه من النبي ﷺ فنهته الصحابة عن ذلك وقالوا له إن النبي ﷺ يتكلم في الغضب والرضا فلا تكتب كل ماتسمع فسأل النبي ﷺ عن ذلك فقال له اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منهما إلا حق يعني شفتيه الكريمتين ، وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير : « يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌ بنا إلى الحج فالقه فاسأله فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا » وروى ابن سعد عن مجاهد أنه قال : « رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال : هذه الصادقة ، فيها ما سمعت عن رسول الله ﷺ ، ليس بيني وبينه فيها أحد » .

وروى ابن سعد أيضا عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعت منه فأذن لي فكتبته فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة » .

من هذا نرى أن عبد الله بن عمرو قد توفر لديه من أسباب التحمل للحديث والإكثار منه مالم يتوفر لغيره فقد تقدم إسلامه وحفظ الحديث بصدره ووعاه بقلبه ودونه بقلمه في الصحف.

وقد يقال إن أبا هريرة لم يكن يكتب الحديث مثل عبد الله بن عمرو ومع ذلك ما روى عنه أضعاف ماروى عن عبد الله فكيف يتفق هذا مع ما رواه البخاري عن أبي هريرة ؟ والجواب أن السبب في كثرة ماروى عن أبي هريرة وقلة ماروى عن عبد الله بن عمرو أنه يحمل أكثر منه لأمور منها :-

أولا : أن عبد الله كان مشتغلا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم فقلت الرواية بخلاف أبي هريرة فقد كان متصدرا للتحديث .

ثانيا : أن عبد الله كان أكثر مقامه بعد الفتوح بمصر أو بالطائف ولم تكن الرحلة إليهما من طلاب الحديث كالرحلة إلى المدينة. وكان أبو هريرة مقيما بالمدينة متصديا للفتوى والتحديث إلى أن مات ، ويظهر هذا في كثرة من أخذ الحديث عن أبي هريرة فقد بلغ عددهم ثمانمائة نفس من التابعين ولم يقع هذا لغيره من الصحابة .

ثالثا: ما اختص به أبو هريرة من دعوة النبي ﷺ بألا ينسى ما يحدثه به كما سبق ذلك في ترجمته .

رابعا : أن عبد الله بن عمرو كان قد وقع له بالشام كتب من كتب أهل الكتاب .فكان ينظر فيها ويحفظ منها جملا ويحدث بها فتجنب التحمل عنه لذلك كثير من أئمة التابعين .

لهذه الأسباب نجد أن ماروى عنه من الحديث لا يتناسب مع غزارة علمه وكثرة ماحفظه وكتبه عن رسول الله ﷺ فلم يصلنا عنه سوى سبعمائة حديث اتفق الشيخان منها على سبعة عشر وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين .

روى عن عبد الله بن عمرو خلائق كثيرون من التابعين منهم سعيد بن المسيب وعروة وأبو سلمة وحميد ابنا عبد الرحمن ، ومسروق وغيرهم وتوفى بمصر على أحد الأقوال سنة ٦٣ من الهجرة عن اثنين وسبعين عاما .

« عبد الله بن مسعود »

هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ينتهي نسبه إلى هذيل بن مدركة بن إلياس واسم أمه أم عبد بنت عبدود بن سواء بن هذيل أسلمت وهاجرت .

أسلم عبد الله قديما حين أسلم سعيد بن زيد قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان جاء عنه أنه قال : (لقد رأيتني سادس ستة ما على الأرض

مسلم غيرنا) وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد وهو الذى أجهز على أبى جهل يوم بدر كما شهد اليرموك . وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يلبسه إياها إذا قام فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود فى ذراعه ، وكان كثير الدخول على رسول الله ﷺ والخدمة له ، ففى الصحيحين أن أبا موسى الأشعرى قال : « قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حينا لا نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ لما نرى من كثرة دخوله ودخول أمه على رسول الله ﷺ ولزومه له » .

ولتقدم إسلامه وملازمته للنبى ﷺ وشغفه بالأخذ عنه عد من كبار الصحابة ، وفضلائهم وفقهائهم ، والمتقدمين فى القرآن والحديث والفتوى ، حتى شهد له رسول الله ﷺ بالنبوغ فى القرآن وعلومه فقال فيما رواه الشيخان : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله ، وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ ، وأبى بن كعب » ونطق هو رضى الله عنه متحدثا بنعمة العلم فقال كما جاء فى صحيح مسلم : « والذى لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم حيث أنزلت وما من آية إلا وأنا أعلم فيم نزلت ولو علمت أن أحدا هو أعلم بكتاب الله منى تبلغه الإبل لركبت إليه » .

وقد عرف كبار الصحابة له أيضا منزلته فى العلم ورسوخه فيه فهذا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يكتب إلى أهل الكوفة « بعثت إليكم عمارا أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى » .

روى الحديث عن ابن مسعود خلق كثير : فمن الصحابة أبو موسى الأ[illegible] ران بن حصين وابن عباس وابن عمر وجابر وأنس وابن الزبير

وأبو سعيد الخدرى وأبو هريرة ، ومن التابعين علقمة وأبو وائل والأسود مسروق وعبيدة وقيس بن أبى حازم وغيرهم من كبار التابعين .

روى لابن مسعود عن النبى ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثا اتفق الشيخان منها على أربعة وستين حديثا ، وانفرد البخارى بواحد وعشرين حديثا ومسلم بخمسة وثلاثين حديثا .

توفى بالكوفة وقيل بالمدينة سنة ٣٢هـ .

« تفاوت الصحابة فى رواية الحديث »

كان الصحابة رضى الله عنهم معنيين بحفظ الحديث وكانوا يختلفون فى ذلك قلة وكثرة ولذلك أسباب خاصة تعرف من ترجمة كل صحابى على حدة وأسباب عامة نجملها فيما يلى :-

أولا : الاشتغال بالخلافة والحروب عاق كثيرا من الصحابة عن تحمل الحديث وروايته كما فى الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير ، وعلى العكس من ذلك مكن التفرغ من هذه الشواغل لكثير من الصحابة فى كثرة التحمل والأداء كما فى أبى هريرة وعائشة وابن عمرو وغيرهم .

ثانيا : طول الصحبة للنبى ﷺ وكثرة ملازمته سفرا وحضرا كما فى ابن مسعود وأبى هريرة وجابر بن عبد الله وأنس وابن عمر وغيرهم ولهذا قلت أو عدمت رواية من مات فى عهد النبوة أو بعده بقليل كما قلت رواية من لم تطل صحبته أو لم تكثر ملازمته للنبى ﷺ .

ثالثا : تجدد الحوادث واحتياج الناس إلى بيان أحكامها كان سببا فى كثرة الأداء والرواية ، والحرص على طلب الحديث ، حتى تعرف الأحكام الشرعية فى مثل هذه الحوادث ، التى لم يكن لهم عهد بمثلها فلهذا بادر الصحابة إلى إظهار ماعندهم من السنن وتلقاها عنهم الناس بقبول .

رابعا : وقوع الفتنة وظهور الكذب في الحديث من بعض الفرق كالشيعة والخوارج الذين وضعوا كثيرا من الحديث كان داعيا إلى قلة الأحاديث التي تروى وإلى التشدد فيمن يؤخذ عنه الحديث من الرواة .

خامسا : كثرة الأتباع وقلتهم ونشاطهم وخمولهم كان له أكبر الأثر في كثرة الرواية وقلتها عن الصحابة رضي الله عنهم فعثمان بن عفان لم يصلنا معظم أحاديثه لقلة الآخذين عنه بسبب اشتغاله بالخلافة والحروب وجمع القرآن الكريم إلى غير ذلك . . . .

سادسا : قوة الحافظة وتقييد الحديث بالكتابة كانا عاملين من عوامل الإكثار من الرواية كما في أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص .

سابعا : التفرغ للعبادة والتحرج من رواية الحديث على غير اللفظ المسموع من رسول الله ﷺ جعل كثيرا من الصحابة يحجمون عن رواية الحديث أو يقلون منها مع اعتمادهم في تبليغ الحديث على كثرة أصحاب رسول الله ﷺ الذين نصبوا أنفسهم لمهمة الرواية والأداء .

ثامنا : أن يكون الطريق إلى الصحابي ضعيفا فيترك أصحاب الصحيح تخريج حديثه كما في أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة لم يصح إليه الحديث من جهة الناقلين فلم يخرج له في الصحيحين [1]

« تراجم لبعض مشاهير المحدثين »

« مالك بن أنس »

هو الإمام الجليل مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ينتهي نسبه إلى ذي أصبح ـ قبيلة باليمن ـ قدم أحد أجداده إلى المدينة وسكنها وجده أبو عامر من أصحاب رسول الله ﷺ شهد معه المغازي كلها ما خلا بدرا .

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٣٠

ولد مالك بالمدينة سنة ثلاث وتسعين ، أخذ العلم عن علماء المدينة وأول من لازمه منهم عبد الرحمن بن هرمز الذى أقام معه مدة طويلة من الزمان لم يشركه بغيره وسمع نافعا مولى ابن عمر ، ومحمد بن المنكدر ، وأبا الزبير والزهرى وكثيرا من التابعين وتابعيهم بلغ عددهم على مايقال تسعمائة شيخ من التابعين ثلثمائة ومن تابعيهم ستمائة وكلهم ممن اختاره مالك وارتضى دينه وفقهه وقيامه بحق الرواية وشروطها وخلصت الثقة به ، وأخذ عنه الحديث يحيى الأنصارى والزهرى وهما من شيوخه ، وكذلك أخذ عنه ابن جريج ويزيد بن عبد الله بن الهاد والأوزاعى والثورى وابن عيينة وشعبة وابن المبارك والشافعى . أجمع العلماء على إمامته وجلالته فى الحديث ونقد الرواة واستخراج الأحكام من الكتاب والسنة وشهد له بذلك أقرانه وعلماء عصره ، فهذا حبيب الوراق يقول : « دخلت على مالك فسألته عن ثلاثة لم لم يرو عنهم قال نأطرق ثم رفع رأسه وقال ماشاء الله لا قوة إلا بالله — وكان كثيرا ما يقولها — فقال يا حبيب أدركت هذا المسجد وفيه سبعون شيخا ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ وروى عن التابعين ولم نحمل الحديث إلا عن أهله وكان مالك يقول : ربما جلس إلينا الشيخ فيحدث نهاره ما نأخذ عنه حديثا واحدا مابنا أن نتهمه ولكن لم يكن من أهل الحديث » .

كان مالك ثبتا فى الحديث عالما بالرجال موثوقا فى كل ذلك حتى أخذ الحديث عنه شيوخه وأقرانه ، ولما كانت المدينة هى منبع الحديث ومهبط الوحى لم يرحل مالك عنها لذا نجد معظم روايته عن أهل الحجاز وقلما نجد فى موطئه ذكرا لغيرهم ، ورحل إليه الناس من الأقطار البعيدة يتلقون عنه الحديث والمسائل لما سمعوا عن علمه ونباهة شأنه فى علوم الحديث والفقه وكانوا يزدحمون على بابه ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم ، وكان

مالك رحمه الله كثير التواضع جم الحياء عظيم الحب لرسول الله ﷺ حتى إنه كان لا يركب دابة في المدينة إجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله ﷺ.

توفي رحمه الله سنة مائة وتسعة وسبعين بالمدينة ودفن بالبقيع [1]

٥ يحي بن سعيد القطان :

هو أبو سعيد يحي بن سعيد بن فروخ التميمي القطان إمام جليل ومحدث كبير من أتباع التابعين . أخذ الحديث عن يحي بن سعيد الأنصاري وابن جريج وسعيد بن أبي عروبة والثوري وابن عيينة ومالك وشعبة وكثير غيرهم وأخذ عنه الحديث أحمد بن حنبل ويحي بن معين وعلي بن المديني وإسحاق بن راهويه وابن مهدي وأبو عبيد القاسم بن سلام .

اتفق العلماء على إمامته وكثرة حفظه وعلمه وصلاحه وشهد له بذلك كثير من المحدثين . قال ابن حنبل : ما رأيت مثل يحي القطان في كل أحواله ، وقال فيه أيضا : إليه المنتهى في التثبت بالبصرة وهو أثبت من وكيع وابن مهدي وأبي نعيم ويزيد بن هارون ، وقدروي عن خمسين شيخا ممن روى عنهم سفيان ، قال : ولم يكن في زمان يحي مثله ، وقال أبو زرعة : هو من الثقات الحفاظ . وقال ابن منجويه : كان يحي القطان من سادات أهل زمانه حفظا وورعا وفهما وفضلا ودينا وعلما وهو الذي مهد لأهل العراق رسم الحديث وأمعن في البحث عن الثقات وترك الضعفاء ، قال ابن سعد : توفي يحي القطان في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة وكان مولده سنة ١٢٠ هـ رحمة الله . [2]

---

(١) تهذيب الأسماء جـ٢ صـ ٧٥ - مفتاح السنة صـ ٢٣

(٢) تهذيب الأسماء جـ٢ صـ ١٤٤ وتهذيب التهذيب جـ ١١ صـ ٢١٦

وكيع بن الجراح :

هو الحافظ الجليل والمحدث الكبير إمام أهل الكوفة في الحديث وغيره ، أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى من أتباع التابعين أخذ الحديث عن الأعمش وهشام بن عروة وعبد الله بن عون وحنظلة بن أبى سفيان وابن جريج وشريك بن عبد الله والأوزاعى والسفيانين وغيرهم .

اتفق العلماء على جلالته وكثرة علمه وحفظه للحديث وإتقانه له وصلاحه وفضله ، كان أحمد بن حنبل إذا حدث عنه قال : حدثني من لم تر عيناك مثله وكيع بن الجراح ، وقال فيه : ما رأيت رجلا قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب ويحفظ الحديث جيدا ويذاكر بالفقه مع ورع واجتهاد ولا يتكلم في أحد ، وقال ابن معين : مارأيت أحدا يحدث لله غير وكيع بن الجراح . وهو أحب إلىّ من سفيان وابن مهدى وأبى نعيم ، وما رأيت رجلا قط أحفظ من وكيع ووكيع في زمانه كالأوزاعى في زمانه ، وقال ابن عمار : ما كان بالكوفة في زمن وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث من وكيع ، توفي وكيع سنة ١٩٧ هـ وكان مولده سنة ١٢٧ هـ[1]

سفيان الثورى :

هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفي الإمام الفذ كان من تابعى التابعين . تلقى الحديث عن أبى إسحاق السبيعى وعبد الملك بن عمير ، وعمرو بن مرة وخلائق من كبار التابعين وغيرهم ، وأخذ الحديث عنه محمد بن عجلان والأعمش وهما تابعيان ومعمر والأوزاعى ومالك وابن عيينة وشعبة والفضيل بن عياض وابن المبارك ووكيع وأبو نعيم ويحى بن القطان وكثير من الأئمة الأعلام اتفق العلماء على إمامته وتقدمه

---

(١) تهذيب التهذيب جـ١١ صـ ١٢٣ - تهذيب الأسماء جـ٢ صـ١٤٤

فى الحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش والقول بالحق وغير ذلك من المحاسن ، قال أبو عاصم : الثورى أمير المؤمنين فى الحديث . وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من الثورى ، وقال يحى بن معين : كل من خالف الثورى فالقول قول الثورى . وقال ابن مهدى : ما رأيت أحفظ للحديث من الثورى ، وقال ابن عيينة : كان ابن عباس فى زمانه والشعبى فى زمانه والثورى فى زمانه ، وقال أيضا : أنا من غلمان الثورى ، وما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه ، وقال الأوزاعى وقد ذكر ذهاب العلماء : لم يبق منهم من يجتمع عليه العامة بالرضى والصحة إلا الثورى ، وقال عباس الدورى : رأيت ابن معين لا يقدم على الثورى فى زمانه أحدا فى كل شئ ، فالثناء عليه مشهور وهو أحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة — مالك ، وأبى حنيفة ، الشافعى ، وأحمد ، والأوزاعى ، والثورى — ولد الثورى سنة ٩٧ هـ ، وتوفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ رضى الله عنه.[١]

• سفيان بن عيينة :

هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن عمران الكوفى ثم المكى الهلالى ، كان من أتباع التابعين . أخذ الحديث عن الزهرى ، وعمرو بن دينار ، والشعبى ، وعبد الله بن دينار ، ومحمد بن المنكدر ، وخلائق من التابعين وغيرهم ، وتلقى الحديث عنه الأعمش والثورى وابن جريج وشعبة وهمام ووكيع وابن المبارك وابن مهدى والقطان والشافعى وأحمد بن حنبل وابن المدينى وابن معين وابن راهويه والحميدى وخلائق كثيرة لا يحصون من علماء الحديث والفقه . اتفق المحدثون على إمامته وفضله وبعد شأوه فى الحديث وحفظه ، قال أبو حاتم وغيره : أثبت الناس فى حديث عمرو بن

(١) تهذيب التهذيب جـ٤ صـ١١١ ، تهذيب الأسماء جـ١ صـ٢٢٢

دينار ابن عيينة وكان أعلم بحديث عمرو بن دينار من شعبة وقال يحيى القطان في حياة سفيان : سفيان إمام من أربعين سنة وقال أيضا : ما رأيت أحسن حديثا من ابن عيينة ، وقال الشافعي : ما رأيت أحدا أكف عن الفتيا من سفيان وما رأيت أحدا أحسن لتفسير الحديث منه ، وقال أحمد بن عبد الله : كان ابن عيينة حسن الحديث وكان يعد من حكماء أصحاب الحديث وقال ابن وهب : ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة ، ومناقبه كثيرة مشهورة ، ولد سفيان سنة ١٠٧ هـ ، وتوفي سنة ١٩٨ هـ رضي الله عنه (١)

« شعبة بن الحجاج »

هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن ورد الأزدي ولاء الواسطي ثم البصري. أصله من واسط ثم انتقل إلى البصرة فاستوطنها وهو من تابعي التابعين إمام جليل . وحافظ كبير من أعلام المحدثين وكبار المحققين تلقى الحديث عن أنس بن سيرين وعمرو بن دينار والشعبي وكثير من التابعين وغيرهم وأخذ عنه الحديث الأعمش وأيوب السختياني ومحمد بن إسحاق وهم من التابعين والثوري وابن مهدي ووكيع وابن المبارك ويحيى القطان وكثير لا يحصون من كبار الأئمة . أجمعوا على إمامته في الحديث وجلالته وتحريه واحتياطه وإتقانه قال الإمام أحمد : لم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث ولا أحسن حديثا منه وروى عن ثلاثين رجلا من الكوفة لم يرو عنهم سفيان الثوري ، وقال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وقال حماد ابن زيد : لا أبالي من يخالفني إذا وافقني شعبة لأن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث مرة ، وإذا خالفني شعبة في شئ تركته وقال سفيان الثوري شعبة أمير المؤمنين في الحديث ، وقال لمسلم بن قتيبة حين قدم من البصرة

---

(١) تهذيب التهذيب جـ٤ صـ١١٧ ، تهذيب الأسماء جـ١ صـ ٢٤٤

ما فعل أستاذنا شعبة ؟ وقال صالح بن محمد : أول من تكلم في الرجال شعبة ثم تبعه يحيى القطان ثم أحمد بن حنبل وابن معين ، وقال أحمد بن حنبل : كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن يعني علم الحديث وأحوال الرواة، وقال عبد الصمد : أدرك شعبة من أصحاب ابن عمر نيفا وخمسين رجلا ، توفي شعبة بالبصرة في أول (سنة ١٦٠) ستين ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة رحمه الله[1]

« عبد الرحمن بن مهدى »

هو الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان بن عبد الرحمن العنبرى البصرى اللؤلؤى إمام أهل الحديث في عصره والمعول عليه فيه . أخذ الحديث عن خالد بن دينار ومالك بن مغول ومالك بن أنس والسفيانين والحمادين وشعبة وخلائق من أعلام المحدثين ، وروى عنه ابن وهب وأحمد ابن حنبل وابن معين وابن المديني وإسحاق بن راهوية وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم . اتفق الأئمة على جلالته ورسوخه في نقد الرجال وفحص الأحاديث مع الورع والزهد والأمانة . قال أحمد بن حنبل : كان ابن مهدى خلق للحديث ، وقال ابن معين ما رأيت رجلا أثبت في الحديث من ابن مهدى ، وعن علي بن المديني أنه قال غير مرة : والله لو أخذت وحلفت بين الركن والمقام لحلفت بالله أني لم أر قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدى ، وكان عبد الرحمن بن مهدى يقول : لا يجوز أن يكون الرجل إماما حتى يعلم ما يصح وما لا يصح وحتى لا يحتج بكل شئ وحتى يعلم مخارج العلم ، وجاءه رجل فقال : يا أبا سعيد إنك تقول هذا ضعيف وهذا قوى وهذا لا يصح . فعمن تقول ذاك ؟ فقال ابن مهدى لو

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٤ صـ ٣٣٨ . تهذيب الأسماء جـ١ صـ ٢٤٤

تيت الناقد فأريه دراهم فقال هذا جيد وهذا ستوق وهذا بهرج أكنت تسأله عن ذلك أم تسلم الأمر إليه ؟ فقال بل كنت أسلم الأمر إليه ، فقال ابن مهدى هذا كذلك هذا بطول المجالسة والمناظرة والمذاكرة والعلم به ، ولد سنة ١٣٥ هـ ، وتوفى سنة ١٩٨هـ رحمه الله (١)

الأوزاعى :

هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الشامى الدمشقى . كان إمام أهل الشام فى عصره بلا نزاع . وكان أهل الشام والمغرب على مذهبه قبل انتقالهم إلى مذهب مالك رحمه الله ، وهو من أتباع التابعين ، سمع الحديث عن جماعات من التابعين كعطاء بن أبى رباح وقتادة ونافع مولى ابن عمر والزهرى ومحمد بن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه جماعة من التابعين من شيوخه كقتادة والزهرى ويحى بن أبى كثير وجماعات من أقرانهم ، وروى عنه أيضا من الأئمة الكبار سفيان ومالك وشعبة وابن المبارك وكثير غيرهم . أجمع العلماء على إمامة الأوزاعى وجلالته وعلو مرتبته وكمال فضله كما اتفقوا على كثرة حديثه ، وغزارة فقهه ، وشدة تمسكه بالسنة وبراعته فى الفصاحة ، عن عبد الرحمن بن مهدى قال : ما كان بالشام أحد أعلم بالسنة من الأوزاعى ، وقال أيضا : الأئمة فى الحديث أربعة . الأوزاعى ومالك وسفيان الثورى وحماد بن زيد ، وكان علماء عصره يجلونه غاية الإجلال ويكبرونه فى أنفسهم ويعترفون له بالإمامة والسبق والزهد والورع والجهر بالحق . قيل لأمية بن يزيد : أين الأوزاعى من مكحول قال هو عندنا أرفع من مكحول . فقيل له إن مكحولا قد رأى أصحاب النبى ﷺ قال : وإن كان قد رآهم فإن فضل الأوزاعى فى نفسه فقد

---

(١) ترتيب الأسماء جـ١ صـ٣٠٤ تهذيب التهذيب جـ٦ صـ١٧٩

جمع العبادة والورع والقول بالحق ، ولد الأوزاعى سنة ٨٨ هـ . ت سنة ١٥٧ هـ [1]

« الليث بن سعد »

هو الإمام الكبير والفقيه البارع والمحدث الحافظ أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى المصرى . كان من أتباع التابعين . أخذ الحديث عن عطاء بن أبى رباح ، وعبد الله بن أبى مليكة ، ونافع مولى ابن عمر ، وسعيد المقبرى والزهرى ، ويحى الأنصارى ، وأبى الزبير وكثير من التابعين وتابعيهم وتلقى عنه الحديث محمد بن عجلان وهشام بن سعد وهما من شيوخه وقيس بن الربيع وابن المبارك وابن وهب وابن لهيعة وعبد الله بن صالح وكثير من الأئمة . أجمع العلماء على إمامته وجلالته وعلو مرتبته فى الفقه والحديث وهو إمام أهل مصر فى زمانه ، قال الشافعى رحمه الله : كان الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه ، وقال محمد بن سعد كان الليث مولى لقريش وكان ثقة كثير الحديث ، وكان استقل بالفتوى فى زمانه بمصر وكان نبيلا سخيا ، وقال أحمد بن حنبل : الليث كثير العلم صحيح الحديث ليس فى هؤلاء المصرين أثبت منه ما أصح حديثه ، وقال أيضا : رأيت من رأيت فلم أر مثل الليث كان فقيه البدن عزب اللسان : يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر وحسن الذاكرة. ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين وتوفى سنة ١٦٥ خمس وستين ومائة [2]

« الإمام الشافعى رضى الله عنه »

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد بن عبد يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى يلتقى نسبه مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف ، والسائب بن عبيد أسلم

---

(١) تهذيب الأسماء جـ١ ص ٢٩٨

(٢) تهذيب الأسماء جـ٢ صـ ٧٣ – تهذيب التهذيب جـ٨ صـ٤٥٩

يوم بدر وابنه شافع بن السائب من صغار الصحابة ، وأم الشافعى من الأزد ولد الشافعى رحمه الله بغزة سنة ١٥٠ هـ ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه فنشأ بها وقرأ القرآن وأقام فى هذيل نحوا من عشر سنين فتعلم منهم اللغة والشعر وأخذ الفقه والحديث عن مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وغيره من الأئمة ، ثم قدم المدينة فلزم مالكا رحمه الله وأكرمه مالك لعلمه وفهمه وعقله وأدبه ، وقرأ الموطأ عليه حفظا فأعجبته قراءته فكان مالك يستزيده من القراءة لذلك وكان للشافعى حين قدومه المدينة ثلاث عشرة سنة قدم العراق سنة ١٩٥ هـ فاجتمع به جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو ثور والحسين بن على الكرابيسى والزعفرانى وغيرهم ، وصاروا يأخذون عنه وأملى عليهم مذهبه القديم ثم رجع إلى مكة وفى سنة ١٩٨ هـ رحل إلى العراق مرة أخرى فأقام بها مدة يسيرة وفى أواخر سنة ١٩٩ هـ انتقل إلى مصر فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٠٤ هـ وفى مصر ظهرت مواهبه ومقدرته العلمية وقصده الناس من سائر الأقطار للتفقه عليه والرواية عنه وأملى على تلاميذه كتبه الجديدة وفيها مذهبه المصرى أو الجديد ، وقد أجله المصريون حيا وميتا.

والشافعى هو الإمام الذى نشر مذهبه بنفسه بما قام به من الرحلات التى اكتسب فيها علوم الحجاز بين والعراقين وهو الذى كتب كتبه بنفسه وأملاها على تلاميذه ، ولم يعرف هذا لغيره من كبار الأئمة .

عناية الشافعى رضى الله عنه بالسنة :

كان الشافعى رضى الله عنه أعلم أهل عصره بمعانى القرآن والسنة وقد جمع فى مذهبه بين أطراف الأدلة مع الإتقان والتحقيق والغوص على المعانى ، وهو صاحب الفضل على أهل الآثار وحملة الحديث بتوقيفه إياهم على معانى السنة ونصرهم على مخالفيهم بواضح البراهين ، فأيقظهم بعد أن

كانوا غافلين وأصبحت لهم الكلمة العليا بعد أن كانوا خاملين وغلب في عرف العلماء على متبعي مذهبه لقب « أصحاب الحديث » وكثيرا ما كان ينهى رضى الله عنه عن ترك الكتاب والسنة إلى غيرهما من آراء الناس وأهوائهم قال : لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد ، وقال البويطي : سمعت الشافعي يقول : عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر الناس صوابا . وقال : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جزاهم الله خيرا حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل . قال محمد بن الحسن : إن تكلم أصحاب الحديث يوما فبلسان الشافعي وقال أحمد بن حنبل : « ما أحد مس بيده محبرة ولا قلما إلا وللشافعي في رقبته منة » وقال أحمد أيضا لمحمد بن مسلم بن واره أحد أئمة الحديث – وقدم من مصر : « كتبت كتب الشافعي فقال لا . قال : فرطت . ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي » وقال ابن خزيمة : وقد سئل هل سنة لم تبلغ الشافعي فقال : لا ، وقال داود بن علي الظاهري : « للشافعي من الفضائل مالم تجتمع لغيره من شرف نسبه وصحة دينه ومعتقده وسخاوة نفسه ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه وحفظ الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف » وقال الكرابيسي : « ماكنا ندرى ما الكتاب والسنة والإجماع حتى سمعناه من الشافعي وما رأيت مثل الشافعي وما رأيت أفصح منه وأعرف » .

هذا وإذا كان العلماء يعتبرون الإمام الشافعي أول من ألف في أصول الفقه فهو أيضا أول من ألف في أصول السنة وقوانين الرواية ورسم لعلماء الحديث طريقة التدوين في علوم السنة ، وأن كل من ألف بعد الشافعي في الحديث وعلومه إنما هم غارفون من بحاره . وأن من يقرأ كلامه عن

الحديث والمحدثين فى رسالة ثم يقرأ ما دونه علماء الحديث كابن الصلاح وغيره يرى أن الشافعى هو أستاذ الجميع فى هذه الفنون . فجزاه الله عن الحديث وأهله خير الجزاء [1].

« على بن المدينى »

كان من أئمة الحديث الممتازين لم يترك بابا من أبوابه إلا طرقه وبخاصة ما يرجع إلى الرجال والعلل ، وقد صنف فى ذلك الكتب الكثيرة التى لم يسبق إلى معظمها ولم يلحق فى كثير منها . لذا أثنى عليه العلماء وشهد له بالتقدم والمعرفة فسفيان بن عيينة وهو من شيوخه يقول « والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم منى » ، وقال البخارى : « ما استصغرت نفسى عند أحد قط إلا عند على بن المدينى » ، وقال أبو حاتم : « كان ابن المدينى علما فى معرفة الحديث والعلل » ، هذا وقد ذكر الحاكم فى معرفة علوم الحديث جملة وافرة من مؤلفاته تدل على رسوخ قدمه واتساع أفقه فى علوم السنة فمن ذلك كتاب الأسامى والكنى ثمانية أجزاء ، وكتاب الضعفاء عشرة أجزاء ، وكتاب المدلسين خمسة أجزاء ، وكتاب الطبقات عشرة أجزاء، وكتاب علل المسند ثلاثون جزءا وكتاب علل حديث ابن عيينة ثلاثة عشر جزءا ، وكتاب من لا يحتج بحديثه ولا يسقط جزءان ، وكتاب الكنى خمسة أجزاء وكتاب الوهم والخطأ خمسة أجزاء وكتاب من نزل من الصحابة سائر البلدان خمسة أجزاء وكتاب من حدث ثم رجع عنه جزءان ، وكتاب اختلاف الحديث خمسة أجزاء ، وكتاب العلل المتفرقة ثلاثون جزءا، وكتاب مذاهب المحدثين جزءان إلى غير ذلك من مصنفاته الباهرة التى تدل على تبحره وتقدمه وكمال معرفته ، توفى رحمه الله سنة ٢٣٤ هـ [2]

---

(١) البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١ ٢٥١ ـ تهذيب الأسماء واللغات جـ١ صـ ٤٤ تاريخ التشريع الإسلامى للخضرى صـ ٢٤

(٢) تهذيب الأسماء : للنووى جـ١ صـ ٣٥٠ – معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧١.

من أئمة القرن الثاني الهجرى الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان ولد سنة ثمانين من الهجرة وعاش إلى سنة خمسين ومائة .

والتقى أبو حنيفة رضى الله عنه ببعض الصحابة رضوان الله عليهم من أمثال أنس بن مالك الذى توفى سنة ثلاث وتسعين ، وسهل بن سعد المتوفى سنة ثمان وثمانين وأبى الطفيل المتوفى سنة اثنين ومائة وعلى هذا فأبوحنيفة يعدُّ من التابعين على رأى من يكتفى فى التابعى بأنه من لقى الصحابى وإن لم تكن بينهما صحبة . وأما على الرأى القائل بأن التابعى من رأى الصحابى ، وحدثت بينهما صحبة وتلقى عنه فلا يكون تابعيا إلا إذا رجحنا ما يقال بأنه روى عن بعض الصحابة المذكورين وهذا ما لم يلجأ إليه كثير من العلماء .

وعلى أية حال ، فمهما يكن الأمر فى شأن روايته عن الصحابة فالعلماء يجمعون على أنه التقى بالتابعين وجالسهم ، وروى عنهم ، وأخذ فقههم ، وقد اختلف مناهج الذين روى عنهم ، فقد كان من بينهم من هو مشهور بالأثر كالشعبى ، وكان من بينهم من هو مشهور بالرأى وهم كثيرون وكان أبو حنيفة مولعا بالمناظرة والجدل منذ شب فى طلب العلم روى أنه جادل نحو اثنتين وعشرين فرقة ، وجادل وهو كبير دفاعاً عن الدين ، روى أنه جادل الدهرية مرة ، فأفحمهم ووجههم إلى الإيمان بالله الخالق قال لهم : « ما تقولون فى رجل يقول لكم : إنى رأيت سفينة مشحونة ، مملوءة بالأمتعة والأحمال قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس فيها ملاح يجريها ويقودها ، ولا متعهد يدفعها ويسوقها هل يجوز ذلك فى العقل ؟

فقالوا : لا هذا شئ لا يقبله العقل ، ولا يجيزه الوهم .

فقال أبو حنيفة رحمه الله : فيا سبحان الله إذا لم يجز فى العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أمورها وأعمالها وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها ؟ !

وكان أبو حنيفة من أوائل الفقهاء الذين يقبلون أحاديث الآحاد ويحتجون بها ويجعل السنة النبوية بعد القرآن الكريم فيعتمد فى فقهه أولا على القرآن الكريم ثم على الحديث إذا ثبت عنده برواية الثقات ، ويقدمه على القياس .

ومنهج أبي حنيفة فى قبول خبر الآحاد يقوم على اشتراط كون راويه فقيها وألا يخالف السنه المشهورة ولا المتوارث بين الصحابة والتابعين ولا عمومات الكتاب وألا يكون فيما تعم به البلوى ومنه الحدود والكفارات وألا يكون أحد السلف طعن فيه ، وألا يعمل الراوى بخلاف خبره ، وألا ينفرد بزيادة فى الحديث عن الثقات .

ولأبى حنيفة مسند من الأحاديث مرتب على الأبواب الفقهية ، ومبوب على حسب الأحكام ، وقد رجح كثير من العلماء أن هذا المسند المنسوب إلى أبى حنيفة من رواية أصحابه عنه ، تلقوه كما تلقوا فقهه بأن دونوا مايذكره لهم فى درسه ثم جمعوا تلك المرويات فرتبوها وبوبوها ونشروها .

ولكن الحافظ ابن حجر يقرر فى كتاب « تعجيل المنفعة » أن المسند المنسوب إلى أبى حنيفة ليس من جمعه وأن الموجود من حديثه إنما هو كتاب الآثار الذى رواه محمد بن الحسن ، ويوجد فى تصانيف محمد بن الحسن وأبى يوسف قبله من حديث أبى حنيفة أشياء أخرى .

وأما صاحب كشف الظنون ، فقد ذكر رواية مسند أبى حنيفة وأشار إلى ماذكره الخوارزمى المتوفى (سنة ٦٦٥) حين سمع البعض ينسب أبا

حنيفة إلى قلة رواية الحديث مستدلا بمسند الشافعي وموطأ مالك وأن أبا حنيفة لا مسند له فجمع خمسة عشر من مسانيده التي جمعها له فحول العلماء .

وقام بتدوينها على ترتيب أبواب الفقه ، وحذف المكرر والمعاد ، وترك تكرير الإسناد ، هذا هو ملخص منهج هذا المسند في التدوين وهذا المسند لم تكن إضافته إلى أبي حنيفة كإضافة الموطأ إلى مالك إذ أن مسند أبي حنيفة روايات عنه لم يجمعها ولم يبوبها وإنما رتبها وبوبها من رواها .

أما الموطأ فإن الإمام مالكا رضي الله عنه قد دونه ورواه عنه غيره مبوبا ومرتبا ، وكون مسند أبي حنيفة ليس كذلك لا يقدح في صحة نسبته وذكر العلماء لأبي حنيفة مسانيد أخرى للدار قطني وابن شاهين والخطيب وابن عقدة ومسند أبي حنيفة لابن عقدة يشتمل على ألف حديث .

وفي هذا كله ما يرد عنه ما قيل من أنه قليل البضاعة في الحديث وأنها دعوى باطلة يقول الحافظ محمد بن يوسف الصالحي الشافعي محدث الديار المصرية : « كان أبو حنيفة من كبار حفاظ الحديث وأعيانهم ، ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ماتهيأ له استنباط مسائل الفقه ... » وذكره الذهبي في طبقات الحفاظ .

وأما السبب في قلة الرواية عنه فلأنه كان مشتغلا بالاستنباط ، وكذلك لم يرو عن مالك والشافعي إلا القليل ، بالنسبة إلى ما سمعاه لهذا السبب .

وهو وإن لم يدون حديثه وفقهه بنفسه إلا أنه أشار على أصحابه وتلاميذه بالتدوين وأرشدهم إلى ذلك ، فكان هذا التوجيه منه بمثابة تدوينه هو لدرجة أنه جاء في المناقب للمكي ما نصه : « أبو حنيفة أول من دون علم هذه الشريعة . والمقصود بالتدوين ماصنعه تلاميذه بإرشاد منه ، حيث رأى أن

الصحابة والتابعين لم يضعوا الكتب اعتماداً على حفظهم وفهمهم فخاف ضياع العلم بعد ذلك بموت العلماء ، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

ومن أئمة الحديث الإمام أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من تابعي التابعين ، أجمع العلماء على إمامته في الحديث والفقه يقول عنه أبو عاصم : الثوري أمير المؤمنين في الحديث ولد سنة سبع وتسعين وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة .

وللثوري منهجه في تحمل الحديث وأخذه وتدوينه وجمعه ، فقد حرص على كتابته بيده مخافة الوقوع في وهم أو خطأ ، هذا مع حفظه القوي أي أنه ما كان يكتفي بالحفظ وحده ولا بالكتابة وحدها بل يرى من تمام الحيطة للحديث والمحافظة عليه أن يجمع بين الحفظ والكتابة .

ولكنه في كتابته للحديث تميز بمنهج قويم يميز فيه أنواع ما يكتبه ، فيكتب الحديث الصحيح ليميز صحته للناس فيتخذ دينا ، وأما ما يتوقف في صحته فإنه لا يطرحه بل يكتبه لعل من بعده يصل إلى معرفة درجته ، كما يكتب الضعيف ليعرف الناس به حتى لا يلتبس بالصحيح وحتى لا يأتي أحد الكذابين فيضع له إسنادا صحيحا ليوهم الناس به يقول – رحمه الله – : « إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه : حديث أكتبه فأرقفه لا أطرحه ولا أدين به ، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به » [1]

كما عني عناية فائقة بالإسناد وهو الطريق الموصلة إلى متن الحديث ولفظه يشترط في سلسلة الإسناد وهم الرجال أن يكونوا ثقات ، بأن يكونوا عدولا ضابطين فإذا لم تتحقق ثقة الرواي أو الثقة بمن روى عنه لا يقبل حديثه ، وعلى طالب الحديث لا يأخذ مثل هذا

(1) جامع بيان العلم لابن عبد البر

وفى هذا يقول سفيان رحمه الله : إذا حدثك ثقة عن غير ثقة فلا تأخذه وإذا حدثك غير ثقة عن ثقة فلا تأخذه ، وإذا حدثك ثقة عن ثقة فخذه [1].
ونظرته إلى إسناد الحديث هامة ودقيقة ، فهو يقول : الإسناد سلاح المؤمن إذا لم يكن معه سلاح فبأى شئ يقاتل

ومن مصنفاته : « الجامع الكبير » وهو من أوائل ماصنف فى الإسلام ، وقد ظهر كتابه فى الكوفة فكان أول كتاب فيها ، وكان مكونا من كتب وكل كتاب تحته أبواب يشتمل عليها.

واختصر الإمام الثورى كتابه « الجامع الكبير » فى كتابه « الجامع الصغير » ومن مصنفاته أيضا « الفرائض » وهو يتكون من أبواب ذكر فى كل باب آراء بعض الصحابة الذين أفتوا فى تلك المسائل وله كذلك كتاب « التفسير وسوره ».

وقد جلس الإمام سفيان الثورى للتدريس فى سن مبكرة ، وأول جلوسه للتدريس بخراسان وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وفى هذا دلالة على حسن تحصيله وحفظه وغزارة علمه .

ودرس الحديث فى مكة المكرمة ، وفى اليمن والبصرة والشام ، وكان يدرس فى مكة المكرمة فى المسجد الحرام ، وكان مجلسه العلمى يضم عددا كبيرا من طلاب العلم بل ومن كبار المحدثين من أمثال ابن عيينة ،وزهير ، وإسماعيل بن أبى خالد ، وفى حرص من كبار المحدثين على حضور مجلسه ما يدل على تقدير العلم والحرص على تحصيله بحيث لا يترفع عن التعلم أحد مهما كانت منزلته فى العلم ومهما كان عمره ، فالعلم لا حدود له ، يطلبه الإنسان من المهد إلى اللحد .

---

(1) الجرح والتعديل لا بن أبى حاتم .

وكان مجلسه العلمى فى المسجد الحرام يقدر بنحو خمسمائة ، وكـ
إذا جلس يستقبل القبلة ، ويلتف الحفاظ حوله ، ويتخير للقراءة أفصح القر
لسانا. فيقول : ليقرأ على أفصحكم لسانا ، فإنى أسمع اللحنة فيتغير لها
قلبى.

وفى هذا حرص شديد على استقامة اللسان ، وسلامة النطق والمحافظة على
قواعد اللغة ، لما فى ذلك من سلامة المعنى ، وزيادة إيضاحه ، وتقرير
الحقائق العلمية دون لبس أو غموض.

وفى عصر سفيان صنفت كتب مرتبة على أبواب الفقه : اشتملت على
السنن وما له صلة بها منها ما هو « مصنف » ومنها ما هو « جامع »
كجامع سفيان ، وجامع أبى عروة معمر بن راشد المتوفى سنة ثلاث
وخمسين ومائة وكتاب الآثار لمحمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة .

ومنها كذلك كتب نهجت على جمع أحاديث الآداب والأخلاق
الترغيب والترهيب والفضائل ككتاب الذكر والدعاء لأبى يوسف صاحب
ى حنيفة .

ومن بين المصنفات التى صنفت فى القرن الثانى الهجرى ، كتب فى أبواب مخصوصة أى أنها ليست جامعة كالجوامع الأخرى التى تجمع بين العديد من الأبواب ، وتكون مرتبة ، ترتيبا فقهيا بل إنها فى أبواب مخصوصة وموضوعات معينة ، ولهذا المنهج ثمرته فى استقصاء ما يتصل بموضوعه من الأحاديث ، ويعتبر مرجعاً أصيلا فى بابه ، كما كان لهذا المنهج أثره فى جمع الطرق والروايات المتعددة فى الموضوع الواحد مما يساعد المصنفين على الأبواب ، والمؤلفين لجوامع الكتب على تناول ما يحتاجون إليه من الأحاديث بسهولة .

وممن صنف في هذا أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزى من تابع التابعين ولد سنة ثمانية عشر ومائة وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة .

وقد جمع ابن المبارك بين العلم والعمل ، وبين التعليم والتصنيف ، وبين العديد من خصال الخير ومكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، فهو نموذج من النماذج العالية لطلاب العلم والعلماء ، وقد اجتمع فريق من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى ومخلد بن الحسين فقالوا : تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ، فقالوا : جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والسلامة فى رأيه ، وقلة الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه .

وكان ابن المبارك يعتمد فى علمه وفقهه على الكتاب والسنة ، وكان يتحرى الدقة فى أسانيد الحديث ، ويرى أن الإسناد من الدين فبالإسناد يتميز صحيح الحديث من غيره .

ولهذا كان يقول : الإسناد عندي من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء ، أي لولاه لاستطاع الوضاعون والكذابون أن يدسوا كما شاءوا ، وقد سئل : عمن يأخذ ؟ قال : من طلب العلم لله ، وكان في إسناده أشد .

ومن مصنفاته : « تفسير القرآن » و « السنن في الفقه » وكتب التاريخ وكتاب الزهد ، وكتاب البر والصلة وآخر في الفتاوى وكتاب في الرقاق ، وكتاب أربعين في الحديث .

ويعتبر كتابه « الجهاد » أول مؤلف صنف في هذا الموضوع في ذلك القرن وموضوع الجهاد من الأبواب الهامة في السنة النبوية ولا يخلو منه كتاب من كتبها ، وقد خصص له كثير من المحدثين مؤلفا قائما بذاته ككتاب ابن المبارك وهو كتاب جمع فيه أحاديث الجهاد وأول حديث في الجزء الأول من هذا الكتاب هو مارواه ابن المبارك بسنده ، عن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا بيننا ، فقلنا : أيكم يأتي رسول الله ﷺ يسأله : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : فهبنا أن يقوم منا أحد ، قال : أرسل إلينا رسول الله ﷺ رجلا رجلا حتى جمعنا ، فجعل يشير بعضنا إلى بعض فقرأ علينا ﴿ سبح لله مافي السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾[1] من أولها إلى آخرها فتلاها علينا عبد الله بن سلام من أولها إلى آخرها ، قال هلال فتلاها علينا عطاء بن يسار من أولها إلى آخرها ، قال الأوزاعي : فتلاها علينا يحى من أولها إلى آخرها ، ومعلوم ما في سورة « الصف » من الدعوة إلى الجهاد صفا واحدا ومحبة الله للمؤمنين المجاهدين كذلك ، ثم توضيح ثمرة الجهاد عند الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الصف آية ١ ، ٢

وأول حديث في الجزء الثاني من الكتاب هو ما رواه ابن المبارك بسنده عن موسى بن أنس قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾[1] قال : فقعد ثابت بن قيس في بيته وقال : لا أراني إلا كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ فافتقده النبي ﷺ فسأل عنه ، فقال رجل من القوم إن شئت علمت لك علمه يا رسول الله ، فوجده منكر الوجه فقال : إن رسول الله ﷺ افتقدك وسأل عنك فقال : إني كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية وأنه من أهل النار ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال ، قال موسى بن أنس ، فأتاه المرة الثانية ببشارة عظيمة ، فقال له : إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة .

وهذان نموذجان لما في الكتاب من الأحاديث عن الجهاد ، ويبلغ عددها حوالى اثنين وستين ومائتى حديث ، أخرج الكثير منها الإمام البخارى والإمام مسلم وأصحاب السنن بعد ذلك وغيرهم .

(١) سورة الحجرات آية ٢ ، ٣

يعد كتاب « الموطأ » للإمام مالك من أوائل ماصنف فى الأحاديث الصحيحة ، المرتبة على الأبواب ، وسمى هذا الكتاب القيم بالموطأ ، لأن صنفه ووطأه للناس ويسر به العلم ومهده ، وقيل لأن مالكا عرضه على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فتواطئوه عليه - أي وافقوه - فسمى موطأ. وروى أن الخليفة المنصور لقى مالكا فى الحج ، وطلب إليه أن يجمع أحاديث الرسول ﷺ قائلا له يا أبا عبد الله لم يبق فى الناس أفقه منى ومنك فاجمع هذا العلم ودونه ووطئه للناس توطئة وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع على الأئمة والصحابة .

وللموطأ مكانته ، يقول عنه أبو بكر بن العربى : الموطأ هو الأصل الأول واللباب وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى .

وأما منهج الإمام مالك فى الموطأ : فيقوم على طريقة التصنيف على الأبواب وأنه يذكر فى مقدمة الموضوع ما ورد فيه من حديث رسول الله ﷺ وسلم ثم ما ورد فيه من الآثار عن الصحابة والتابعين وقل أن يكونوا من غير أهل المدينة ، وأحيانا يذكر بعض الآراء الفقهية له ، وأحيانا يذكر ما عليه العمل أو الأمر المجتمع عليه فى المدينة ، وقد يأتى بعد ذكر الحديث بتفسير كلمة لغوية أو يبين المراد من بعض العبارات .

ويوضح الإمام منهجه فى ذلك ، ومراده برأيه ، فيقول : أما أكثر مافى الكتاب برأيى فلعمرى ما هو برأيى ، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين أخذت عنهم وهم الذين كانوا يتقون الله .

ومنهجه بالنسبة للرواة حدده تحديداً واضحاً إذ بين من يؤخذ عنه ومن لا يؤخذ عنه ، فكان ينتقى الرواة ويميز بينهم ، يشترط فيهم شروطه السابقة التى تجمع بين العلم والعمل ، وبين العدالة والضبط ، فهو يتبع فى الرواية أعلى سمات التوثيق .

ولهذا التحرى الشديد فى الرجال كان يحى بن معين ، يوثق الرجال لرواية مالك عنه ، ويقول على بن المديني : إذا حدث مالك عن رجل من أهل المدينة ولا نعرفه فهو حجة لأنه كان ينتقى .

وتميز ماجمعه من الأحاديث بالصحة وعدم الغرابة ، وكان لما جمعه صلته القوية ، بالحياة العملية ، ولذا اشتدت حاجة الناس إلى عمله على مختلف طبقاتهم .

وأما درجة الموطأ فقد وضح العلماء أن كل أحاديثه صحيحة ، وأن أسانيده قد وردت متصلة ، وأما ما فيه من المرسل والمنقطع وما جاء فيه من قوله : « بلغنى ومن قوله عن الثقة » فقد وصلها العلماء وبينوا ورودها مسندة ، سوى أربعة أحاديث تناولها العلماء بالبحث وحكموا بوصلها .

وللموطأ روايات كثيرة ، ونسخ عديدة من أهمها نسخة يحي بن يحي الليثى ، ونسخة محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة ، ونسخة أحمد بن أبي بكر القاسم قاضى المدينة .

وشرح الموطأ كثير من العلماء منهم : ابن عبد البر ، والسيوطى ، والزرقانى ، وعبد الحى بن محمد الكنوى ، وقطب الدين أحمد بن عبد الرحيم .

وإليك أيها القارئ الكريم نموذجاً مما جاء فى الموطأ « ماجاء فى الدعاء »

عن مالك عن يحي بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن عائشة أم المؤمنين قالت : كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل فلمسته بيدى فوضعت يدى على قدميه وهو ساجد يقول : « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ومن كتب السنة « مسند » الإمام الشافعي رحمه الله تعالى . وقبل أن نعرف بعناية الإمام الشافعي بالسنة نعرف به ، فهو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب يلتقى نسبة مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف ولد بغزة سنة خمسين ومائة ١٥٠هـ ، وتوفى والده وهو صغير ، فنقلته والدته إلى مكة المكرمة وهو ابن سنتين .

وفى مكة المكرمة قرأ القرآن الكريم وأقام فى هذيل نحوا من عشر سنين فتعلم منهم اللغة والشعر وأخذ الفقه والحديث عن مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وغيره من الأئمة .

وفى المدينة المنورة أخذ العلم عن الإمام مالك ، وقرأ عليه الموطأ ، كما أخذ عن إبراهيم بن أبى يحى ، ولم يلبث أن ذاع صيته وصار يقصده الناس من كل مكان ، جلس أحمد بن حنبل مرة معه ، فجاء أحد إخوانه يعتب عليه تركه مجلس ابن عيينة شيخ الشافعى ، وجلوسه إلى هذا الأعرابى فقال له أحمد : اسكت إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده ، ما رأيت أحداً أفقه بكتاب الله من هذا الفتى .

وقد تولى الحكم بنجران من أرض اليمن ، وعاد إلى مكة ثم قدم العراق ثم رجع إلى مكة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة رحل إلى العراق للمرة الثالثة وفى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة انتقل إلى مصر فأقام بها إلى أن توفى سنة ٢٠٤هـ أربع ومائتين .

وفى مصر كان مذهبه الجديد ، وكانت مصنفاته الخالدة التى رواها عنه تلاميذه « كالأم » و « الرسالة » وكتاب « السنن » ، وكانت له عنايته الفائقة بالسنة حتى غلب على متبعى مذهبه لقب « أصحاب الحديث »

وكان أهل بغداد يطلقون عليه « ناصر السنة » .

وكان ينهى عن ترك الكتاب والسنة إلى غيرهما من آراء الناس وأهوائهم يقول : لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد ونظرته إلى أهل الحديث تشير إلى منزلتهم وأهميتهم فهو يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ، جزاهم الله خيراً حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل . ومن شعره فى ذلك :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه « قال حدثنا » ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وكتابه « الأم » جمعه صاحبه البويطى ويرويه الربيع بن سليمان وهو يشمل أبواب الفقه كلها ، وأما كتاب الرسالة فهو أول كتاب ألف فى أصول الفقه وأصول الحديث .

ويعتبر الإمام الشافعى أول من ألف فى أصول السنة ، وقوانين الرواية ومهد العلماء من بعده طريقة التأليف والتدوين فى علوم السنة والإمام الشافعى فى مقدمة المحدثين الذين يرون صحة الحديث برواية الثقة ولو كان الروای واحداً ، وساق الأدلة على حجية خبر الواحد ورد على المخالفين فى كتابيه « الأم » و « الرسالة » .

ولا يحتج الإمام الشافعى بالأحاديث المرسلة أخذا بالأحوط وخالف فى ذلك الكثير من العلماء وقبله ولكنه نص على أن الأحاديث المرسلة التى أرسلها سعيد بن المسيب حسنة لأنه تتبعها فوجدها مسندة ، كما يرى أن مراسيل ، كبار التابعين حجة إن جاءت من وجه آخر ولو مرسلة ، أو اعتضدت بقول صحابى أو أكثر العلماء ، أو كان المرسل لو سمى لا يسمى إلا ثقة ، فحينئذ يكون مرسله حجة ولا ينهض إلى رتبة المتصل ، وأما مراسيل غير كبار التابعين فلا يحتج بها ، هكذا كانت موازينه العلمية

المدينة ، وعنايته بسنة رسول الله ﷺ.

« يحيى بن معين »

هو أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت إليهم الزعامة فى الحديث — أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . وعلى بن المدينى . وأبو بكر بن أبى شيبة — سمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينة وابن مهدى وهشيم ووكيع وغيرهم وسمع منه أبو زرعة الرازى وأبو حاتم والبخارى ومسلم وأبو داود وكثير غيرهم . أجمع العلماء على إمامته وجلالته فى هذا الشأن لا سيما ما يتعلق بالجرح والتعديل وكشف حال الكذابين مع التثبت والتمكن حتى رووا عنه أنه استقبل القبلة ورفع يديه يقول : (اللهم إن كنت تكلمت فى رجل ليس هو عندى كذابا فلا تغفر لى) ، ورووا عنه أنه قال : (لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما علقناه) . قال فيه أحمد بن حنبل : (السماع من يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور) وقال أيضا : (يحيى بن معين رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين وكل حديث لا يعرفه يحيى ليس بحديث) وقال ابن المدينى : (ما رأيت فى الناس مثله) وقد عده الحاكم فى كتابه علوم الحديث من فقهاء المحدثين . توفى بالمدينة المنورة سنة (٢٣٣) ودفن بالبقيع ، ونودى يوم وفاته : هذا الذى كان ينفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ(١) .

« أبو بكر بن أبى شيبة »

هو الحافظ المتقن عبد الله بن محمد بن أبى شيبة الكوفى ، روى عن أبى الأحوص وابن المبارك وشريك وهشيم وجرير بن عبد الحميد ووكيع وابن علية وابن مهدى وابن القطان وابن عيينة ويزيد بن هارون وخلق كثير .

---

(١) تهذيب الأسماء للنووى جـ١ صـ ١٥٦ — الفهرست لابن النديم ص ٣٢٢ — معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ .

وروى عنه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه ، وروى له النسائى بواسطة أحمد بن على القاضى ، وابنه أبو شيبة إبراهيم ، وأحمد بن حنبل ومحمد بن سعد وأبو زرعة وأبو حاتم وعبد الله بن أحمد بن حنبل وإبراهيم الحربى وكثير غيرهم . كان أبو بكر ثقة حافظا للحديث أثنى عليه بالحفظ والإتقان كثير من أهل عصره ، قال أبو عبيد القاسم : (انتهى العلم إلى أربعة : فأبو بكر أسردهم له وأحمد أفقههم فيه ويحى أجمعهم له وعلى أعلمهم به) ، وقال صالح بن محمد : (أعلم من أدركت بالحديث وعلله على بن المدينى وأعلمهم بتصحيف المشايخ يحى بن معين وأحفظهم عند المذاكرة أبو بكر بن أبى شيبة). وقال أبو زرعة الرازى : (ما رأيت أحفظ من أبى بكر بن أبى شيبة) وقال ابن حبان : كان متقنا حافظا دينا ممن كتب وجمع وصنف وذاكر وكان أحفظ أهل زمانه للمقاطيع . توفى رضى الله عنه (سنة ٢٣٥) [1] .

(أبو زرعة الرازى)

هو عبد الله بن عبد الكريم أحد الحفاظ المشهورين أثنى عليه أهل عصره بالعلم والورع والحفظ وشهدوا له بالتفوق على أقرانه . قالوا : كان يحفظ سبعمائة ألف حديث.وكان فى شبيبته إذا اجتمع بأحمد بن حنبل اقتصر أحمد على الصلوات المكتوبات ولا يفعل المندوبات اكتفاء بمذاكرته وحسبك هذا من مثل أحمد بن حنبل دليلا على إتقان أبى زرعة وحفظه وضبطه . روى الحاكم فى معرفة علوم الحديث : (لما انصرف قتيبة بن سعيد إلى الرى سألوه أن يحدثهم فامتنع وقال : أحدثكم بعد أن حضر مجلسى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى وأبو بكر بن أبى شيبة وأبو خيثمة ، فقالوا له : إن عندنا غلاما يسرد كل ما حدثت بـه

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٢ .

مجلسا مجلسا . قم يا أبا زرعة فقام أبو زرعة فسرد كل ما حدث به قتيبة فحدثهم قتيبة) وعده الحاكم فى فقهاء الحديث فى كتابه المذكور . توفى رحمه الله سنة (٢٦٤)[1]

« أبو حاتم الرازى »

هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلى الرازى أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل وهو قرين أبى زرعة سمع الكثير وطاف الأقطار وروى عن كثير من الأئمة الكبار . جاء عنه أنه قال لابنه عبد الرحمن : يا بنى مشيت على قدمى فى طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ ، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم يقول : من أغرب علىّ بحديث واحد صحيح فله على درهم أتصدق به قال مرادى (سمع ما ليس عندى) فلم يأت أحد بشئ من ذلك وكان من جملة من حضر أبو زرعة الرازى ، أجمعوا على جلالته وعلو شأنه فى الحديث وعلله وعده الحاكم من فقهاء الحديث . توفى رحمه الله سنة (٢٧٧)[2]

« محمد بن جرير الطبرى »

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى . ولد بآمل سنة (٢٢٤) واستوطن بغداد حتى توفى بها ، وكان يعد فى طبقة الترمذى والنسائى ، سمع كثيراً من شيوخ البخارى ومسلم وغيرهم وحدث عنه كثير من العلماء منهم أحمد بن كامل ، ومحمد بن عبد الله الشافعى ومخلد بن جعفر ، كان ابن جرير من أكابر الأئمة يحكم بقوله ويرجع إلى

---

(١) تاريخ ابن كثير جـ ١١ ص ٣٧ . معرفة علوم الحديث ص ٧٥ وما بعدها

(٢) تاريخ ابن كثير جـ ١١ ص ٥٩ . معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٦

معرفته وعلمه حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات كلها بصيرا بالمعانى فقيها فى الأحكام عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، وله من المصنفات كتابه المشهور (تاريخ الأمم والملوك) وكتاب التفسير الذى قال فيه أبو حامد الإسفرائينى : (لو سافر رجل إلى الصين ليحصل تفسير ابن جرير الطبرى لم يكن هذا كثيرا) وكتاب (تهذيب الآثار) إلا أنه لم يتمه ولو تم لكان آية فى علوم السنة ؛ ابتدأ فيه بما رواه أبو بكر الصديق وتكلم على كل حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججهم واللغة ثم مسند العشرة وأهل البيت والموالى وقطعة من مسند ابن عباس وهو من عجائب كتبه قال ابن كثير فى التاريخ وقد رأيت له كتابا جمع فيه أحاديث (غدير خم) فى مجلدين ضخمين وكتابا جمع فيه طرق حديث الطير ، توفى رحمه الله سنة (٣١٠) .[1]

ابن خزيمة

هو محمد بن إسحاق أبو بكر بن خزيمة النيسابورى إمام الأئمة رحل إلى الرى وبغداد والبصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط ، وسمع الحديث من خلق كثير منهم إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد الرازى ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما فى صغره ، وحدث عن محمود بن غيلان ومحمد بن أبان المستملى وإسحاق بن موسى الخطمى وأبى قدامة السرخسى وغيرهم ، وروى عنه الأئمة الكبار كالبخارى ومسلم خارج الصحيح ومحمد ابن عبد الله بن عبد الحكم شيخه ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو على النيسابورى وإسحاق بن سعد النسوى وخلائق كثير .

---

(١) تاريخ ابن كثير جـ١١ ص ١٤٥ وما بعدها - ومفتاح السنة ص ٣٣ طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٣٥ .

كان ابن خزيمة قبلة العلم والعلماء وإماما يقصده الناس من كل ناحية .

كالبحر يقذف للقريب جواهرا كرما ويبعث للقريب سحائبا

وكان شديد التحرى للحديث حتى ليتوقف فى التصحيح لأدنى كلام يقال فى الإسناد . روى الحاكم عن أبى العباس بن سريج أنه قال فيه : (أنه يخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش) وقال الربيع بن سليمان: (استفدنا من ابن خزيمة أكثر مما استفاد منا) وقال محمد بن حبان التميمى : (ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق) وقال الدارقطنى : كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظر عده الحاكم من فقهاء الحديث قال : (ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء فإن فقه حديث بريرة ثلاثة أجزاء ومسألة الحج خمسة أجزاء) وله كتاب الصحيح وهو من أجل كتب الحديث يتلو صحيح مسلم بن الحجاج على ماذكره السيوطى فى ألفيته إلا أنه قد انعلم أكثره . توفى رحمه الله سنة (٣١١)[1]

٤- محمد بن سعد كاتب الواقدى :

هو الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع القرشى الهاشمى ولاء البصرى ثم البغدادى . كان أبوه مولى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى .ولد بالبصرة سنة ١٦٨ وتوفى ببغداد (سنة ٢٣٠) .

روى عن محمد بن عمر الواقدى ، وبه تخرج ، وعن ابن علية وسفيان ابن عيينة ويزيد بن هارون الواسطى وعبيد الله بن موسى العبسى ، وأبى نعيم

---

(١) الطبقات الكبرى للشافعية جـ٢ ص ١٣٠ . معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٨٣ - الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٧ .

الفضل بن دكين الكوفي وغيرهم من شيوخ الرواية بالبصرة والكوفة وواسط وبغداد ومكة المكرمة والمدينة المنورة والشام واليمن ومصر وسائر البلاد وهو من المكثرين جدا من الرواية عن شيوخ الأمصار وعمدته في العلم ذلك البحر المواج محمد بن عمر الواقدى وممن روى عنه مصعب الزبيرى والحارث محمد بن أبي أسامة صاحب المسند ، وأحمد بن عبيد بن ناصح الهاشمي ، وأحمد بن يحيي بن جابر البلاذرى صاحب فتوح البلدان وأبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ، والحسين بن محمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن فهم راوية الطبقات الكبرى عن ابن سعد وهو الذى قال عن شيخه : (كان كثير العلم كثير الكتب كتب الحديث والفقه والغريب) .

كان ابن سعد مرضيا عند الرواة حيث لم يلابس الفتن الهوجاء في عهد المأمون وبعده فأمكنه ذلك نشر علمه وعلم أستاذه وبقيت كتبه محفوظة مقبولة عندهم ومن أهمها كتاب الطبقات الكبير جمع فيه صفوة ما ذكره علماء السير أمثال الشعبي ، والأوزاعي ، وموسى بن عقبة ، ومحمد ابن إسحاق الواقدى . ذكر في هذا الكتاب أخبار الأنبياء عليهم السلام وسائر آباء سيد المرسلين وخاتمهم محمد ﷺ تمهيدا لذكر سيره ومغازيه عليه السلام وبعد أن انتهى من السيرة النبوية ذكر طبقات الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى وقته ووزعهم على أمصار المسلمين : المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والشام ، واليمن ، ومصر ، والكوفة ، والبصرة ، وبغداد ، وسائر البلدان ، وهو أقدم كتاب متوارث في موضوعه لا يستغنى عنه محدث ولا فقيه ولا مؤرخ وقد أجاد فيه وأحسن . لكن ليس كل ما فيه من الروايات قويا بل بين أسانيده ما هو مقطوع أو مرسل . وإنما فعل ذلك ليستوفى جميع ما ورد في الموضوع الذى يبحث عنه . وتمحيص هذه الأسانيد عين عند أهل العلم . هذا والذين جاءوا بعد ابن سعد ممن كتب في الرجال هم

... على علمه ومع ذلك فقد فاتهم ترتيبه وسياق أسانيده بسبب اختصارهم[1].

« إسحاق بن راهويه »

هو إسحق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم أبو يعقوب الحنظلى المروزى المعروف بابن راهويه – راهويه لقب أبيه إبراهيم – كان من أئمة المسلمين والعلماء البارزين . جمع إلى إمامته فى الحديث إمامته فى الفقه وبراعته فيه مع الحفظ والصدق والورع والزهد . رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام وسمع جرير بن عبد الحميد الرازى ، وإسماعيل بن علية ، وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ، وبقية بن الوليد ، وعبد الرزاق بن همام ، والنضر ابن شميل وآخرين ، وروى عنه محمد بن إسماعيل البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، ومحمد بن نصر المروزى ، وأبو عيسى الترمذى ، وأحمد بن سلمة وكثير غيرهم ، وروى عنه من قدماء شيوخه يحيى بن آدم[2]، وبقية بن الوليد ، ومن أقرانه أحمد بن حنبل ، وكان رحمه الله مضرب المثل فى الحفظ والإتقان والإمامة والصدق . قال عن نفسه : (أعرف مكان مائة ألف حديث كأنى أنظر إليها وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة فقيل له ما معنى حفظ المزورة؟ قال إذا مر بى منها حديث فى الأحاديث الصحيحة فليته منها فليا) ، وقيل له إنك تحفظ مائة ألف حديث ؟ قال : (مائة ألف ما أدرى ما هو ولكنى ما سمعت شيئا قط إلا حفظته ولا حفظت قط شيئا فنسيته) ، وقال أبو داود الخفاف : (أملى علينا إسحاق بن راهويه أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا) ، وقال أبو حاتم

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ومقدمة الطبقات الكبرى للشيخ محمد زاهد الكوثرى طبع مصر
(٢) روى عن إسحاق بن راهويه قال . كتب عنى يحيى بن آدم ألفى حديث .

الرازى : (ذكرت لأبى زرعة إسحاق بن راهويه ...) للأسانيد والمتون فقال أبو زرعة : ما رؤى أحفظ من إسحاق) ، قال أبو حاتم (والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ) و ... الأئمة فى الثناء على إسحق يطول ذكره فنكتفى بذلك . قال أبو داود : (إسحاق بن راهويه تغير قبل أن يموت بخمسة أشهر وسمعت منه فى تلك الأيام ورميت به . ولد (سنة ١٦١) وتوفى (سنة ٢٣٨) بنيسابور عن سبع وسبعين سنة [1].

٤ الإمام أحمد بن حنبل :

هو إمام الأئمة وحافظ الأمة وفقيهها أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المروزى ثم البغدادى .

ولد فى بغداد سنة ١٦٤ وفى حداثته كان يختلف إلى مجلس القاضى أبى يوسف ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث سنة ١٨٧ . وقد طاف فى البلاد والآفاق وسمع من مشايخ العصر وكانوا يجلونه ويحترمونه ومن مشايخه هشيم وإبراهيم بن سعيد وسفيان بن عيينة وتفقه بالشافعى حين قدم بغداد ولزمه واستفاد منه ، وعنى عناية عظيمة بالسنة والفقه حتى عده أهل الحديث إمامهم وفقيههم ، وقد أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل منهم محمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى والشافعى وعبد الرزاق ووكيع وهؤلاء الثلاثة من شيوخه ، وقد كان الإمام الشافعى على جلالة قدره فى الحديث والفقه يعتمد الإمام أحمد فى تصحيح الأحاديث وتضعيفها ولذلك لما اجتمع به فى بغداد سنة ١٩٨ - قال له يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأعلمنى به أذهب إليه حجازيا كان أو شاميا أو عراقيا أو يمنيا ، وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثون سنة ، وقال الشافعى

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب جـ ٦ ص ٣٤٥ وما بعدها

خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل ». وكذلك اعترف له بعلو المكانة فى العلم والحديث علماء عصره على اختلاف ميولهم ومشاربهم قال إسحاق بن راهويه : (أحمد حجة بين الله وبين عبيده فى أرضه) وقال يحيى بن معين : (كان فى أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها فى عالم قط كان محدثا وكان حافظا وكان عالما وكان ورعا وكان زاهدا وكان عاقلا) وقال أيضا : أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل والله ما نقوى أن نكون مثله ولا نطيق سلوك طريقه) أ هـ .

وقد استحوذ جماعة من المعتزلة على المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ودعوهم إلى أن يحملوا الناس على القول بخلق القرآن وممن أريد على ذلك الإمام أحمد بن حنبل فأبى كل الإباء فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع (سنة ٢٢٠) فى عهد المعتصم . قال بشر الحافى بعد ماضرب أحمد : (أدخل أحمد الكير فخرج ذهبا أحمر) وقال على بن المديني : (ما قام أحد فى الإسلام ما قام أحمد بن حنبل) ولما بلغت هذه المقالة أبا عبيد القاسم بن سلام قال : (صدق على ، إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصارا وأعوانا وأن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان) ثم أخذ أبو عبيد يطريه ويقول (لست أعلم فى الإسلام مثله) وقد توفى أحمد رحمه الله (سنة ٢٤١) ببغداد وله عند العلماء حسن الذكرى وجميل الأحدوثة[1].

والآن نتحدث عن لون آخر من جهود العلماء فى خدمة السنة عن طريق علومها مختلفة الأنواع وما قاموا به من جلائل الأعمال كوضع قوانين الرواية وتأسيس قواعد الجرح والتعديل إلى غير ذلك مما ستقف على فوائده فتؤمن إيمانا صادقا بما لأسلافنا من نفاذ فى البصيرة وبعد نظر فى عواقب

(١) تاريخ ابن كثير ١٠/ ٣٣٥

الأمور وعلو كعب في هذه الفنون الحديثية القيمة وإليك طرفا من جهود علماء الحديث في ذلك :-

١ - علم ميزان الرجال أو الجرح والتعديل

هذا الفن هو عماد علوم السنة إذ به يتميز الصحيح من السقيم والمقبول من المردود ، وقد أطبق العلماء على وجوب كشف حال الضعفاء والكذابين من الرواة وإقامة النكير عليهم صيانة للدين ، فالكلام على جرح الرواة وتعديلهم أمر واجب على المسلمين ، وقد دلت قواعد الشريعة الغراء على أن حفظها فرض كفاية ، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

لذا تكلم في الجرح والتعديل خلائق لا يحصون ذكر منهم ابن عدى الجرجاني المتوفى (سنة ٣٧٥) في كتابه الكامل جملة إلى زمنه :-

فمن الصحابة ابن عباس (سنة ٦٨) وعبادة بن الصامت (سنة ٣٤) وأنس بن مالك المتوفى (سنة ٩٣) ومن التابعين عامر الشعبي (١٠٤) وابن سيرين (١١٠) هـ وسعيد بن المسيب (سنة ٩٣) وهم قليل بالنسبة لمن بعدهم وذلك لقلة الضعف فيمن يروون عنهم إذ أكثرهم صحابة وهم عدول وغير الصحابة منهم أكثرهم ثقات ولا يكاد يوجد في القرن الأول من الضعفاء إلا القليل

وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء وضعف أكثرهم نشأ غالبا من قبل تحملهم وضبطهم للحد[illegible] فكانوا يرسلون كثيرا ويرفعون الموقوف وكانت لهم أغلاط وذلك مثل [illegible] هارون العبدى (سنة ١٤٣) ، ولما كان آخر عصر التابعين وهو [illegible] الخمسين ومائة تكلم في التعديل والتجريح طائفة من الأئمة [illegible]

الأعمش المتوفى (سنة ١٤٨) جماعة روثق آخرين . ونظر فى الرجال شعبة (سنة ١٦٠)وكان متبتا لا يروى إلا عن ثقة ومثله مالك ابن أنس (سنة ١٧٩) ومن كان فى هذا العصر إذا قال قبل قوله معمر (سنة١٥٣) وهشام الدستوائى (سنة ١٥٤) والأوزاعى (سنة ١٥٦) وسفيان الثورى (سنة ١٦١) وابن الماجشون (سنة ٢١٣) وحماد بن سلمة (سنة ١٦٧) والليث بن سعد (سنة ١٧٥) .

وبعد هؤلاء طبقة منهم ابن المبارك (سنة ١٨١) وهشيم بن بشير (١٨٨) وأبو إسحاق الفزارى (سنة ١٨٥) والمعافى بن عمران الموصلى (سنة ١٨٥) وبشر بن المفضل (سنة ١٨٧) وابن عيينة (سنة ١٩٧) وقد كان منهم طبقة أخرى منهم ابن علية (سنة ١٩٣) وابن وهب (سنة١٩٧) ووكيع بن الجراح (سنة ١٩٧).

وقد انتدب فى ذلك الزمان لنقد الرجال الحافظان الحجتان يحيى بن سعيد القطان (سنة ١٨٩) وعبد الرحمن بن مهدى (سنة ١٩٨) وكان للناس وثوق بهما فصار من وثقاه مقبولا ومن جرحاه مجروحا ومن اختلفا فيه – وذلك قليل – رجع الناس فيه إلى ما ترجح عندهم

ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى يرجع إليهم فى ذلك منهم يزيد بن هارون (سنة ٢٠٦) وأبو داود الطيالسى (سنة ٢٠٤) وعبد الرزاق بن همام (سنة ٢١١) وأبو عاصم النبيل بن مخلد (سنة ٢١٢).

ثم صنفت الكتب فى الجرح والتعديل والعلل وبينت فيها أحوال الرواة ، وكان رؤساء الجرح والتعديل فى ذلك الوقت جماعة منهم يحيى بن معين (سنة ٢٣٣) وقد اختلفت آراؤه وعباراته فى بعض الرجال كما تختلف آراء الفقيه النحرير وعباراته فى بعض المسائل التى لا تكاد تخلص من إشكال

ومن طبقته أحمد بن حنبل (سنة ٢٤١) وقد سأله جماعة من
عن كثير من الرجال فتكلم فيهم بما بدا له ولم يخرج بهم عن دائر
الاعتدال ، وقد تكلم فى هذا الأمر محمد بن سعد (سنة ٢٣٠) كاتب
الواقدى فى طبقاته وكلامه جيد معقول وأبو خيثمة زهير بن حرب
(سنة ٢٣٤) وله فى ذلك كلام كثير وأبو جعفر عبد الله بن محمد النفيل
حافظ الجزيرة الذى قال فيه أبو داود : لم أر أحفظ منه ، وعلى بن المدينى
(سنة ٢٣٤) وله التصانيف الكثيرة فى العلل والرجال ، ومحمد بن عبد
الله بن نمير (سنة ٢٣٤) الذى قال فيه أحمد : - (هو درة العراق)
وأبو بكر بن أبى شيبة (سنة ٢٣٥) صاحب المسند وكان آية فى الحفظ
وعبد الله بن عمرو القواريرى (سنة ٢٣٥) الذى قال فيه صالح جزرة :
(هو أعلم من رأيت بحديث أهل البصرة) وإسحاق بن راهويه إمام خراسان
(سنة ٢٣٧) وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن عمار الموصلى (سنة ٢٤٢)
الحافظ وله كلام جيد فى الجرح والتعديل ، وأحمد بن صالح حافظ مصر
(سنة ٢٤٨) وكان قليل المثل ، وهارون بن عبد الله الحمال (سنة ٢٤٣)
وكل هؤلاء من أئمة الجرح والتعديل .

ثم خلفهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم إسحاق الكوسج (سنة ٢٥١)
والدارمى (سنة ٢٥٥) ، والبخارى (سنة ٢٥٦) والحافظ العجلى نزيل
المغرب ، ويتلوهم أبو زرعة (سنة ٢٦٤) ، وأبو حاتم (سنة ٢٧٧) الرازيان
ومسلم (سنة ٢٦١) وأبو داود السجستانى (سنة ٢٧٥) ، وبقى بن مخلد
(سنة ٢٧٦) ، وأبو زرعة الدمشقى (سنة ٢٨١) .

ثم من بعدهم جماعة منهم عبد الرحمن بن يوسف البغدادى و
مصنف فى الجرح والتعديل وكان كأبى حاتم فى قوة النفس ، وإبراهيم بن
إسحق الحربى (سنة ٢٨٥) ، ومحمد بن وضاح (سنة ٢٨٩) حافظ
قرطبة ، وأبو بكر بن أبى عاصم (سنة ٢٨٧) وعبد الله بن أحمد

(سنة ٢٩٠) وصالح جزرة (سنة ٢٩٣) ، وأبو بكر البزار (سنة ٢٩٢) ومحمد بن نصر المروزى (سنة ٢٩٤) ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة (سنة ٢٩٧) وهو ضعيف لكنه من الأئمة فى هذا الأمر .

ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الفريابى والبرديجى والنسائى (سنة ٣٠٣) وأبو يعلى (سنة ٣٠٧) وابن خزيمة (سنة ٣١١) وابن جرير الطبرى (سنة ٣١٠) والدولابى (سنة ٣١١) وأبو عروبة الحرانى (سنة ٣١٨) وأبو الحسن أحمد بن عمير ، وأبو جعفر العقيلى (سنة ٣٢٢)

ويتلوهم جماعة منهم ابن أبى حاتم (سنة ٣٢٧) وأحمد بن نصر البغدادى شيخ الدارقطنى (سنة ٣٢٣) وآخرون .

ثم من بعدهم جماعة منهم أبو حاتم بن حبان البستى (سنة ٣٥٤) والطبرانى (سنة ٣٦٠) وابن عدى الجرجانى (سنة ٣٦٥) وكتابه فى الرجال إليه المنتهى فى الجرح والتعديل . وقد جاء من بعد ابن عدى وطبقته جماعة منهم أبو على الحسين بن محمد النيسابورى (سنة ٣٦٥) وله مسند معلل فى ألف جزء وثلثمائة جزء ، وأبو الشيخ بن حيان (سنة٣٦٩) وأبو بكر الإسماعيلى (سنة ٣٧١) وأبو أحمد الحاكم (سنة ٣٧٨) والدارقطنى (سنة ٣٨٥) وبه ختمت معرفة العلل .

ثم من بعدهم جماعة منهم أبو عبد الله بن منده (سنة ٣٩٥) وأبو عبد الله الحاكم (سنة ٤٠٥) وأبو نصر الكلاباذى (سنة ٣٩٨) وعبد الرحمن بن فطيس قاضى قرطبة (سنة ٤٠٢) وله دلائل السنة وعبد الغنى ابن سعيد (سنة ٤٠٩) وأبو بكر بن مردويه الأصفهانى (سنة ٤١٦) .

ثم من بعدهم جماعة منهم : محمد بن أبى الفوارس البغدادى (سنة ٤١٢) وأبو بكر البرقانى (سنة ٤٢٥) وأبو حاتم العبدرى ، وخلف

ابن محمد الواسطى ، وأبو مسعود الدمشقى وأبو الفضل الفلكى (سنة٤٢٨) وله كتاب الطبقات فى ألف جزء وأبو القاسم محمود السهمى وأبو يعقوب وأبو ذر الهروبان ، ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الحسن الخلال (سنة ٤٣٩) وأبو يعلى الخليلى (سنة ٤٤٦) وأبو عبد الله الصورى وأبو سعد السمان ثم من بعدهم جماعة منهم ابن عبد البر (سنة ٤٦٣) وابن حزم (سنة ٤٥٦) الأندلسيان والبيهقى (سنة ٤٥٨) والخطيب (سنة ٤٦٣)

ثم من بعدهم جماعة منهم ابن ماكولا (سنة ٤٧٥) وأبو الوليد الباجى (سنة ٤٧٤) وقد صنف فى الجرح والتعديل ، وأبو عبد الله الحميدى (سنة ٤٨٨) وغيرهم .

ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى (سنة ٥٠٧) والمؤتمن بن أحمد بن على الساجى (سنة ٥٠٧) .

ثم من بعدهم جماعة منهم أبو موسى المدينى (سنة ٥٨١) وأبو القاسم ابن عساكر (سنة ٥٢٣) وابن بشكوال (سنة ٥٧٨) وبعدهم جماعة منهم عبد الحق الأشبيلى ، وابن الجوزى (سنة ٥٩٧) وأبو عبد الله بن الفخار المالقى ، وأبو القاسم السهيلى (سنة ٥٨١) وبعدهم جماعة منهم أبو بكر الحازمى (سنة ٥٨٤) وعبد الغنى المقدسى (سنة ٦٠٠) والرهاوى ، وابن المفضل (سنة ٦١٦) .

ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الحسن القطان (سنة ٦٣٨) وابن الأنماط (سنة ٦١٩) وابن نقطة (سنة ٦٢٩) وغيرهم .

ثم من بعدهم جماعة منهم ابن الصلاح (سنة ٦٤٢) والحافظ المنذرى (سنة ٦٥٦) وأبو عبد الله البرازلى (سنة ٦٣٦) وابن الأبار وأبو شامة (سنة ٦٢٥) وأبو البقاء النابلسى وبعدهم جماعة منهم ابن دقيق العيد (سنة ٧٠٢)

ثم من بعدهم جماعة منهم ابن تيمية (سنة ٧٢٨) والحافظ المزى (سنة ٧٤٢) وابن سيد الناس (سنة ٧٣٤) وأبو عبد الله بن أيبك الذهبى (سنة ٧٤٨) والشهاب بن فضل الله (سنة ٧٤٩) والحافظ مغلطاى (سنة ٧٦٣) والشريف الحسينى الدمشقى ، والزين العراقى (سنة ٨٠٦).

ثم من بعدهم جماعة منهم الولى العراقى ، والبرهان الحلبى وابن حجر العسقلانى (سنة ٨٥٢) وغير هؤلاء كثير فى كل عصر إلا أن المتقدمين كانوا أرسخ قدما فى هذا الفن من المتأخرين [1] فأنت ترى أن هذه ثمانية قرون كاملة تبدأ بعصر الصحابة وكلها مشحونة بالأئمة الأعلام من علماء الجرح والتعديل الذين وزنوا الرواة بميزان العدل وأنزلوهم منازلهم فجزاهم الله عن الدين خير الجزاء .

« كتب الجرح والتعديل »

من العلماء من تكلم فى كتابه على الضعفاء من الرواة فقط ومنهم من قصر مؤلفه على الثقات لا غير ومنهم من جمع النوعين وكل قصد الخير وإليك طائفة من أشهر الكتب فى ذلك :ـ

كتب الثقات: أفرد الثقات بالتأليف كثير من العلماء ومن هذه الكتب:

١ ـ كتاب الثقات لأبى حاتم بن حبان البستى إلا أنه ذكر فيه عددا كثيرا من المجهولين الذين لا تعرف أحوالهم ، وطريقته فيه أنه يذكر من لم يعرف بجرح وإن كان مجهولا لم يعرف حاله ، وقد قال هو فى صفة العدل: (العدل من لم يعرف منه الجرح إذ الجرح ضد العدالة فمن لم يعرف بجرح فهو عدل) . أ هـ.

---

(١) توجيه النظر ص ١١٤ – ١١٦

وقد سبق لك أن جمهور المحدثين يخالفونه فى ذلك على أنه قد ذكر فى الثقات قوما أعاد ذكرهم فى كتاب الضعفاء والمجروحين له وبين ضعفهم فهذا الصنيع إن لم يعد من باب تغير الاجتهاد فهو منه غفلة وسهو وقد رتب الثقات لابن حبان الحافظ نور الدين الهيثمى .

٢ ـ كتاب الثقات لزين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفى المتوفى (سنة٨٧٩) جمع فيه الثقات ممن ليس فى الكتب الستة فى أربعة مجلدات

٣ ـ وكتاب الثقات لخليل بن شاهين [1].

كتب الضعفاء : صنف فى هذا النوع كثير من الحفاظ والجهابذة من لماء السنة ونقدة الرجال فمن ذلك : كتاب الضعفاء لإمام المحدثين أبى بد لله البخارى (سنة ٢٥٦)، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى وكتاب ضعفاء لأبى حاتم بن حيان البستى ، وكتاب الضعفاء الدارقطنى ، وكتاب ضعفاء لمحمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلى المتوفى (سنة ٣٢٢) لثقة صاحب التصانيف وكتابه كبير مفيد ، وكتاب الضعفاء لأبى نعيم عبد الملك بن محمد الجرجانى (سنة ٣٢٣) ، وكتاب الضعفاء ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى (سنة ٥٩٧) وكتابه كبير وقد اختصره لذهبى ثم ذيله كما ذيله علاء الدين مغلطاى (سنة ٧٧٢) ، ومن الكتب الهامة فى ذلك : كتاب الكامل لأبى أحمد عبد الله بن محمد بن عدى ابن عبد الله بن محمد بن المبارك الجرجانى الحافظ الكبير أحد الجهابذة المرجوع إليهم فى العلل والرجال ومعرفة الضعفاء المتوفى (سنة ٣٦٥هـ) ذكر فيه كل من تكلم فيه وإن كان من رجال الصحيحين ذكر فى ترجمة كل راو حديثا أو أكثر من غرائبه ومنا كيره وهو فى مقدار ستين جزءا فى اثنى عشر مجلدا ويعتبر هذا الكتاب أكمل كتب الجرح وعليه اعتماد العلماء ، ومنها ميزان الاعتدال فى نقد الرجال

---

(١) كشف الظنون جـ١ ص٢٧٢ والرسالة المستطرفة ص ١٠٩ و١١٠

للحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى [illegible] ٧٤٨) رتبه على حروف
المعجم حتى فى الآباء ورمز على اسم الرجال لمن أخرج له فى كتابه من
الأئمة الستة ، قال فى خطبته : (وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى
لين وبأقل تجريح فلولا أن ابن عدى أو غيره من مؤلفى كتب الجرح ذكروا
ذلك الشخص لما ذكرته لثقته ولم أر من الرأى أن أحذف اسم أحد ممن له
ذكر بتليين خوفا من أن يتعقب على لا أنى ذكرته لضعف فيه عندى إلا ما
كان فى كتاب البخارى وابن عدى وغيرهما من الصحابة فإنى أسقطهم
لجلالة الصحابة ولا أذكرهم فى هذا المصنف فإن الضعف إنما جاء من
جهة الرواة إليهم وكذا لا أذكر فى كتابى من الأئمة المتبوعين فى الفروع
أحدا لجلالتهم فى الإسلام وعظمتهم فى النفوس) . أ هـ وكتابه مطبوع
فى مجلدين أو ثلاثة وقد ذيل عليه الحافظ زين الدين العراقى فى مجلد
وعمل ابن حجر العسقلانى (لسان الميزان) ضمنه ما فى الميزان مما ليس
فى تهذيب الكمال وزاد فى الكتاب جملة كثيرة كما زاد فيه تذييل شيخه
العراقى على الميزان ورمز لزيادته هو بحرف زاى ولتذليل شيخه بحرف ذال
وهو مطبوع فى ثلاثة مجلدات [1]

(كتب جامعة بين الثقات والضعفاء)

الكتب فى هذا النوع كثيرة جدا منها تواريخ البخارى الثلاثة الكبير وهو
على حروف المعجم ابتدأ بمن اسمه محمد والأوسط وهو على السنين
والصغير ، وكتاب الجرح والتعديل لابن حبان ، وكتاب الجرح والتعديل
لعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى المتوفى (سنة ٣٢٧) وهو كبير فى ستة
مجلدات اقتص فيه أثر البخارى وأجاد فيه ، وكتاب الجرح والتعديل لأبى

(١) توجيه النظر ص ١١٨ وكشف الظنون جـ١ ص ٢٧٢ و٥١٥ والرسالة المستطرفة ص ١٠٨ و١٠٩

إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني الحافظ ، وكتاب التكميل معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل للعماد ابن كثير جمع فيه بين تهذيب المزي وميزان الذهبي مع زيادات وتحرير في العبارات وهو أنفع شئ للمحدث والفقيه وكتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد المتوفى (سنة ٢٣٥) وهو من أعظم ما صنف جمع فيه الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى وقته فأجاد وأحسن إلى غير ذلك [١]

٢ ــ معرفة الصحابة

معرفة الصحابة بأسمائهم وكناهم فن جليل اعتنى به علماء الحديث قديما وحديثا إذ به يعرف الحديث أمتصل هو أم مرسل ، قال الحاكم [٢] في كتابه علوم الحديث : (ومن تبحر في معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جماعة من مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعي عن رسول الله ﷺ يترجمونه صحابيا وربما رووا المسند عن صحابي يترجمونه تابعيا) أ هـ

وقد تناول العلماء هذا الفن بالتأليف فمن ذلك : كتاب الصحابة لابن حبان وهو مختصر في مجلد ، وكتاب أبي نعيم الأصفهاني ، وكتاب معرفة الصحابة لأبي أحمد بن عبد الله العسكري وهو مرتب على القبائل ، وكتاب علي بن المديني شيخ البخاري ذكر فيه من نزل من الصحابة في سائر البلدان وهو في خمسة أجزاء لطيفة . وكتاب ابن منده ، وذيله لأبي موسى المديني ، هذا ومن أحسن الكتب في هذا الفن وأكثرها فوائد : (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) للحافظ ابن عبد البر لولا ما شانه بذكر ما شجر بين الصحابة وحكايته عن الأخباريين والغالب عليهم الإكثار

---

(١) كشف الظنون ج١ ص٢٧٢ الرسالة المستطرفة ص ١١٠ ، مفتاح السنة ص١٥٠ وما بعدها نزهة النظر ص ١١٨

(٢) ص ٢٥ .

والتخليط فى ما يروونه ، وهو مطبوع ، وقد ذيل عليه ابن فتحون ذيلا حافلا كما ذيل عليه آخرون ، وكتاب أسد الغابة لعز الدين بن الأثير المتوفى (سنة ٦٣٠) جمع فيه كتبا أربعة : هى كتاب ابن منده ، وكتاب أبى موسى المدينى ، وكتاب أبى نعيم ، وكتاب ابن عبد البر ، وزاد عليها أسماء من غيرها وضبط وحقق أشياء حسنة . على ما فيه من التكرار حسب الاختلاف فى الاسم أو الكنية وهو مطبوع أيضا وقد اختصره الحافظ الذهبى (سنة ٧٤٨) فى كتاب لطيف سماه (التجريد) ، وبين من ذكر غلطا ، ومن لا تصح صحبته ، ولم يستوعب ذلك ، ثم جاء شيخ الإسلام العسقلانى المتوفى(سنة٨٥٢) فألف كتابه : (الإصابة فى تمييز الصحابة) جمع فيه ما فى الاستيعاب وذيله وأسد الغابة وتجريده ، واستدرك عليهم كثيرا فجاء كتابا عظيم النفع كثير الفائدة وهو مطبوع الآن [1]

٣ — علم تاريخ الرواة

تكلم الناس على تاريخ الرواة ورحلاتهم ومواطنهم وأبانوا عن مواليدهم ووفياتهم وكثير من أحوالهم مما له أثر فى توهينهم أو تقويتهم فميزوا أوقات ضبطهم وانتباههم من أوقات غفلتهم واختلاطهم وكشفوا عن كل ذلك بما لا يدع مجالا للريب تراهم يقولون مثلا : فلان ولد عام كذا وسمع وعمره كذا وارتحل إلى البلد الفلانى فى وقت كذا وسمع من الشيخ الفلانى والتقى بفلان ولم يلتق بفلان ، وفلان اختلط قبل موته بكذا شهر أو سنة وفلان سمع من فلان قبل الاختلاط فيقبل وفلان سمع منه بعد الاختلاط فلا يقبل وهلم جرا ، وإنك لتلمح من أقوالهم هذه الفائدة الكبرى التى يفيدها هذا الفن من فنون الحديث ولقد وفاه علماء الحديث حقه لما يترتب عليه من اتصال الحديث وانقطاعه وقوته وضعفه إلى غير ذلك ونحن نذكر لك شيئا من هذه الفوائد ليعظم فى نظرك هذا الفن فمن ذلك :ـ

---

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٧٤ والتدريب ص ٢٠١ وما بعدها والرسالة المستطرفة ص ٩٤، ١٠١

١ ـ إن العلم بتاريخ الرواة طريق لمعرفة ما يقبل من أحاديث الثقات الذين أدركهم الاختلاط وما لا يقبل منها .

٢ ـ إن العلم بتاريخ الرواة يعرف به المتقدم والمتأخر من أحاديث رسول الله ﷺ فيعلم أن أحد الخبرين ناسخ والآخر منسوخ عند تعارضهما مع تعذر الجمع بينهما وبذلك يذهب التعارض ويندفع التناقض عن حديثه ﷺ .

٣ ـ الوقوف على اتصال السند وانقطاعه فقد يقع من بعض الرواة الكذب أو التدليس أو الإرسال ولا يظهر ذلك إلا للعالم بالتاريخ الواقف على حقيقة الحال وكثيرا ما حكم العلماء على رواة بالكذب وعلى أحاديث بالوضع بسبب اطلاعهم على تواريخهم وأنهم لم يلتقوا بمن حدثوا عنه بل ولدوا بعد موتهم بسنين طوال وإليك بعض الأمثلة : سأل إسماعيل بن عياش رجلا أى سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟ فقال : (سنة ١١٣هـ) فقال : أنت تزعم أنك سمعت خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين فإنه مات (سنة ١٠٦ هـ) ، وسأل الحاكم محمد بن حاتم الكشى عن مولده لما عن عبد بن حميد فقال (سنة ٢٦٠) فقال : هذا سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة ، وروى مسلم فى مقدمة صحيحه أن المعلى بن عرفان قال : حدثنا أبو وائل قال :خرج علينا ابن مسعود بصفين . قال أبو نعيم : يعنى الفضل بن دكين حاكيه عن المعلى ـ أتراه بعث بعد الموت وذلك لأن ابن مسعود توفى سنة ٣٢هـ) قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين وصفين كانت فى خلافة على بعد ذلك .

هذه أمثلة ناصعة تصور لنا مبلغ حرص هؤلاء الأعلام وعنايتهم بالوقوف على أحوال الرواة واهتمامهم البالغ بالرواية والإسناد لذلك قال سفيان الثورى (لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ) وقال حفص بن غياث القاضى : (إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين) يعنى سنه وسن من كتب عنه ، وقال حسان بن يزيد : (لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ نقول

فالشيخ سنة كم ولدت ، فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه) وكتب تاريخ الرواة كثيرة جدا وقد تقدم لك بعضها وإليك جملة من كتب وفيات الرواة فمن ذلك :ـ

الوفيات لعبد الله بن أحمد بن ربيعة الربعى الدمشقى (سنة ٣٧٣) جمعه من الهجرة إلى (سنة ٣٣٨) وذيله لعبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتانى الدمشقى الحافظ (سنة ٤٦٦) وذيل على كتاب الكتانى تلميذه هبة الله بن أحمد الأنصارى الأكفانى المتوفى (سنة ٥٢٤)نحو عشرين سنة إلى (سنة ٤٨٥)وسماه جامع الوفيات ثم ذيل على الأكفانى شرف الدين على ابن المفضل القرسى ثم الاسكندرى الحافظ المتوفى (سنة ٦١١)وصل فيه إلى (سنة ٥٨١)ثم ذيل على ابن المفضل زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى المتوفى (سنة ٦٥٦) وهو ذيل كبير كثير الإتقان والفائدة فى ثلاثة مجلدات سماه (التكملة لوفيات النقلة) ثم ذيل على المنذرى تلميذه الحافظ عز الدين أحمد بن محمد الشريف الحسينى الحلبى المصرى المتوفى (سنة ٦٩٥)فى مجلد ، ثم ذيل على الشريف أحمد بن أيبك الدمياطى المحدث وصل فيه إلى (سنة ٧٤٩)ثم ذيل على ابن أيبك الحافظ زين الدين العراقى إلى (سنة ٧٦٢) ثم ذيل عليه ابنه ولى الدين العراقى المتوفى (سنة ٨٢٦)

ومن كتب الوفيات (كتاب در السحابة فى وفيات الصحابة للصاغانى) والإعلام بوفيات الأعلام للذهبى ، وتاريخ الوفاة للمتأخرين من الرواة لأبى سعد السمعانى ، إلى غير ذلك [1]

---

(١) التدريب ص ٢٥٤ – توجيه النظر ص ١١٨ ,١١٩ – مقدمة ابن حجر ج ٢ ص ١٤٣ – الباعث الحثيث ٢٩٣ مقدمة ابن الصلاح ص ١٨٩ ، ١٩٠ –ومفتاح السنة ص ١٥٥ .

هذا ولم يقتصر الأئمة على التأليف في رجال الحديث عامة ، بل أفرد بالتصنيف رجال بعض كتب الحديث فمن ذلك : رجال صحيح البخاري لأحمد بن محمد الكلاباذي المتوفى (سنة ٣٩٨هـ) ، ورجاله كذلك لمحمد بن داود الكردي المتوفى (سنة ٩٢٥هـ) - ورجال صحيح مسلم لأحمد بن علي المعروف بابن منجويه المتوفى (سنة ٤٢٨هـ) ، ورجاله أيضاً لأحمد بن علي الأصفهاني ، وجمع محمد بن طاهر المقدسي المتوفى (سنة٥٠٧)بين رجال الصحيحين في كتاب جمع فيه بين كتابي الكلاباذي وابن منجويه ورتبه على الحروف وأحسن كما استدرك عليهما ، وكذلك جمع بينهما اللالكائي المتوفى (سنة ٤٩٨) ، وأفرد رجال السنن لأبي داود أبو علي الغساني المعروف بالجياني المتوفى (سنة ٤٩٨) وجمع السيوطي رجال الموطأ ، وتعجيل المنفعة في رجال الأربعة :ـ موطأ مالك ومسند الشافعي ومسند أحمد ومسند أبي حنيفة ـ للحافظ ابن حجر العسقلاني ورجال السنن الأربع ـ سنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ـ لأحمد بن أحمد الكردي المتوفى (سنة ٧٦٣) ـ والكمال في معرفة الرجال لعبد الغني المقدسي المتوفى(سنة ٦٠٠)جمع فيه رجال الكتب الستة ، وتهذيب الكمال لجمال الدين يوسف المزي المتوفى (سنة٧٤٢هـ) وهو كتاب كبير لم يؤلف مثله وزوائد الرجال على تهذيب الكمال للسيوطي وقد اختصر التهذيب الحافظ الذهبي في كتابه الكاشف اقتصر فيه على من ذكر له رواية في الكتب الستة دون من عداهم مما في كتاب المزي ، واختصره أيضا الحافظ ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب وهو أكمل من كاشف الذهبي ، ولابن حجر أيضا تقريب التهذيب وهو مختصر جدا وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب مطبوعان الآن إلى غير ذلك من كتب الرجال وهي كثيرة [1] .

---

(١) الرسالة المستطرفة ص ١٥٣ وما بعدها .

٤ - معرفة الأسماء والكنى والألقاب

قد يكون للراوى اسم وكنية أو اسم ولقب وربما اشتهر باسمه دون كنيته أو العكس أو اشتهر بلقبه دون اسمه أو العكس ، وقد عنى الحفاظ ببيان هذا النوع عناية تامة فتكلموا على كل صنف ودونوا ذلك فى مؤلفات خاصة ، وفائدة التنبيه على أن الراوى اشتهر باسم كذا وكنيته كذا أو العكس أو اشتهر بلقب كذا واسمه كذا أو العكس ألا يظن من لا معرفة له بذلك أنهما شخصان وربما ذكر الراوى بهما معا فى الإسناد فيظن من لا يقف على حقيقة الأمر أنهما رجلان وقد يجره ذلك إلى تضعيف الثقة وتوثيق الضعيف وفى هذا من الخطر ما فيه ، واليك جملة من الكتب فى هذا النوع :

كتب فى أسامى من يعرف بكنيته : (١) كتاب على بن المدينى (٢) كتاب مسلم . (٣) كتاب النسائى . (٤) كتاب ابن أبى حاتم . (٥) كتاب ابن حبان . (٦) كتاب الحاكم أبى أحمد النيسابورى - شيخ أبى عبد الله الحاكم - المتوفى (سنة ٣٧٨) فى أربعة عشر سفرا حرر فيه وأجاد وزاد على غيره ورتبه الذهبى على المعجم واختصره وزاد عليه وسماه « المقتنى فى سرد الكنى » . (٧) كتاب ابن عبد البر وهو المسمى « بالاستغنا فى معرفة الكنى » (٨) كتاب « المنى فى الكنى » للحافظ السيوطى ، هذا ولأبى بشر محمد بن أحمد الدولابى المتوفى (سنة ٣١٠) كتاب الكنى والأسماء وهو مطبوع بحيدر آباد بالهند(سنة ١٣٢٢) فى مجلدين .

وفى بيان كنى المعروفين بالأسماء الذى هو عكس هذا النوع كتاب لابن حبان يقع فى ثلاثة مجلدات .

كتب في الألقاب :

١ ـ كتاب الأسماء والألقاب لأبي الفرج بن الجوزي واسمه كشف النقاب عن الأسماء والألقاب .

٢ ـ وكتاب مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب لأبي الوليد الفرضي محدث الأندلس .

٣ ـ وكتاب الكنى والألقاب لأبي عبد الله الحاكم .

٤ ـ وكتاب نزهة الألباب للحافظ العسقلاني جمع فيه مع التلخيص ما لغيره وزيادة وزاد عليه تلميذه السخاوي زوائد كثيرة وضمها إليه في تصنيف مستقل ، وللسيوطي كتاب (كشف النقاب عن الألقاب)[1] .

المتفق والمفترق ، والمؤتلف والمختلف ، والمتشابه : هذه أنواع ثلاثة تقع في أسماء الرواة ولا يحصل العلم بها إلا للحافظ المتقن الذي سبر هذا الفن ومارس تلك الصناعة وقد كان للمحدثين عناية فائقة ببيان هذه الأنواع ولنتكلم على كل منها فنقول :ـ

١ ـ المتفق والمفترق : وهو أن يتفق اثنان فأكثر من الرواة في الاسم لفظا وخطا وذلك مثل الخليل بن أحمد مسمى به ستة أشخاص ، ومثل أحمد بن جعفر بن حمدان مسمى به أربعة أشخاص إلى غير ذلك وقد تناول العلماء هذا النوع بالتصنيف فمن ذلك :ـ

كتاب المتفق والمفترق للخطيب البغدادي وهو كتاب نفيس في مجلد كبير وكتاب المتفق والمفترق للحافظ محمد بن النجار البغدادي وكتاب أبي بكر الجوزقي .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٤ وما بعدها ، الباعث الحثيث ص ٢٥٦ وما بعدها وتدريب الراوي ص ٢٢١ وما بعدها مفتاح السنة ص ١٥٥

٢ ـ المؤتلف والمختلف : وهو أن يتفق اسم راويين فأكثر خطا نقطا ويختلفا بالنطق نحو سلام وسلام وعُمارة وعمّارة وقد صنف فى بيان هذا النوع كثير من المحدثين فمن هذه المصنفات : كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطنى وكتابه حافل ، وكتاب عبد الله بن على الأندلسى الرشاطى المتوفى (سنة ٥٤٢) وكتاب أبى سعيد الماليني ، وكتاب عبد الغنى بن سعيد الأزدى المصرى الحافظ المشهور النسابة المتفنن المتوفى (سنة ٤٠٩) وهو مطبوع فى الهند ، وكتاب تكملة المختلف للخطيب أحمد بن على (م سنة ٤٦٣) جمع فيه بين كتابى الدارقطنى وعبد الغنى وزاد عليهما وجعله كتابا مستقلا ، ثم جاء هبة الله بن على بن جعفر الحافظ المعروف بابن ماكولا المتوفى (سنة ٤٧٥) فزاد على كتاب التكملة المذكور وضم إليها أسماء وقعت له وجعله كتابا مستقلا وسماه الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ، وهو فى مجلدين وعليه اعتماد المحدثين ، وقد تناوله الناس كل بعد الآخر بالزيادة والتذييل ، وكتاب تقييد المهمل وتمييز المشكل لأبى على الغسانى الجيانى ، نسبة إلى جيان مدينة كبيرة بالأندلس المتوفى (سنة ٤٩٨) وهو خاص بأسماء رجال الصحيحين ، وللذهبى كتاب مختصر لخصه من كتب عبد الغنى وابن ماكولا وابن نقطة وأبى الوليد الفرضى ولكنه أجحف فى الاختصار واكتفى بضبط القلم فصار مناقضا لموضوعه لعدم الأمن من التصحيف فيه وفاته من أصوله أشياء واسم كتابه المشتبه فى أسماء الرجال طبع فى ليدن ، وقد اختصر كتاب الذهبى هذا الحافظ ابن حجر العسقلانى وضبطه بالحروف على الطريقة المرضية وزاد فيه كثيرا مع شدة تحريه وسماه : : تبصرة المنتبه فى تحرير المشتبه ، ويوجد مخطوطا بدار الكتب المصرية .

٣ ـ المتشابه : كالوليد بن مسلم ومسلم بن الوليد ويزيد بن الأسود

والأسود بن يزيد ، وقد تناوله العلماء أيضاً بالبيان والتصنيف ومن هذه الكتب : كتاب « تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم » للخطيب البغدادي في مجلد ثم ذيل عليه هو أيضاً وهو كتاب كثير الفائدة قال ابن الصلاح أنه من أحسن كتبه وقد اختصره علاء الدين بن التركماني المارديني كما اختصره جلال الدين السيوطي وسمى كتابه « تحفة النابه بتلخيص المتشابه »[1].

٥ ـ علم تأويل مشكل الحديث

هذا فن جليل ويسمى أيضاً تأويل مختلف الحديث وعلم اختلاف الحديث وكل عالم بل كل مسلم يحتاج للوقوف عليه فإن بمعرفته يندفع التناقض عن كلام النبي ﷺ ويطمئن المكلف إلى أحكام الشرع . ومشكل الحديث هو أن يرد حديثان يناقض كل منهما الآخر ظاهراً وقد عنى علماء الحديث بالكلام على هذا النوع ووفقوا بين المتون المتعارضة بما يزيل إشكالها ولا يكمل لذلك الفن سوى فقهاء المحدثين الغواصين على دقائق المعاني : وأول من تكلم في هذا الفن الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى (سنة ٢٠٤) رحمه الله وصنف فيه كتابه المعروف باختلاف الحديث وإن كان لم يقصد إلى استيفائه بل ذكر جملة منه ينبه بها على طريقة الجمع بين ما ظاهره التناقض ، وهذا الكتاب من رواية الربيع بن سليمان المرادي عن الشافعي في مجلد واحد مطبوع على هامش الجزء السابع من كتاب الأم للشافعي أيضاً ، ثم صنف في هذا النوع من العلم الإمام أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (سنة ٢٧٦ هـ) وسمى كتابه « تأويل مختلف الحديث » رد فيه على أعداء أهل الحديث وجمع بين الأخبار التي ادعوا فيها التناقض وأجاب عما أوردوه من الشبه

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٧٢ – ١٨٥ والباعث الحثيث ٢٧٤ وما بعدها وتدريب الراوي ٢٣٥ وما بعدها والرسالة المستطرفة ص ٨٦ وما بعدها ومفتاح السنة ص ١٥٦ وما بعدها .

على بعض الأخبار المتشابهة وقد أحسن فيه كثيرا وأجاد وكتابه مطبوع متداول فى جزء صغير ثم صنف أيضا محمد بن جرير الطبرى (٣١٠) وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجى (٣٠٧) وأبو جعفر الطحاوى (٣٢١) وسمى كتابه مشكل الآثار وهو من أجل كتبه ولأبى الفرج بن الجوزى (٥٩٧) «التحقيق فى أحاديث الخلاف» هذا وقد كان إمام الأئمة ابن خزيمة من أحسن الناس كلاما فى هذا النوع من فنون الحديث حتى روى عنه أنه قال: «لا أعرف حديثين متضادين فمن كان عنده فليأتنى به أؤلف بينهما» أهـ[1]

٦ - معرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث

عنى السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم بمعرفة الناسخ والمنسوخ وهو فن صعب المنال إلا على جهابذة السنة وحفاظها الواقفين على تاريخ التشريع الإسلامى. قال الإمام الزهرى (١٢٤): «أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ الحديث من منسوخه» وقد كان للإمام الشافعى رضى الله عنه فى هذا النوع من علوم الحديث اليد الطولى والسابقة الأولى، فالإمام أحمد بن حنبل على جلالته فى علم السنة يقول لابن وارة - وقد قدم من مصر -: كتبت كتب الشافعى؟ قال لا: قال فرطت، ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسنا الشافعى.

والنسخ فى اصطلاح العلماء هو رفع الشارع حكما منه متقدما بحكم منه متأخر. فالمتأخر يسمى الناسخ والمتقدم يسمى المنسوخ. وله شروط تكفلت بذكرها كتب أصول الفقه. وله طرق يعرف بها

---

(١) التدريب ص ١٩٧ وما بعدها. مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٣، كشف الظنون جـ١ ص ٢٠٦ مفتاح السنة ص ١٥٤، الرسالة المستطرفة ص ١١٨ وما بعدها.

منها التصريح من النبي ﷺ به كما في حديث «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»، ومنها تصريح الصحابي به كقوله مثلا: «كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار»، ومنه ما يعرف بالتاريخ كحديث شداد بن أوس عند أبي داود والنسائي مرفوعا: «أفطر الحاجم والمحجوم» ذكر الشافعي رحمه الله أنه منسوخ بحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ احتجم وهو محرم صائم» أخرجه مسلم، فإن في بعض طرق حديث شداد أن ذلك كان زمن الفتح سنة ثمان وابن عباس إنما صحبه ﷺ في حجة الوداع سنة عشر، ومنه ما عرف بدلالة الإجماع كحديث قتل شارب الخمر في المرة الرابعة ولفظه على ما رواه أبو داود والترمذي من حديث معاوية (من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه) قال النووي في شرح مسلم: (دل الإجماع على نسخه وإن كان ابن حزم خالف في ذلك فخلاف الظاهرية لا يقدح في الإجماع) والإجماع لا ينسخ ولا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره.

هذا وقد صنف في الناسخ والمنسوخ من الحديث خلق كثير منهم الإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبو داود السجستاني صاحب السنن وأحمد بن إسحاق الديناري (٣١٨) ومحمد بن بحر الأصفهاني (٣٢٣) وأحمد بن محمد النحاس (٣٣٨) وأبو محمد قاسم بن أصبغ (٣٤٠) وهبة الله ابن سلامة (٤١٠) وأبو حفص عمر بن شاهين (٣٨٥) وللإمام أبي بكر زين الدين محمد بن أبي عثمان الحازمي – نسبة إلى جده حازم – الهمداني الحافظ المتقن المتوفى سنة (٥٨٤) ببغداد كتاب مشهور بين العلماء يسمى «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» في مجلد وهو مطبوع في حيدر أباد وحلب مصر[1]

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٨٥ وتدريب الراوي ص ١٩٥ ومقدمة ابن الصلاح ص ١٣٩ والباعث الحثيث ص ٢٠٢ وكشف الظنون جـ ٢ ص ٢٧٦ والرسالة المستطرفة ص ٦٠ ومفتاح السنة ص ١٥٨.

٧ ـ معرفة غريب الحديث

غريب الحديث ما يقع فيه من كلمات غامضة بعيدة من الفهم لقلة استعمالاتها قال الإمام أبو سليمان الخطابي : « الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كما أن الغريب من الناس هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل . والغريب من الكلام يقال على وجهين أحدهما أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ القبائل . فإذا وقعت إلينا كلمة من كلامهم استغربناها » أ هـ .

قد كان رسول الله ﷺ أفصح العرب لسانا حتى كان يخاطب وفود العرب على اختلاف قبائلهم وألسنتهم بما يفهمونه ، وكان أصحابه رضي الله عنهم يفهمون أكثر ما يقوله ، وما لم يفهموه سألوه عنه واستمر الأمر على هذا المنوال إلى أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، وفي عصر الصحابة كان اللسان العربي سليما لا يعتريه خلل ولا تشوبه عجمة إلى أن حصلت الفتوحات ، ودخل في الإسلام كثير من الأعاجم ، واختلطوا مع العرب بالازدواج فنشأ جيل جديد تشوب لسانه عجمة فتعلموا من اللسان مالابد لهم منه في الخطاب ، ثم جاء التابعون سالكين طريقتهم ، إلا أن لغة القوم كانت سائرة إلى الاستعجام شيئا فشيئا ، فما انقضى عصر التابعين إلا وقد استحال اللسان العربي أعجميا ، واستغلق على الناس فهم كثير من ألفاظ الحديث النبوي ، فألهم الله أئمة الدين معالجة هذا الداء العضال صيانة لهذا العلم الشريف ، حتى لا يصبح طلاسم أمام عجمة المتأخرين ، فتكلم في غريب الحديث جماعة من أتباع التابعين منهم مالك بن أنس الإمام ، وسفيان الثوري ، وشعبة بن الحجاج ، ثم تتابع الناس بعدهم في الكلام على هذا الفن مبينين للناس معاني كلماته المغلقة

وألفوا فى ذلك الكتب القيمة التى كانت فيما بعد عدة الأجيال اللاحقة وذخيرة القرون المتأخرة ، ولولا همة هؤلاء الأئمة الأعلام لما انتفعنا اليوم بأحاديث النبى عليه الصلاة والسلام ، وإليك نبذة عن تاريخ التدوين فى هذا النوع من علوم الحديث :ـ

أول من صنف فى غريب الحديث – على ماقيل – أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى البصرى المتوفى (سنة ٢١٠) جمع فيه كتابا صغيرا ولم تكن قلته لجهله بغيره بل لأن كل مبتدئ فى شئ يكون مقلا فيه عادة ولأن الناس كانت لا تزال فيهم بقية من معرفة وأثارة من علم فلعله قصد إلى مايخفى على بعض الناس ، وترك ما يعرفه كل الناس ، ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازنى النحوى (٢٠٤) بعده أكثر منه ، ثم جمع عبد الملك بن قريب الأصمعى كتابا أحسن فيه وأجاد ، وكان فى عصر أبى عبيدة ، وكذلك جمع فيه محمد بن المستير المعروف بقطرب المتوفى (سنة٢٠٦) وغير هؤلاء من الأئمة جمعوا أحاديث وتكلموا على لغتها فى أوراق ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكثير بل كانوا فيما جمعوه متقاربين ثم ألف من بعدهم أبو عبيد القاسم بن سلام (سنة ٢٢٤) كتابا جليلا ، اتخذه الناس العمدة فى هذا الفن ، ويقال إنه أفنى فيه عمره إذ جمعه فى أربعين سنة ، بقى هذا الكتاب يرجع إليه الناس فيما أهمهم حتى جاء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى (سنة ٢٧٦) فصنف كتابه المشهور نهج فيه منهج أبى عبيد القاسم فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر ولم يودعه من كتاب أبى عبيد القاسم شيئا إلا ما تدعو إليه الحاجة كزيادة شرح أو بيان لفظ ، وقال فى مقدمته : « أرجو ألا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال » ومن صنف فى ذلك الإمام إبراهيم الحربى المتوفى (سنة ٢٨٥) بسط القول فى كتابه واستقصى الأحاديث وأطال بذكر المتون وأسانيدها مما زهد الناس فيه .

ثم أكثر الناس التصنيف لهذا الفن إلى أن جاء الإمام أبو سليمان حمد الخطابي البستي المتوفى (سنة ٣٧٨) فصنف كتابه المشهور فى غريب الحديث سلك فيه طريقة أبى عبيد القاسم ، وابن قتيبة ، ووجه همته إلى جمع ماليس فى كتابيهما ، فكانت هذه الكتب الثلاثة تعد أمهات كتب غريب الحديث المتداولة ، غير أنه لم يكن بين تلك الثلاثة وغيرها من الكتب كتاب مرتب يسهل الاطلاع عليه فتخلص فى هذا العصر عصر الخطابي الإمام أحمد بن محمد الهروى المتوفى (سنة ٤٠١) فصنف كتابه المشهور فى الجمع بين غريبى القرآن والحديث مرتبا له على حروف المعجم على وضع لم يسبق إليه ، ولم يشحنه بالمتون والأسانيد والرواة ، وجمع فيه من غريب الحديث ما فى كتب من تقدمه وزاد عليه فجاء كتابا جامعا حسن الوضع إلا أنه جاء الحديث فيه متفرقا فى حروف كلماته ، صار هذا الكتاب عدة الناس فى معرفة الغريب ، وقد اقتفى أثره كثير من الناس واستدركوا ما فاته أيضا إلى أن جاء جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (سنة ٥٣٨) نصنف كتابه « الفائق » ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم ولكن فى العثور على معرفة الغريب منه مشقة ، وإن كانت أقل من غيره مما سبقه لأنه جمع فى التقفية بين إيراد الحديث مسرودا جميعه أو بعضه ، ثم شرح ما فيه من غريب فيجئ شرح كلماته الغريبة فى حرف واحد فترد الكلمة فى غير حروفها ، فكان كتاب الهروى أقرب متناولا ، وأسهل مأخذا ، وقد ألف أبو موسى محمد بن أبى بكر المدينى الأصفهانى (٥٨١) كتابا جمع فيه على طريقة الهروى ما فاته من غريب القرآن والحديث ، وكذلك صنف أبو الفرج بن الجوزى (٥١٤) كتابا فى غريب الحديث خاصة نهج فيه منهج الهروى ، بل إن كتابه مختصر من كتاب الهروى لا يزيد عليه إلا الكلمة الشاذة ، بخلاف كتاب

أبي موسى المديني فإنه لا يذكر منه إلا مادعت إليه الحاجة .

ثم جاء الإمام أبو السعادات مبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعرو بابن الأثير المتوفى (سنة ٦٠٦) فجمع ما في كتاب الهروى ، وأبى موسى من غريب الحديث والأثر وأضاف إليه ما عثر عليه في كتب السنة من صحيح وسنن وجوامع ومصنفات ومسانيد ، وقد رمز لما في كتاب الهروى بالهاء ، ولما في كتاب أبي موسى المديني بالسين ، وسمى كتابه « النهاية في غريب الحديث والأثر » قال السيوطى : « وهو أحسن كتب الغريب وأجمعها وأشهرها الآن وأكثرها تداولا وقد فاته الكثير فذيل عليه الصفى الأرموى (سنة ٧٢٣) بذيل لم نقف عليه » أ هـ .

وقد لخص النهاية لابن الأثير الحافظ جلال الدين السيوطى (سنة ٩١١) في كتاب سماه « الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير » وزاد فيه زيادات وهو مطبوع الآن مع النهاية على هامشها[1] .

ومما يلتحق بكتب الغريب كتب المجازات النبوية التي جاءت في الحديث ومن أحسن ما ألف في ذلك « كتاب المجازات النبوية » للإمام العالم الشريف الرضى محمد بن الحسين المتوفى (سنة ٤٠٦) وهو مطبوع بمصر الآن .

٨ ـ معرفة علل الحديث

هذا الفن من أجل علوم الحديث وأشرفها وأدقها ، ولا يتأهل للنظر فيه إلا الراسخون في علوم الحديث من أهل الخبرة والحفظ والفهم الثاقب ، ولهذا لم يتصدر للكلام فيه إلا أفذاذ الرجال وجهابذة السنة وأطباء الحديث ،

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٣٧ وما يليها والرسالة المستطرفة ص ١١٥ وتدريب الراوى ص ١٩٣ والباعث الحثيث ص ٢٠٠ ومفتاح السنة ص ١٤٠ وكشف الظنون جـ ٢ ص ٤٠٧,٥٥ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٨٨

كابن المديني وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم ويعقوب بن شيبة وأبي حاتم وأبي زرعة والدارقطني ، وذلك لأن العلة في اصطلاحهم عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منها وربما وجدت العلة في الإسناد الذي رجاله ثقات الجامع لشروط الصحة من حيث الظاهر ، قال الحاكم : « وهذا النوع من معرفة علم الحديث علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل » قال : وإنما يعلل الحديث من وجه ليس للجرح فيها مدخل فإن حديث المجروح ساقط واه وعلة الحديث تكثر في أحاديث الثقات بأن يحدثوا بحديث له علة ويخفى عليهم علته فيصير الحديث معلولا والحجة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير » أ هـ

وقد تناول هذا العلم بالتصنيف كثير من الأئمة فمن ذلك كتاب علي بن المديني المتوفى (سنة ٢٣٤) وكتابه من أجل الكتب ، وكتاب العلل للبخاري (سنة ٢٥٦) وكتاب العلل لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، وكتاب العلل للترمذي ، وقد شرحه الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي المعروف بابن رجب المتوفى سنة٧٩٥) وكتاب العلل لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي المعروف بالخلال المتوفى (سنة ٣١٠) وكتاب العلل لابن أبي حاتم عبد الرحمن الرازي الحافظ الثبت (سنة ٣٢٧) وكان ممن جمع بين علوم الرواية ومعرفة الفقه ، وكتابه مطبوع بمصر في مجلدين ، وهو من أجل الكتب في بابه مرتب على أبواب الفقه ، وكتاب العلل لعلي بن عمر الدارقطني المتوفى (سنة ٣٧٥) وهو أجمع كتاب في العلل مرتب على المسانيد ، وليس من جمع الدارقطني بل الجامع له تلميذه الحافظ أبو بكر البرقاني ، وكتاب ابن الجوزي وهو المسمى : بالعلل

المتناهية فى الأحاديث الواهية ، وعليه فى كثير منه انتقاد ، وللحافظ ابن حجر العسقلانى كتاب فى علل الحديث سماه « الزهر المطلول فى الخبر المعلول » هذا ويوجد الكلام على علل الحديث مفرقا فى كتب الحديث الأخرى كنصب الراية لتخريج أحاديث الهداية للحافظ الزيلعى ، وفتح البارى لابن حجر العسقلانى، ونيل الأوطار للشوكانى ، وكتاب المحلى لابن حزم ، وكتاب تهذيب سنن أبى داود لابن القيم وغير ذلك (1).

٩ ـ معرفة الموضوعات وكشف حال الوضاعين

نشأة الوضع فى الحديث وبدء ظهوره : كانت السنة النبوية فى عهد النبى ﷺ مصونة من تقول الكذابين ، محفوظة من دجل المنافقين ، وذلك أنه فوق وجوده ﷺ بين ظهرانى المسلمين ، يقضى على الخرافات والأكاذيب ، فإن الوحى مازال ينزل عليه ، وكثيرا ما كان يفضح سر المنافقين ، لذلك لم يجرؤ أحد أن يتقول على رسول الله ﷺ فى حياته ، فلما كان زمن الشيخين احتاطا كثيرا للأحاديث ، وأرهبا المنافقين والأعراب من التزيد فيها كما سبق لك بيانه ، ولما أن ولى عثمان رضى الله عنه ، ووقعت الفتنة فى زمنه ، وجد الكذب على رسول الله ﷺ من أتباع عبد الله ابن سبأ اليهودى الذى أوقد نيران الفتنة ، وألب الناس على خليفة المسلمين حتى قتلوه ظلما ، ثم لما ولى على كرم الله وجهه الخلافة ، وكان ما كان بينه وبين معاوية فى صفين ، افترق الناس إلى شيعة وخوارج وجمهور كما رأيت وهنا ظهر الكذب على رسول الله ﷺ واشتد أمره من الشيعة والخوارج ودعاة بنى أمية ، لذلك يعتبر العلماء مبدأ ظهور الوضع فى الحديث من

---

(1) الرسالة المستطرفة ص ١١٠ والتدريب ص ٨٨ وما بعدها وتوجيه النظر ص ٢٦٤ وما بعدها ومقدمة ابن الصلاح فى بحث المعلل ص ٤٢ وعلوم الحديث للحاكم ص ٧١ و ١١٢ وما بعدها ومفتاح السنة ص ١٥٩ والباعث الحثيث ص ٥٨ وما بعدها .

هذا الوقت (سنة ٤١ هـ) وهذا التحديد إنما هو لظهور الوضع في الحديث وإلا فقد وجد الكذب على رسول ﷺ قبل ذلك حتى في زمنه ﷺ ومن أجل ذلك يقول ﷺ (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) فما قال النبي عليه الصلاة والسلام ذلك إلا لحادثة وقعت في عصره كذب عليه فيها ويستأنس لذلك بما أخرجه ابن عدي في كاملة عن بريدة قال : « كان حي من بني ليث على ميل من المدينة وكان رجل قد خطب منهم في الجاهلية فلم يزوجوه فأتاهم وعليه حلة فقال : أن رسول الله ﷺ كساني هذه وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم ، ثم انطلق فنزل على تلك المرأة التي كان خطبها فأرسل القوم إلى رسول الله ﷺ فقال كذب عدو الله ثم أرسل رجلا فقال إن وجدته حيا فاضرب عنقه وإن وجدته ميتا فاحرقه بالنار فجاء فوجده قد لدغته أفعى فمات فأحرقه بالنار فلذلك قال رسول الله ﷺ (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وقد ذكر السيوطي في تحذير[1] الخواص طائفة من الروايات بهذا المعنى ولكن كما قلنا أن هذا كان قليلا نادرا في عهد النبوة.

ثم إن الوضع في الحديث أخذ يشيع وينتشر في كل عصر وقد حدثناك عن عوامل ذلك في القرون الثلاثة وعن جهود العلماء في مناهضة الوضاعين. والآن نذكر لك الوسائل التي اتخذوها في جهاد هؤلاء الكذابين والطرق التي سلكوها في القضاء على أباطيلهم فإنهم لم يكتفوا بطريق دون طريق بل حاربوا أعداء الحديث بكل سلاح وأخذوا عليهم المسالك وسدوا في وجوههم جميع الطرق.

سلك علماء الإسلام وأعلام السنة طريقين . (إحداهما) نظرية فوضعوا القواعد الدالة على وضع الحديث وأقاموا الأمارات الصادقة على ذلك

(١) ص ١١ وما بعدها .

بما لا يدع مجالا للشك ، و (الأخرى) : عملية وذلك ببيانهم لأشخاص الوضاعين ، وتعريف الناس بهم وبيان الموضوعات التى وضعوها والأكاذيب التى اختلقوها ، وصنفوا فى ذلك الكتب المعروفة بكتب الموضوعات وأصبحت السنة النبوية أمامنا بحذافيرها فى الصحاح والجوامع والسنن والمسانيد وغيرها معروفة وصارت الأحاديث المكذوبة غير خافية على أحد من علماء الحديث وبذلك سهلت مهمة الوقوف على درجة الأحاديث أهى صحيحة أم حسنة أم ضعيفة أم موضوعة مكذوبة فجزى الله علماء السنة أفضل ما يجزى علماء أمة .

الطريقة الأولى فى الدلالة على وضع الحديث :

وضع علماء الإسلام وجهابذة هذه القرون قواعد لا تكاد تخطئ فى الدلالة على وضع الحديث ، وذلك لأن ملكة النقد كانت راسخة فيهم حتى أصبحوا نقادا بالأرواح والأبدان ، ونحن نذكر لك بعض هذه القواعد لتلمس بنفسك أنهم ما فرطوا فى مهمتهم الشريفة فنقول :ــ

١ ــ يعرف الوضع بقرينة فى الراوى تنادى عليه بالكذب فيما يقول ، ومثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمى أنه قال : كنت عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتاب يبكى فقال مالك ؟ قال : ضربنى المعلم قال لأخزينهم اليوم ، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا « معلمو صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين » ومثال ذلك أيضا ما روى أنه قيل لمأمون بن أحمد الهروى ألا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان فروى عن النبى ﷺ «يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتى من إبليس يكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتى » إلى غير ذلك .

٢ ــ يعرف الوضع بقرينة فى المروى كأن يكون الحديث ركيك المعنى

فقط أو ركيك اللفظ والمعنى معا ، أما ركة اللفظ فقط فلا تدل على الوضع لجواز أن الراوى تصرف فى لفظ الحديث فأتى بلفظ ركيك من عنده ويكون معنى الحديث صحيحا وله أصل عن النبى ﷺ فلا تدل ركاكة اللفظ فقط على أن الحديث موضوع ، اللهم إلا إذا ادعى الراوى أن الحديث الذى رواه من لفظ النبى ﷺ وصرح بذلك فإنه يكون كاذبا لأن النبى ﷺ كان أفصح العرب وعند ذاك تدل ركاكة اللفظ وحدها على وضع حديث وكذب راويه ، ومثال ركاكة المعنى ما نسبوه كذبا إلى النبى ﷺ « لا تسبوا الديك فإنه صديقى » و « الديك الأبيض الأفرق حبيبى وحبيب حبيبى جبريل » و « لو كان الأرز رجلا لكان حليما ».

٣ ـ من أدلة وضع الحديث أن يكون مخالفا للعقل ، بحيث لا يقبل التأويل أو مخالفا للتحس المشاهد مثال الأول : الإخبار عن الجمع بين الضدين ، أو نفى الصانع وذلك لأنه لا يجوز ورود الشرع بخلاف مقتضى العقل ، ومثال ذلك حديث « خلق الله الفرس فأجراها فعرقت فخلق نفسه منها » فهذا لا يقوله عاقل ، ومثال الثانى حديث « الباذنجان شفاء من كل داء » فهذا باطل لأن المشاهد المحس هو أن الباذنجان يزيد الأمراض شدة .

٤ ـ من أدلة الوضع أن يكون الحديث مخالفا لدلالة القرآن القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعى مع عدم إمكان الجمع ، ومن هنا زيف العلماء الحديث الذى يحدد المدة الباقية للدنيا بسبعة آلاف سنة لأنه يخالف قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو[1] ﴾وأبطلوا حديث : ولد الزنا لا يدخل الجنة ، لمعارضته لقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى[2] ﴾ كما

(١) سورة الأعراف آية ١٨٧
(٢) سورة الإسراء آية ١٥

زعموا أحاديث مناقضة للسنة المتواترة ، أو الإجماع القطعى ، كالأحاديث الدالة على أن كل من يسمى بأحمد أو محمد لا يدخل النار ، فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن النار لا يجار منها بالألقاب والأسماء وإنما يتخلص منها بالعمل الصالح .

٥ ـ من علامات وضع الحديث اشتماله على مجازفات يرتفع عنها كلام النبوة كحديث « من قال لا اله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف ألف لغة يستغفرون الله له » ومن ذلك حديث « من اغتسل من الجنابة حلالا أعطاه الله قصرا من درة بيضاء وكتب له بكل قطرة ثواب ألف شهيد »

٦ ـ من علامات كذب الحديث أن يكون أمرا تتوفر الدواعى على نقله أو يصرح الحديث نفسه بأن الواقعة حصلت فى مشهد عظيم من الصحابة ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا عدد ضئيل ومن ذلك ما يدعيه بعض الشيعة أن النبى ﷺ أعطى عليا الخلافة فى غدير خم حين رجوعه من حجة الوداع بحضرة جم غفير أكثر من مائة ألف .

٧ ـ مجئ الحديث على خلاف مقتضى الحكمة والمنطق السليم المعقول كحديث « جور الترك ولا عدل العرب » فإن الجور مذموم على الإطلاق كما أن العدل محمود على كل حال .

٨ ـ من علامات وضع الحديث أن يكون الراوى له رافضيا والحديث فى فضائل آل البيت لأن الروافض متعصبون لآل البيت طاعنون على سائر الصحابة ويعدون الشيخين غاصبين للخلافة من على بن أبى طالب وما لأهما على ذلك سائر الصحابة .

٩ ـ من أمارة بطلان الحديث مناقضته للتاريخ الصحيح . كحديث وضع الجزية عن أهل خيبر الذى قرنه واضعه بشهادة سعد بن معاذ ، إذ أن سعدا

توفى فى غزوة الخندق وكانت قبل خيبر ، على أن الجزية لم تشرع فى وقت خيبر ولم تكن معروفة للصحابة إلا بعد عام تبوك .

١٠ – ومن أدلتهم على وضع الحديث ادعاء أحد رواته أنه أدرك من العمر فوق ما جرت به سنة الله فى خلقه ، حتى لقى من تقدم بزمن بعيد ، وتلقى عنه ، وذلك كالأحاديث التى رواها رتن الهندى مدعيا أنه لقى النبى ﷺ ، وهو لم يظهر إلا بعد ستمائة سنة من الهجرة ، فإن بعض الجهال يزعم أنه اجتمع بالنبى ﷺ وسمع منه ، ودعا له النبى ﷺ بقوله عمرك الله ، فهذا ليس له أصل عند أئمة الحديث إذ أنه لم يعش أحد من الصحابة ممن لقى النبى ﷺ أكثر من خمس وتسعين سنة غير أبى الطفيل حتى أن الناس بكوا عليه وقالوا : هذا آخر من لقى النبى ﷺ .

١١ – من أدلة الوضع فى الحديث ادعاء بعض الصوفية أنه تلقى الحديث عن النبى ﷺ بطريق الكشف ، دون أن يكون له سند متصل صحيح ، أو بطريق الرؤيا كذلك إذ أنه من المتفق عليه بين علماء الدين أن الرؤيا والكشف لا يتقرر بهما حقيقة شرعية ، لما يكتنفهما من التخليط وعدم الضبط ، فإضافة شئ إلى الدين من غير أن يقوم عليه دليل من الكتاب أو السنة المتلقاة عن النبى ﷺ بالسند الصحيح يعتبر ابتداعا فى الدين ، وزعما باطلا مردودا على من يزعمه .

هذا وقد تكلم المحدثون على سبيل الإجمال والتفصيل فى معرفة الموضوعات والوضاعين فتراهم يقولون : من الأحاديث الموضوعة أحاديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء ، والأحاديث التى وضعها بعض الزنادقة وجهلة المتصوفة فى فضائل القرآن سورة سورة إلا ما استثنى[1] ،

(١) قال الحافظ السيوطى فى تدريبه : اعلم أن السور التى صحت الأحاديث فى فضائلها : الفاتحة ، والزهراوان ، والأنعام ، والسبع الطوال مجملا ، والكهف ، ويس ، والدخان ، والملك ، والزلزلة ، والنصر ، والكافرون ، والإخلاص ، والمعوذتان ، وما عداها لم يصح فيها شئ .

والأحاديث التي تروى في التختم بالعقيق لا يثبت منها شيء ، والحـ[illegible]
المنسوب لأبي دجانة الأنصاري ، ومسند أنس بن مالك الذي يروى عن جعفر بن هارون الواسطي عن سمعان بن أنس . وهو مقدار ثلثمائة حديث يرويها سمعان المهدي عن أنس وأوله « إن أمتي في سائر الأمم كالقمر في النجوم » ، وأحاديث الأشج وأحاديث خراش وأحاديث نسطور الرومي وأحاديث رتن الهندي والأحاديث المنسوبة إلى محمد بن سرور البلخي ، وأحاديث شهر بن حوشب كلها موضوعة .

كذلك تتبعوا الأخبار الواردة في كتب التفسير والملاحم والمغازي ووزنوها بميزان النقد الصحيح فالإمام أحمد بن حنبل يقول : « ثلاثة كتب ليس لها أصل المغازي والملاحم والتفسير » قال الخطيب في جامعه : وهذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقليها وزيادة القصاص فيها ، فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة ، وأما كتب التفاسير فمن أشهرها كتابا الكلبي ، ومقاتل بن سليمان وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي من أوله إلى آخره كذب ، قيل له فيحل النظر فيه ؟ قال لا ، وقال أيضا : كتاب مقاتل قريب منه ، وأما المغازي فمن أشهرها كتب محمد بن إسحاق وكان يأخذ عن أهل الكتاب وقال الشافعي كتب الواقدي كذب . وليس في المغازي أصح من مغازي موسى بن عقبة [1] أ هـ .

الطريقة الثانية في بيان العلماء للموضوعات ومحاربة الوضاعين

هذه هي الطريقة العملية التي استنفذت كثيرا من جهود العلماء في كل عصر ، فإنه لم يخل عصر من وجود أعداء للإسلام كادوا له عن طريق وضع الأحاديث ، ومن أبرز الأعمال التي قام بها هؤلاء الجهابذة هي تصنيف

(1) تدريب الراوي ص ٩٨ وما بعدها ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس وخاتمته .

الكتب في بيان الأحاديث الموضوعة وإليك طائفة من هذه الكتب : ـ

١ ـ كتاب تذكرة الموضوعات لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى (سنة ٥٠٧) .

٢ ـ كتاب الأباطيل لأبي عبد الله الحسن بن إبراهيم الهمداني الجوزقي نسبة إلى جوزقان ناحية من همدان الحافظ المتوفى (سنة ٥٤٣) قال الذهبي : وهو محتو على أحاديث موضوعة وواهية مع أوهام فيه وقد بين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها . أ هـ .

٣ ـ كتاب الموضوعات الكبرى لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى (سنة ٥٩٧) في نحو مجلدين إلا أنه تساهل فيه كثيرا بحيث أدخل فيه الضعيف والحسن والصحيح قال الذهبي : « ربما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسانا قوية . قال ونقلت من خط السيد أحمد بن أبي المجد قال : صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فأصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل وما لم يصب فيه إطلاقه الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس في أحد رواتها كقوله فلان ضعيف أو ليس بالقوي أو لين ، وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه ، ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا سنة ولا إجماع ، ولا حجة بأنه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في راويه وهذا عدوان ومجازفة » أ هـ . وقال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني : « غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع والذي ينتقد عليه بالنسبة إلى ما لا ينتقد قليل جدا قال وفيه من الضرر أن يظن ما ليس بموضوع موضوعا عكس الضرر بمستدرك الحاكم فإنه يظن ما ليس بصحيح صحيحا قال وينبغي الاعتناء بانتقاد الكتابين فإن تساهلهما أعدم الانتفاع بهما إلا لعالم بالفن لأنه ما من حديث إلا ويمكن أن يكون قد وقع فيه تساهل » أ هـ .

... الحافظ ابن حجر « القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد » أورد فيه أربعة وعشرين حديثا في المسند ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات ومن بينها حديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قوما يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر » . وذيل السيوطي على هذا الكتاب بذيل في الأحاديث التي بقيت في كتاب الموضوعات من المسند وهي أربعة عشر مع الكلام عليها .

٤ ـ كتاب الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للحافظ السيوطي اختصره من كتاب ابن الجوزي فعلق الأسانيد وذكر منها ما تمس إليه الحاجة وأتى بالمتون وكلام ابن الجوزي عليها وتعقب كثيرا منها وتتبع كلام الحافظ في تلك الأحاديث لا سيما شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر والآلئ المصنوعة مطبوعة بمصر الآن ، هذا وقد ألف السيوطي كتابا سماه « القول الحسن في الذب عن السنن » أورد فيه مائة وبضعة وعشرين حديثا ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات مع أنها ليست بموضوعة ففي سنن أبي داود منها أربعة أحاديث وفي سنن الترمذي ٢٣ حديثا وفي سنن النسائي حديث واحد ، وفي سنن ابن ماجه ١٦ حديثا ، وفي صحيح البخاري ، رواية حماد بن شاكر ، حديث واحد ، وهو « كيف بك يا ابن عمر إذا عمرت بين قوم يخبأون رزق سنتهم » ومنها ما هو في كتاب خلق الأفعال للبخاري في غير الصحيح ، وفي مسند الدارمي ، والمستدرك للحاكم ، وصحيح ابن حبان ، وتصانيف البيهقي ، وغيرها من الكتب أحاديث كثيرة حكم عليها ابن الجوزي بالوضع وليست بموضوعة .

٥ ـ كتاب « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » لأبي الحسن علي بن محمد الكناني المتوفى (سنة ٩٦٣) وهو أجمع كتاب في

الموضوعات .

٦ ـ تذكرة الموضوعات لرئيس محدثي الهند جمال الدين الفتني الملقب بملك المحدثين المتوفى قتيلا (سنة ٩٨٦ هـ) .

٧ ـ كتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للقاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني المتوفى (سنة ١٢٥٠هـ) لكنه أدرج فيه كثيرا من الأحاديث التي لم تبلغ درجة الوضع بل ومنها صحاح وحسان قلد في ذلك ابن الجوزي وأضرابه من المتساهلين .

٨ ـ كتاب « تحذير المسلمين » من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين » في جزء لطيف لمحمد البشير ظافر أبي عبد الله المالكي الأزهري المتوفى (سنة ١٣٢٥ هـ) [1].

(١) تدريب الراوي ص ١٠٠ وما بعدها – الرسالة المستطرفة ص ١١ وما بعدها

تمهيد : هو : أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الحافظ أبو بكر البيهقي النيسابوري

مولده : ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (٣٨٤)هـ ٩٩٤م

حياته ومكانته العلمية :

كان أول سماعه للعلم وهو ابن خمس عشرة سنة في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقد رحل إلى العراق والحجاز وسمع الكثير من مدنها كوفان ، وطوس ، وضم ما حصله في رحلته إلى ما أخذه عن علماء بلده « خسرو جرد » وبيهق وغيرها من بلاد نيسابور وعكف على ذلك كله في قريته يدرس ويبحث وكان ذا نفس راضية صابرة على بأس الفقر لا تضيق به ولا تشكو منه ، لأن الورع قد ملأ عليها أقطارها ولذة العلم الخالص قد شغفتها حبا ، ومتانة الدين قد جمعت هواها في إيثار الجهلة في نشر السنة والقيام بتبليغها ابتغاء مرضاة الله وامتثالا لأمر المصطفى ﷺ فنشرها على خير ما يكون النشر وبلغها على أحسن ما يكون التبليغ .

وقد مكنه من الاقتدار على ذلك نزاهة القصد وخلوص النية وسعة الاطلاع وقوة الحفظ ودقة الفهم ومراقبة الله في كل ما يلفظ بلسانه من قول أو يخط بيمينه من حرف ويضاف إلى ذلك كله الأسوة الحسنة في كثير ممن أخذ عنهم من العلماء الذين زاد عددهم على مائة شيخ وعناية بعضهم له واهتمامهم بتخريجه [1]

وكان محدثا أصوليا فقيها زاهدا ورعا قانعا من الدنيا باليسير متجملا في زهده وورعه بورك في مروياته وحسن تصرفه فيها وكان من أقوى أنصار

---

(1) ... سنن والآثار للبيهقي ١/ ٣،١٧١

المذهب الشافعي والدافعين عنه وكان أحد أئمة المسلمين وهداة المؤمنين والدعاة إلى حبل الله المتين فقيه جليل حافظ كبير أصولي زاهد ورع قانت لله (1)

مؤلفاته : شرع البيهقي في التصنيف سنة ست وأربعمائة ومن تصانيفه

(١) كتاب « السنن الكبرى » الذى قال عنه الذهبي « ليس لأحد مثله وقد طبع في الهند في عشرة أجزاء سنة ١٣٥٢ – ١٣٥٥ هـ

(٢) كتاب « أحكام القرآن » طبع بمصر بتحقيق الشيخ عبد الغنى عبد الخالق سنة ١٣٥٨ هـ

(٣) كتاب « الأسماء والصفات » وقد طبع بالهند سنة ١٣١٣ هـ ثم أعيد طبعه في مصر سنة ١٣٥٨ هـ

(٤) كتاب « الاعتقاد » طبع بمصر سنة ١٣٨٠ هـ

(٥) كتاب « القراءة خلف الإمام » طبع بالهند سنة ١٩١٥م

(٦) كتاب « حياة الأنبياء في قبورهم » وقد طبع في مصر سنة ١٣٤٩هـ

(٧) كتاب « مناقب الشافعي » طبع الجزء الأول منه بدار التراث بالقاهرة عام ١٣٩٠ هـ

(٨) كتاب « دلائل النبوة » ومعرفة أحوال الشريعة طبع الجزء الأول منه بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٩٠ هـ

(٩) كتاب « مختصر السنن » وهو المعروف بالسنن الصغرى

(١٠) كتاب « الزهد الكبير »

(١١) كتاب « البعث والنشور »

(١٢) كتاب « إثبات عذاب القبر »

(١٣) كتاب « القدر »

---

(1) أصول الفقه : تاريخه ورجاله للدكتور شعبان محمد إسماعيل ١ / ٣٦٥

(١٤) كتاب « المدخل إلى السنن »

(١٥) كتـــاب « الآداب »

(١٦) كتاب « الخلافـــات »

(١٧) كتاب « الترغيب والترهيب »

(١٨) كتاب « نصوص الشافعي »

(١٩) كتاب « فضائل الأوقات »

(٢٠) كتاب « فضائل الصحابة »

(٢١) كتاب « الأربعين الكبرى »

(٢٢) كتاب « الأربعين الصغرى »

(٢٣) كتاب « الإســـــراء »

(٢٤) كتاب « إثبات الرؤية »

(٢٥) كتاب « مناقب أحمد بن حنبل »

(٢٦) كتاب « الدعوات الكبير »

(٢٧) كتاب « الإيمـــــان »

(٢٨) كتاب « شعب الإيمان »

(٢٩) كتاب « الدعوات الصغير »

(٣٠) رسالة في حديث الجويباري

(٣١) رسالة الجمع في الخاتم [1]

قال السبكي في طبقات الشافعية ٤/ ٩ أما « السنن الكبيرة » فما صنف في علم الحديث مثله ، تهذيبا وترتيبا وجودة

وأما « معرفة السنن والآثار » فلا يستغنى عنه فقيه شافعي وأما المبسوط في نصوص الشافعي » فما صنف في نوعه مثله وأما كتـــاب « الأسماء

---

(١) مقدمة السنن والآثار للبيهقي ٢/ ٨٧،٦٥..

والصفات » فلا أعرف له نظير .

وأما كتاب « الاعتقاد » مناقب الشافعي » وكتاب الدعوات الكبير » فأقسم ما لواحد منها نظير

وأما كتاب « الخلافيات » لم يسبق إلى نوعه ولم يصنف مثله وهو طريق مستقلة حديثة لا يقدر عليها إلا مبرز في الفقه والحديث ، وقد عنى الذهبي بكتب البيهقي عناية فائقة ، واختصر منها بعضها ، فقد اختصر « السنن الكبير » واختصر كتاب « البعث والنشور » وكتاب « الزهد » وكتاب «القدر»

وممن اختصر « السنن الكبير » أيضا - معاصر الذهبي : قاضي القضاة ابن عبد الحق : إبراهيم بن علي المتوفى (سنة ٧٤٤ هـ)

وقد انتشرت كتب البيهقي في الآفاق .

شيوخه :

من الأعلام الذين اقتدى بهم البيهقي

(١) أبو الحسن : محمد بن الحسين العلوى المتوفى (سنة إحدى وأربعمائة) وقد أثنى عليه الحاكم : أبو عبد الله ، وقال شيخ الأشراف في عصره ذو الهمة العالية والعبادة الظاهرة ، والسجايا الطاهرة وكان يعد في مجلسه ألف محبرة ، وقد انتقيت عليه ألف حديث .

(٢) الحاكم أبو عبد الله : محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (٣٢١ - ٤٠٥) إمام أهل الحديث في عصره غير مدافع ومؤلف كتاب « المستدرك على الصحيحين » و « علوم الحديث » و « تاريخ نيسابور » و « مزكي الأخبار » و « الأكاليل في دلائل النبوة » و « المدخل إلى الإكليل » و « المدخل إلى الصحيحين » و « فضائل الشافعي » وغيرهما من التصانيف التي بلغت ألفا وخمسمائة جزء

(٣) ومن الذين أخذ عنهم البيهقى كثيرا وانتفع بهم كثيرا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهانى المتوفى سنة (٤٠٦) وهو أديب فقيه ، أصولى متكلم ، مفسر محدث ، واعظ ، ألف قرابة مائة مصنف من أشهرها : مشكل الحديث ، وكان ذا مهابة وجلال ، وزهد ، وبسالة فى الدفاع عن الإسلام لا يخاف فى الله لومة لائم .

(٤) ومن شيوخه : القاضى ابن عمر : محمد بن الحسين البسطامى المتوفى سنة (٤٠٧) وقد حدث عن الطبرانى ، وروى ، عن الحاكم مع تقدمه ، قال عنه : إنه فقيه متكلم ، واعظ بارع .

(٥) ومنهم : أبو سعد الخركوشى عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابورى ، وهو فقيه ، زاهد ، روى عنه الحاكم وهو أكبر منه وصنف كتبا كثيرة فى علوم الشريعة ودلائل النبوة ، وسير العباد والزهاد قرأها عليه المحدثون ، وانتشرت فى الآفاق .

وكان مولعا بعمارة المساجد وإقامة الحياض والقناطير وبنى بنيسابور دارا للمرضى

(٦) ومنهم : أبو طاهر الزيادى : محمد بن محمد بن محمش (٣١٧) (٤١٠) وهو من كبار المحدثين والفقهاء .... بنيسابور وروى عنه الحاكم والواحدى .

(٧) ومنهم : أبو إسحاق الطوسى : إبراهيم بن محمد المتوفى (سنة ٤١١) وهو من كبار الفقهاء روى عن الأصم .

(٨) ومنهم : أبو سعد الماليني : أحمد بن محمد المتوفى فى مصر فى شوال (سنة ٤١٢) وهو من المحدثين الزهاد كان يسمى طاووس الفقراء سمع من أبى بكر الاسماعيلى وأبى أحمد بن عدى ، وروى عنه الخطيب

البغدادي وقال عنه: كان أحد الرحالين في طلب الحديث والمكثرين منه

(٩) ومنهم : أبو عبد الرحمن السلمي : محمد بن الحسين بن موسى الأزدي (٣٠٣) و (٤١٢) وهو شيخ الصوفية المشهور وتلميذ الأصم ومؤلف طبقات الصوفية .

(١٠) ومنهم أبو عبد الله : الحسين بن محمد بن منجويه الدينوري المتوفى بنيسابور (سنة ٤١٤) وهو من المحدثين الثقات .

(١١) ومنهم أبو الحسين : محمد بن الحسين محمد بن الفضل القطان البغدادي ٣٣٤ ـ ٤١٥ وهو من المحدثين المكثرين

(١٢) ومنهم ابن أبي بكر : عبد الله بن عمر بن علي المقرئ المتوفى (سنة ٤١٥) كان من الفقهاء الثقات .

(١٣) ومنهم أبو الحسين بن بشران : علي بن محمد بن عبد الله ابن بشران المتوفى (سنة ٤١٥) كان ثقة صدوقا

(١٤) ومنهم : أبو حازم : عمر بن أحمد النيسابوري المتوفى (سنة ٤١٧) وهو ثقة .

(١٥) ومنهم : أبو سعيد الصيرفي : محمد بن موسى بن الفضل المتوفى (سنة ٤٢١)

(١٦) ومنهم : أبو بكر الحيري : أحمد بن الحسن القاضي (٣٢٥ ـ ٤٢١) وهو من الفقهاء الأصوليين

(١٧) ومنهم : أبو بكر البرقاني : أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي (٣٣٦ ـ ٤٢٤) سمع من الأعلام وصنف التصانيف

(١٨) ومنهم : محمد بن عبد الله بن أحمد البسطامى الرزجاهى (٣٤١ ـ ٤٢٦) وهو من الفقهاء الأدباء المحدثين ، مع أبي بكر الاسماعيلى أبى أحمد بن عدى وأبى أحمد الحاكم .

(١٩) ومنهم : أبو منصور البغدادى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمى المتوفى (سنة ٤٢٩) قال عنه عبد الغفار الفارسى « هو الإمام الكامل ذو الفنون ، الفقيه الأصولى الأديب الشاعر النحوى الماهر فى الحساب » .

(٢٠) ومنهم : الحافظ أبو بكر : أحمد بن على بن محمد بن إبراهيم بن منجويه الأصبهانى المتوفى (سنة ٤٢٨) وهو من المحدثين العظام .

(٢١) ومنهم : أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء المصرى المتوفى (سنة ٤٣١) .

(٢٢) ومنهم : أبو محمد الجوينى : عبد الله بن يوسف والد إمام الحرمين المتوفى (سنة ٤٣٨) كان يلقب بركن الإسلام .

(٢٣) ومنهم : أبو على الروزبادى : الحسين بن محمد الطوسى المتوفى (سنة ٤٠٣) راوى سنن أبي داود عن ابن داسة وقد أكثر عنه

(٢٤) ومنهم : أبو عبد الله الحليمى : الحسين بن الحسن بن محمد ابن حليم البخارى الفقيه الشافعى المتوفى (سنة ٤٠٣) .

(٢٥) ومنهم : أبو إسحاق الإسفرايينى : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران المتوفى (سنة ٤١٨) أحد الأئمة فى علم الكلام والأصول وله عدة تصانيف منها :

« الجامع فى أصول الدين » ، « والرد على الملحدين » و « مسائل الدور » .

(٢٦) ومنهم : أبو محمد : عبد الله بن يوسف بن أحمد الأصفهانى المتوفى (سنة ٤٠٩) نزل نيسابور وكان من كبار الصوفية وثقات المحدثين

(٢٧) ومنهم : أبو الفتح القرشي : ناصر بن الحسين العمري المروزي الشافعي مفتي « مرو » المتوفى (سنة ٤٤٤)

(٢٨) ومنهم الحافظ : أبو الحسين : أحمد بن عبيد بن إسماعيل الصفار ولم يذكر أحد تاريخ وفاته وقال الذهبي وهو مصنف السنن الذي يكثر البيهقي من التخريج منه في متنه ، وقال الخطيب روى عنه الدارقطني ، وكان ثقة ثبتا .

(٢٩) ومنهم البغدادي المتوفى (سنة ٤١٤) قال الخطيب :ـ كتبنا عنه وكان ثقة فاضلا

(٣٠) ومنهم : أبو القاسم : الحسن محمد بن حبيب النيسابوري المفسر المتوفى (سنة ٤٠٦) صنف في علوم القرآن والآداب وهو مؤلف كتاب « عقلاء المجانين » ، سمع من الأصم وجماعة

تلاميذه :

من تلاميذ البيهقي :

(١) أبو محمد : عبد الجبار بن محمد بن أحمد البيهقي الخواري المتوفى (سنة ٥٣٣ هـ)

(٢) ومنهم أبو نصر : علي بن مسعود بن محمد الشجاعي روى عن البيهقي رسالته إلى أبي محمد الجويني

(٣) ومنهم : أبو القاسم المستملي : زاهر بن طاهر الشحامي المعدل روى عنه كتاب « الزهد » ورواه ابن عساكر عن المستملي

(٤) ومنهم : أبو عبد الله بن أبي مسعود الصاعدي وقد روى عنه ابن عساكر كما في « تبيين كذب المفتري » ٤٥، ٤٦

(٥) ومنهم : ابن البيهقي : إسماعيل بن أحمد المتوفى (سنة ٥٠٧ هـ) قال ابن الجوزي في المنتظم ٩ / ١٧٥ ول (سنة ٤٢٨ هـ)

وسمع من أبيه وأبي عثمان الصابوني وسائر مشايخ نيسابور، وسكن خوارزم قريبا من عشرين سنة ودرس بها ثم مضى إلى « بلخ » وأقام بها مدة، وورد بغداد وحدث بها وورد نيسابور في هذه السنة فسمعوا منه ثم خرج إلى « بيهق » فتوفى بها

(٦) ومنهم : أبو المظفر : عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ٤٤٥ ـ ٥٣٢ هجرية وقد روى عن البيهقي كتاب « المناقب »

(٧) ومنهم : حفيد البيهقي : أبو الحسن ، عبيد الله بن محمد بن أحمد . وقد روى عن جده عدة كتب وكانت وفاته (سنة ٥٢٣ هـ) [1]

(٨) ومنهم : أبو عبد الله الفراوي : محمد بن الفضل المتوفى (سنة ٥٣٠هـ) وقد سمع صحيح مسلم من عبد الغفار الفارسي ، وذكره عبد الغفار في السياق وقال عنه : فقيه الحرم البارع في الفقه والأصول ، والحافظ للقواعد تفرد برواية مسلم « ودلائل النبوة » و« الأسماء والصفات » و« الدعوات » و « البعث » للبيهقي

(٩) ومنهم : القاضي أبو عبد الله : الحسين بن علي بن فطيمة البيهقي قاضي « خسر وجرد » والمتوفى بها (سنة ٥٣٦ هـ)

(١٠) ومنهم : أبو بكر : عبد الرحمن بن عبد الله البحيري النيسابوري المتوفى (سنة ٥٤٠ هـ) عن سبع وثمانين سنة

(١١) ومنهم : أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري ، كان من أهل العلم والفضل ، رآه السمعاني بخسر وجرد وذكر أنه توفي في الحدود التي توفي فيها أخوه

(١٢) ومنهم : الحافظ أبو زكريا : يحيى بن عبد الوهاب بن محمد ابن إسحاق بن منده العبدي الأصبهاني المتوفى (سنة ٥١١هـ) عن أربع وسبعين سنة

---

(١) معرفة السنن والآثار : للبيهقي تحقيق الأستاذ سيد صقر

(١٣) ومنهم : أبو نصر : عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري ال
(سنة ٥١٤) هـ كان إماما مناظرا مفسرا أديبا

آراء العلماء فيه :

وقال ابن ناصر الدين كان واحد زمانه وفرد أقرانه حفظا وإتقانا و
وعمدة وهو شيخ خراسان وقال ابن قاض شبهة قال عبد الغفار في الدلا
كان على سدة العلماء قانعا من الدنيا باليسير متحملا في زهده وورعه وقا
إمام الحرمين ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي فإن له على
الشافعي منة لتثانيه في نصرة مذهبه [1]

وقال ابن خلكان وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشرة مجلدات
وكان أكثر الناس نصرا لمذهب الشافعي وقال : ابن كثير : كان أوحد أهل
زمانه في الإتقان والدقة والتصنيف وكان محدثا فقيها أصوليا .

قال عبد الغفار في تاريخه ، كان البيهقي على سيرة العلماء قانعا باليسير
متحملا في زهده وورعه وقال أبو الحسن عبد الغفار في ذيل تاريخ نيسابور :
أبو بكر البيهقي الفقيه الحافظ الأصلي الدين الورع واحد زمانه في الحفظ
بأقرانه في الإتقان والضبط من كبار أصحاب الحاكم ويزيد عليه بأنواع من
العلوم كتب الحديث وحفظه من صباه وتفقه وأخذ في الأصول وارتحل إلى
العراق والجبال والحجاز [2] قال ابن الصلاح في المقدمة في وصايا لطالب
الحديث :ـ

ولا يخدعن كتاب السنن الكبرى البيهقي فإنا لا نعلم مثله في بابه والله
أعلم [3]

وقال الذهبي كان البيهقي واحد زمانه وفرد أقرانه وحافظ أوانه قال ودائرته

---

(١) شذرات الذهب ٣٠٤/٣ و ٣٠٥ (٢) تذكرة الحفاظ ١١٣٣/٣ ـ ١١٣٤

(٣) مقدمة ابن الصلاح تحقيق بنت الشاطئ ٣٧٣

في الحديث ليست كبيرة بل بورك له في مروياته وحسن تصرفه في لحدقه وخبرته بالأبواب والرجال وقال شيخ القضاة أبو علي ولد البيهقي حدثني والدي قال حين ابتدأت في تصنيف هذا الكتاب في معرفة السنن والآثار وفرغت من تهذيب أجزاء منه سمعت الفقيه أبا محمد أحمد بن علي يقول وهو من صالحي أصحابي وأكثرهم تلاوة وأصدقهم لهجة . يقول رأيت الشافعي في المنام وفي يده أجزاء من هذا الكتاب وهو يقول قد كتبت اليوم من كتاب فقه أحمد سبعة أجزاء أو قال بقرأتها قال : وفي صباح ذلك اليوم رأى فقيه آخر من إخواني يعرف بعمر بن محمد في منامه الشافعي قاعدا على حصير في مجلس الجامع بخير وجرد وهو يقول استفدت اليوم من كتاب الفقيه أحمد كذا وكذا قال شيخ القضاة وحدثنا والدي قال سمعت الفقيه أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ يقول سمعت الفقيه أبا بكر محمد بن عبد العزيز المروزي الجنوجردي يقول رأيت في المنام كأن تابوتا علا في السماء يعلوه نور فقلت ما هذا فقيل تصانيف البيهقي قيل وكان البيهقي يصوم الدهر من قبل أن يموت بثلاثين سنة [1]

وقد عاش البيهقي في فترة من الفترات سادت فيها الفتن التي كانت تثار باسم الدين بين الشيعة وأهل السنة وبين أهل السنة والمعتزلة وبين الشافعية والأحناف جميعا ثم أفصح البيهقي عن نفسه ، وما كان عليه من العلم واطلاعه في كتب الأئمة ، وموازنته بينهم ، وإيثاره مذهب الشافعي بعد كثرة البحث والاعتبار فقال : إني منذ نشأت وابتدأت في طلب العلم أكتب أخبار سيدنا المصطفى ﷺ وعلى آله أجمعين وأجمع آثار الصحابة الذين كانوا أعلام الدين وأسمعها ممن حملها وأتعرف أحوال رواتها وأجتهد في تمييز صحيحها من سقيمها ومرفوعها من موقوفها ، ثم أنظر في كتب

---

(1) طبقات الشافعية ٤/٣ - ٥ .

هؤلاء الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة وبنى كل واحد منهم مذهبه على مبلغ علمه من الكتاب والسنة فأرى كل واحد منهم قصد قصد الحق فيما تكلف واجتهد في أداء ما كلف وقد وعد رسول ﷺ في حديث صحيح عنه لمن اجتهد فأصاب أجرين ، ولمن اجتهد فأخطأ أجر واحد ولا يكون الأجر على الخطأ وإنما يكون على ما تكلف من الاجتهاد ويرفع عنه إثم الخطأ لأنه إنما كلف الاجتهاد في الحكم على الظاهر دون الباطن ولا يعلم الغيب إلا الله ، قد نظر في القياس فأداه القياس إلى غير ما أدى إليه صاحبه كما يؤديه الاجتهاد في القبلة إلى غير ذلك مما يؤدى إليه صاحبه ، فلا يكون المخطئ منهما عين المطلوب بالاجتهاد مأخوذا إن شاء الله بالخطأ ، ويكون مأجورا إن شاء الله على ما تكلف ، ونحن نرجو أن يؤخذ على واحد منهم أنه خالف كتابا نصا ولا سنة قائمة ولا جماعة ولا قياسا صحيحا عنده ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها

وقد قابلت بتوفيق الله تعالى : أقوال كل واحد منهم بمبلغ علمي من كتاب الله ثم بما جمعت من السنن والآثار في الفرائض والنوافل والحلال والحرام والحدود والأحكام فوجدت الشافعي أكثرهم اتباعا وأقواهم احتجاجا وأوضحهم إرشادا وذلك بما صنف من الكتب القديمة والجديدة في الأصول والفروع

وفاته : حضره الأجل في عاشر جمادى الأولى من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (٤٥٨ هـ الموافق لست وستين وألف : ـ ١٠٦٦ م) فنقل في تابوته ودفن في ...

الأذى عن ... الحياء شعبة من الإيمان"[1] م د ي ٥ عن أبي هريرة.

فضل الشهادتين من الإكمال[2] "أخرج فناد في الناس من قال لا إله إلا الله فله الجنة وإن زني وإن سرق عل على رغم أنف أبي ذر"[3] طب عن أبي الدرداء"

ومن المؤلفات في الكتب الجامعة لأحاديث الأحكام كتاب الأربعون حديثا ... الصلاة ومانع الزكاة للإمام نجم الدين الغيطي المتوفي ٩٨٤هـ.

وإليك دراسة لهذا الكتاب:-

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الإيمان ١/٢٢ وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان بلفظ متقارب ١/١١.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ص ٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ١/٢١٥ بلفظ متقارب وفي كتاب بدأ الخلق باب ذكر الملائكة ٢/٢١٢. وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب إفتراق هذه الأمة ٤/١٣٦.

٣- الأفعال: ويذكرها بعد الانتهاء من "الإكمال" في الكتاب الواحد ويقصد بها الأحاديث التي وردت في "مستدرك الأقوال" إعلاما بأنها أحاديث "قسم الأفعال" من الجامع الكبير لاغيرها ويبلغ عدد كتبه اثنين وسبعين كتابا مرتبة على حروف المعجم ويبلغ عدد أحاديثه ٤٦٦٢٤ أربعاً وعشرين وستمائة وستا وأربعين ألف حديثا ولما كان الكتاب يشتمل على أحاديث "الجامع الكبير" في الجملة فإن رموزه تكون كرموز أصله إلا في بعض الرموز التي خالف الإمام السيوطي فيها كتابه الأصل عندما استمد منه أحاديث "الجامع الصغير والزوائد عليه" .

وإليك أمثلة من الكتاب

حرف الهمزة وفيه ستة كتب : الكتاب الأول في الإيمان والإسلام من قسم الأقوال .

وفيه ثلاثة أبواب " الباب الأول في تعريفها حقيقة ومجازاً ومتعلقات أخر" وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول في حقيقة الإيمان[1] .

١- "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره[2] " هب عن عمر"

الفصل الثاني في المجاز والشعب[3] .

"الإيمان بضع وسبعون شعبه فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها أماطة

(١) كنز العمال في سنن الاقوال والأفعال ص ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة لقمان مطولاً ١٧٣/٣. وأخرجه مسلك في كتاب الإيمان باب أشراط الساعة ٦٠/١ (٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ص ٣٥.

وبانتهاء هذه المرحلة يكون الإمام المتقي قد تم له ترتيب القسم القولي كله من (الجامع الكبير) على الكتب والأبواب الفقهيه مع بعض الزيادات التي زادها المؤلف في الجامع الصغير .

المرحلة الرابعة :

قام بترتيب قسم الأفعال كله وهو الجزء الباقي من (الجامع الكبير) على الكتب والأبواب الفقهية وجعله في كتاب سماه "مستدرك الأقوال بسنن الأفعال" .

المرحلة الخامسة :

قام بمزج كتاب "غاية العمال في سنن الأقوال" بكتاب" مستدرك الأقوال بسنن الأفعال" في كتاب واحد رتبه على الكتب والأبواب الفقهيه وسماه "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" وسار بعد هذا المزج على المنوال التالي:

١- **الأقوال:** ، ويذكرها أولاً ويقصد بها الأحاديث التي وردت في "منهج العمال" وهو الذي يضم كتابي " الجامع الصغير" و " الزوائد على الصغير" تميزاً لها عن غيرها عند الطلب لأن أحديثهما كما قال الإمام السيوطي أصح وأوجز وأبعد عن التكرار .

٢- **الإكمال:** ويذكرهابعد الانتهاء من الأقوال في الكتاب الواحد ويقصد بها الأحاديث التي وردت في "الإكمال" ذلك الذي يضم ماتبقي من قسم الأقوال من "الجامع الكبير" تميزاً لها عن أحاديث الجامع الصغير والزوائد عليه عند الطلب .

منهجه في كتاب كنز العمال

في سنن الأقوال والأفعال

هو كتاب يشتمل علي أحاديث (الجامع الكبير والجامع الصغير والزوائد علي الصغير وجميعهم للإمام السيوطي) .

وقد ألفه المتقي علي خمس مراحل كل مرحلة تكمل سابقتها حتي أتت آخر مرحلة فيه علي آخر هذه الكتب جميعها تيسيراً علي من لم يعرف بداية الحديث إن كان قوليا أو راويه الأعلي إن كان فعلياً وبحيث يكفيه معرفة معناه دون ألفاظه وحروفه وقد بدأت مراحل تأليفة علي النحو التالي .

المرحلة الأولي :

رتب فيها أحاديث كل من كتاب (الجامع الصغير) وكتاب (الزوائد علي الصغير) علي الكتب والأبواب الفقهيه وجمعها في كتاب واحد سماه (منهج العمال في سنن الأقوال).

المرحلة الثانية :

قام بترتيب الأحاديث الباقية من قسم الأقوال من (الجامع الكبير) علي الكتب والأبواب الفقهيه وهي التي لاتوجد في الجامع الصغير وزوائده وجلعها في كتاب سماه (الإكمال لمنهج العمال).

المرحلة الثالثة :

مزج بين الكتابين الجديدين (منهج العمال) و (الإكمال لمنهج العمال) . في كتاب واحد رتبه علي الكتب والأبواب الفقهيه وسماه (غاية العمال في سنن الأقوال) .

والأفعال".

وفاته : توفى ليلة الثلاثاء وقت السحر ثانى جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة بمكة المكرمة ودفن فى صبح تلك الليلة ومدفنه بالمعلاه بسفح جبل محازى تربة الفضيل بن عياض . وعمره تسعون سنة[١].

---

(١) راجع ترجمته في خاتمة كنز العمال جـ ٧٧٦/١٦ ومابعدها وشذرات الذهب ٣٧٩/٨. والرسالة المستطرفة ص ١٨٢ ومابعدها.

من الورع والتقوى والاجتهاد فى العبادة . وفضائله ومحاسنه جمة وقد أفردها العلامة عبد القادر بن أحمد الفاكهى فى تأليف لطيف سماه (القول النقى فى مناقب المتقى) وقال الحضرمى[1] وبالجملة فما كان هذا الرجل إلا من حسنات الدهر وخاتمة أهل الورع ومفاخر الهند.

وشهرته تغنى عن ترجمته وتعظيمه فى القلوب يغنى عن مدحه .

تلاميذه : وقد أخذ عنه العلم خلق كثير أثناء مجاورته فى مكة وأثناء ذهابه وجلوسه فى الهند ومن أبرزهم ملك المحدثين محمد بن طاهر الفتنى الذى لازمه فترة طويلة .

مؤلفاته: قال الحضرمى ومؤلفاته كثيرة نحو مائة مؤلف ما بين صغير كبير .

وقال : الشعرانى فى الطبقات الكبرى وله عدة مؤلفات منها ترتيب الجامع الصغير للحافظ السيوطى ومنها مختصر النهاية فى اللغة وأطلعنى على مصحف بخطه كل سطر ربع حزب فى ورقة واحدة .

ومن مصنفاته أيضاً: "البرهان فى علامات المهدى آخر الزمان" بالعربية و"النهج الأتم فى ترتيب الحكم" و " والوسيلة الفاخرة فى سلطنة الدنيا والآخرة) و" البرهان الجلى فى معرفة الولى" بالفارسى .

ومن أهم مؤلفاته "منهج العمال فى سنن الأقوال" بوب فيه الجامع الصغير للسيوطى وزوائده ثم بوب بقية قسم الأقوال وسماه "غاية العمال فى سنن الأقوال" ثم بوب قسم الأفعال من جمع الجوامع وسماه "مستدرك الأقوال" ثم جمع الجميع ورتبه فى كتاب سماه "كنز العمال فى سنن الأقوال

(1) فى النور السافر.

المتقى الهندى ومنهجه في كتاب
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

نسبه: هو الشيخ الإمام العالم الكبير المحدث علاء الدين على بن حسام الدين ابن عبد الملك بن قاضيخان المتقى الشاذلى المدينى الجشتى البرهانبوري.

مولده : ولد بمدينة برهانبور سنة خمسة وثمانين وثمانمائة من الهجرة .

نشأته وشيوخه : نشأ على العفة والطهارة وجعله والده مريداً للشيخ بهاء الدين الصوفى البرهانبورى في صغر سنه فلما بلغ سن الرشد اختاره ورضى به . ولما مات الشيخ المذكور لبس الخرقة من ولده عبدالحكيم بن بهاء الدين البرهانبورى .

ثم سافر إلى الهند ولازم الشيخ حسام الدين المتقى الملتانى وصحبه سنتين وقرأ عليه تفسير البيضاوى ثم سافر إلى الحرمين الشريفين وأخذ الحديث عن الشيخ أبى الحسن الشافعى البكرى وأخذ عنه الطريقة القادريه والشاذلية والمدينية .

وأخذ الطرق المذكورة عن الشيخ محمد بن محمد السخاوى المصرى أيضا وقرأ الحديث على الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر المكى وأقام بمكة مجاوراً للبيت الحرام ووفد إلى الهند مرتين وكان أكثر أهل الهند يتباركون به وكانوا من مريديه وعندما كان يدخل الهند كان الجميع يدينون له بالولاء والطاعة حتى كانوا لايفعلون شيئاً إلا بعد مشورته وموافقته ولكنه آثر مجاورته لبيت الله الحرام على كل هذا .

وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين وكان على جانب كبير

توفى قبل أن يلتحى أو ليس بقرشى أو عربى أو إنسى لأن وصفة بغير صفته تكذيب له ويؤخذ منه أن كل صفة أجمعوا على ثبوتها له يكون إنكارها كفراً كما لوجوز بعثة نبى بعده أوقال لا أدرى.

أو هو الذى بعث بمكة أو مات بالمدينة أو غيره أو النبوة مكتسبة أو أن رتبتها يوصل إليها بصفاء القلب أو الولى أفضل من النبى أو أنه يوحى إليه وإن لم يدع نبوة أو يدخل الجنة قبل موتة أو يعيب نبينا صلى الله عليه وسلم ومثله غيره من الأنبياء بل والملائكة أو يلعنه أو يسبه أو يستخف أو يستهزئ به أو بشئ من أفعاله كلحس الأصابع أو يلحق به نقصاً فى نفسه أو فى نسبه أو فى دينه أو فعله أو يغرض ذلك أو يشبه بشئ على طريق الإزراء أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو تمنى له مضرة أونسب إليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث فى جبهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو غيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لدية فيكفر بواحد مماذكر إجماعاً فيقتل ولاتقبل توبته عند أكثر العلماء وقد قتل خالد بن الوليد رضى الله عنه من قال له عند صاحبكم وعد هذه الكلمة تنقيصاً له صلى الله عليه وسلم أويرضى بالكفر ولوضمناً كأن يشير على كافر بأن لايسلم وإن لم يستشره أو يقول له لتلقى كلمة الإسلام فيؤخر كأن يقول خطيب أصبر حتى أفرغ من خطبتى.

وقد ساق المؤلف كلاماً كثيراً لايتسع المجال لذكره فمن أراده فليراجع كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر.

ومن المؤلفات علي طريقة الجوامع أيضا كتاب: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي.

وإليك دراسة له:-

نحو علمه أو قدرته أو كونه يعلم الجزئى أو اثبات ماهو منفى عنه كذلك كاللون أو أنه متصل بالعالم أو خارج عنه على مافى ذلك من نزاع . وتفصيل حاصله أن النقص إما أن يعتقد اتصاف الله عز وجل وتبارك وتعالى عنه به صريحاً أو لازماً فالأول كفر إجماعاً والثانى كذلك على خلاف فيه الأصح منه عندنا عدم الكفر فعلم أن نحو المجسم أو الجوهرى لايكفر بما يلزم من مقالته من النقص إلا إن أعتقده أوصرح به وكأن يسجد لمخلوق كالشمس إن لم تدل قرنية ظاهرة على عذره ويأتى هذا القيد فى كثير من المسائل الآتية وفى معنى ذلك كل من فعل فعلاً أجمع المسلمون على أنه لايصدر إلا من كافر وإن كان مصرحاً بالإسلام كالمشى إلى الكنائس مع أهلها بزيهم مع الزنانير وغيرها أويلقى ورقة فيها شئ من قرآن أو علم شرعى أو فيها اسم الله تعالى بل أو اسم نبى أو ملك : فى نجاسة .

قال بعضهم : أو تقذر طاهر كمنى أو مخاط أو بصاق أو يلطخ ذلك أو مسجداً بنجس ولو معفوا عنه أو يشك فى نبوة نبى أجمع عليها لا كالخضر وخالد بن سنان أو فى إنزال كتاب كذلك كالتوراة أو الإنجيل أو زبور داود أو صحف إبراهيم صلى الله عليه وسلم أو فى آية من القرآن مجمع عليها كالمعوذتين أو فى تكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة أو فى مكة أو الكعبة أو المسجد الحرام أو فى صفة الحج أو هيئته المعروفة وكذا الصلاة والصوم أو فى حكم مجمع عليه من الدين بالضرورة كتحريم المكس - ومشروعيته السنن كصلاة العيد أو استحل محرماً كذلك كالصلاة بغير وضوء بخلافها مع نجاسة للخلاف فيها وكإيذاء مسلم أو كافر ذمى بلامسوغ شرعى بالنسبة لاعتقاده أو حرم حلالاً كالبيع والنكاح أو يقول عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان أسود أو

تنبيهات منها : بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه لكثرة وقوعها فى الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك فإذا بان لهم بعضها فلعلهم أن يجتنبوها لئلا تحبط أعمالهم ويخلدوا فى أعظم العذاب وأشد العذاب ومعرفة ذلك أمر مهم جداً.

فإن من ارتكب مكفراً تحبط جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبى حنيفة وقد توسع أصحابه فى المكفرات وأعدوا منها جملاً مستكثرة جداً وبالغوا فى ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب مع قولهم بأن الردة تحبط الأعمال وبأن من ارتد بانت منه زوجته وحرمت عليه فمع هذا التشديد العظيم بالغوا فى الإتساع فى المكفرات فتعين على كل ذى مسكة من دينه أن يعرف ماقالوه حتى يجتنبه ولايقع فيه فيحبط عمله ويلزمة قضاؤه وتبين زوجته عن هؤلاء الأئمة بل عند الشافعى رضى الله عنه إن الردة وإن لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا فى القضاء فقط والاكثرون وإن لم يقلدوهم لكن الاستبراء للدين والنفس المأمورة به يوجب الإحتياط ومراعاة الخلاف ما أمكن سيما فى مثل هذا الباب الضيق الشديد الحرج فى الدنيا والأخرة بل لا أشد منه ولذلك أستوفيت جميع ماقالوه مما هو معتمد وغير معتمد عندهم وإقاله غيرهم من بقية المذاهب فى كتابى الآتى ذكره أشير هنا إلى جملة من ذلك، ومن أراد الإحاطة بجميع تلك الفروع فعليه بالكتاب المذكور. فمن أنواع الكفر والشرك أن يعزم الانسان عليه فى زمن بعيد أوقريب أو يعلقه باللسان أو القلب على شئ ومحال عقليا فيما يظهر فيكفر حالاً أو يعتقد مايوجبه أو يفعل أو يتلفظ بما يدل على سواء أصدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء كأن يعتقد قدم العالم ولو بالنوع أو نفى ماهو ثابت لله تعالى بالإجماع المعلوم من الدين بالضرورة كإنكار أصل

ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" رواه احمد والشيخان .

"من بدل دينه فاقتلوه"[١] رواه أحمد والبخارى والأربعة "من ارتد عن دينه فاقتلوه" والطبرانى "أسلم وإن كنت كارهاً" والبخارى وأبو يعلى والضياء : "آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم وأنهاكم عن ثلاث : قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال"[٢].

ورواه أبو نعيم " أيما رجل إرتد عن الإسلام فأدعه إليه فإن تاب فأقبل منه وإن لم يتب فأضرب عنقه وأيما أمرأة إرتدت عن الإسلام فادعها فإن تابت فاقبل منها وإن أبت فاسبها" رواه الطبرانى وظاهره إن المرأة المرتده لاتقتل "من بدل دينة أو رجع عن دينه فاقتلوه ولاتعذبوا عباد الله بعذاب الله " يعنى النار" والطبرانى "من بدل دينة فاقتلوه ولايقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه أى مادام مصراً على كفره" وابن حبان "من رجع عن دينه فاقتلوه ولاتعذبوا بعذاب الله أحد" يعنى النار . والشافعى والبهقى " من غير دينه فأضربوا عنقه" . والطبرانى "من خالف دينه دين المسلمين فأضربوا عنقه وإذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فلاسبيل اليه إلا أن يأتى شيئاً نيقام عليه حده" .

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب لا يعذب بعذاب الله ١٧٢/٢.
وأخرجه أبو داود كتاب الحدود باب الحكم فيمن أرتد ١٢٤/٤.
وأخرجه الترمذي كتاب الحدود باب ما جاء في المرتد ٩/٣.
وأخرجه النسائي كتاب التحريم باب الحكم في المرتد ١٠٣/٧.
وأخرجه ابن ماجه كتاب الحدود باب المرتد عن دينه ٨٤٨/٢.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأقضيه باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة عن أبي هريره ١٠/١٢ وعن المغيرة بن شعبه ١٣٠١/١٢ وأخرجه مالك في كتاب الكلام باب ماجاء في إضاعة المال وذي الوجهين عن أبي هريرة ١٩٠/٢.

والبخارى : "أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور"

وأحمد والترمذى وابن حبان والحاكم : "إن من أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس وماحلف حالف بالله يمين صبر فأدخل فيها جناح بعوضة إلا جعلت نكتة فى قلبه إلى يوم القيامة"

والطبرانى : "من أكبر الكبائر الشرك بالله واليمين الغموس" والطبرانى والحاكم والبيهقى : "ألا إن أولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التى كتبهن الله على عباده ويصوم رمضان ويحتسب صومه يرى أنه عليه حق ويؤتى زكاة ماله طيبة بها نفسه أيحتسبها ويجتنب الكبائر التى نهى الله عنها ؟ قيل يارسول الله كم الكبائر ؟ قال : هما تسع أعظمهن الإشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا لايموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة إلا رافق محمداً صلى الله عليه وسلم فى بحبوحة جنة أبوابها مصاريع الذهب" .

وقال صلى الله عليه وسلم "اذهب يابن الخطاب" وفى رواية "قم ياعمر فناد فى الناس إنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون" رواه أحمد ومسلم والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم "يابلال قم فأذن لايدخل إلا مؤمن وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" رواه البخارى

وقال صلى الله عليه وسلم "لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة" رواه أحمد ومسلم وأبوداود وابن ماجة "إنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله

وقال تعالى : {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}(١).

وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت"(٢).

وفى الحديث الصحيح أيضاً : "اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها "الإشراك بالله وروى أحمد والبخارى والترمذى والنسائى "الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس" الحديث وأحمد والشيخان والترمذى والنسائى "الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قول الزور" وكونه أكبرهن إنما هو فيما لم يرد فيه مايدل على أنه أكبر منها كالشرك والقتل والزنا .

وأبو داود والنسائى :"الكبائر تسع وأعظمهن إشراك بالله" .

والطبرانى : "اجتنبوا الكبائر السبع الشرك بالله " الحديث والبزار "إن أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل" وأحمد والشيخان والترمذى "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور" .

الطبرانى: "الكبائر سبع الإشراك بالله" الحديث ذكر منها الأعرابيه بعد الهجرة وسيأتى إن شاء الله .

---

(١) سورة المائده الآيه ٧٢.

(٢) البخاري كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور ١٠٢/٢ وكتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ٤٨/٤ وكتاب الإستئذان باب من أتكأ بين يدي أصحابه ٩٤/٤ والترمذي كتاب البر باب ما جاء في عقوق الوالدين ٢٠٨/٣ وكتاب التفسير سوره النساء ٣٠٢/٤.

الأكبر أعاذنا الله منه ثم الشرك الأصغر وهو الرياء ثم الحقد والحسد والفسق والنفاق والبغى فالطمع إلى غير ذلك من الكبائر ثم انتقل بعد ذلك إلى كتاب الطهارة فأورد بعض الكبائر مثل الأكل والشرب فى آنية الذهب والفضة ومثل وطئ الحائض .

ثم انتقل إلى كتاب الصلاة فذكر من الكبائر تعمد ترك الصلاة وأورد فى كتاب الزكاة ترك الزكاة وفى كتاب الصيام ترك الصوم وفى كتاب الحج ترك الحج ثم ذكر كبائر فى كل من الأضحية وكتاب البيع وكتاب النكاح وكتاب النفقات والجنايات والحدود والإيمان والشهادات والدعاوى وغيرها .

وسأذكر نموذج من الكتاب حتى تتم الفائدة ويتضح للقارئ منهج المؤلف فيه. ففى الجزء الأول صـ٤٣ ذكر الكبيرة

الأولى : الشرك الأكبر أعاذنا الله منه بمنه وكرمه وختم لنا بالحسنى فى عافية بالمحنة إنه أكرم كريم وأرحم رحيم

أعلم وفقنى الله وإياك لمرضاته وأجزل علينا هواطل جوده وسوابغ عباته أنه مر أن كلا من تعاريف الكبيرة السابقة ظاهرة إنما هو تعريف للكبيرة المصاحبة للإيمان فذلك بدأ كثيرون فى تعدادها بمايلى الكفر وهو القتل ولم نجر على ذلك لأن مقصودنا فى هذا الكتاب إستيفاء الكلام على سائر ماقيل أنه كبيرة مع بيان مراتبها وماورد فيها من الوعيد والتهديد ولماكان الكفر أعظم الذنوب كان أحق بأن يبسط الكلام عليه وعلى أحكامه فنقول: قال الله تعالى : {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}[1] .وقال تعالى : { إن الشرك لظلم عظيم}[2].

---

(١) سورة النساء الآية ٤٨.

(٢) سورة لقمان الآية ١٣.

منهجه في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر

ابتدأ ابن حجر الهيتمى كتابه هذا بمقدمة إضافية تعرض فيها لبيان آراء العلماء فى تحديد الذنوب وأن بعضهم يرى أن جميع الذنوب كبائر وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة لما هو أكبر منها ثم أوضح رأى جمهور العلماء وهو أن المعاصى تنقسم إلى صغائر وكبائر. والذى دفع القائلين إلى أن جميع الذنوب كبائر أنهم كرهوا تسمية معصية الله صغيرة نظراً لعظمة الله تعالى وإجلال له عن تسمية معصية صغيرة لأنها بالنظر إلى عظمته تعد كبيرة أما الجمهور فلم ينظروا إلى ذلك لأنه معلوم بل قسموها إلى صغائر وكبائر ولوكانت الذنوب كلها كبائر ماقال تعالى :

{إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم}[1].

ثم وضح بعد ذلك ماذهب اليه القائلون بالفرق بين الصغيرة والكبيرة فمنهم من يرى أن الكبيرة ما لحق صاحبها عليها وعيد شديد بنص القرآن أو الحديث .

ومنهم من يرى أن الكبيرة هى كل معصية أوجبت الحد والرأى الأول أقوى لأنهم نصوا على كبائر كثيرة لاحد فيها كأكل الربا ومال اليتيم والعقوق وقطع الرحم والسحر والنميمة وشهادة الزور .

فكل هذه كبائر ولاحد فيها ويرى البعض أن الكبيرة ما أوجب الحد أو توجه اليه الوعيد وأن الصغيرة ماقل فيه الإثم ثم أورد بعد ذلك النصوص فى التحذير من المعاصى صغيرها وكبيرها من الكتاب ومن السنة .

ثم تكلم فى الباب الأول عن الكبائر الباطنة ومايتبعها مبتدأ بالشرك

---

(١) سورة النساء الآية ٤٨.

ودفن بالمعلاة بمكة فى تربة الطبريين بالقرب من مشهد ابن الزبير - رضى الله عنه[1].

---

(١) فهرس الفهارس والإثبات ١/٣٣٧ ومابعدها. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/١٠٩.

سالم الطبلاوى الشافعى المصرى .

تلاميذه : بلغ ابن حجر الهيتمى منزله رفيعة ودرجة عظيمة فنجده وقد تتلمذ الكثير على يدة منهم الشيخ وجية الدين عبد الرحمن العمودى الشافعى الذى كان فقيهاً بارعاً وإماما وقدوة المتوفى سنة ٩٦٧ هـ بمكة ومنهم الإمام جمال الدين محمد طاهر الهندى الملقب بملك المحدثين المتوفى سنة ٩٨٦هـ والعالم الفاضل محمد ابن أحمد بن على الفاكهى الملقب بأبي السعادات المتوفى بالهند سنة ٩٩٢هـ .

مؤلفاته : نتيجة لما سبق من طلبه للعلم فقد ألف وشرح مجموعة ضخمة من الكتب . منها : "اسعاف الأبرار شرح شكاة الأنوار" و " شرح المنهاج" و"الفتح المبين شرح الأربعين" شرح فيه الأربعين النوويه وله شرحان على الإرشاد و "شرح الهمزية البوصيرية" و "حاشية شرح أحاديث النكاح" وألف أيضا "الزواجر عن اقتراف الكبائر" و : الفتاوى الحديثية: ، " الأربعين حديثاً فى العدل" و " الأربعين فى الجهاد" و "جزء فيما ورد فى المهدى" و"جزء فى الصحابة النبوية" و "أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل" و " تحرير المقال فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبوا الأطفال" و" تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار": و "واتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام"(١).

وفاته : قدم ابن حجر الهيتمى إلى مكة فى أخر سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة من الهجرة فحج وجاور بها ثم عاد إلى مصر ثم حج بعياله فى آخر سنة سبع وثلاثين ثم حج سنة أربعين وجاور من ذلك الوقت بمكة وأقام بها يدرس ويفتى ويؤلف إلى أن وافته المنية فى ضحوة الاثنين الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وقيل أربع وسبعين

بوسائط متعددة بل وقع لبعضهم أنه أخذ عنه مشافهة تارة عن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة أخرى ثم يقول الهيتمي: حدثني بالمسلسل الأولية: المشايخ الأئمة المسندون والأجلاء العلماء العاملون أكثرهم بالإجازة الخاصة وأقلهم بالإجازة العامة فمن الأولين شيخنا زكريا ثم شيخنا عبد الحق السنباطي الذي كان صفوة العلماء الأعلام على أجمل طريقة من العقل والتواضع ومنهم أيضا الشيخ العارف بالله شيخ ابن الله بن شيخ بن عبدالله العيدروس والذي قيل فيه "والله ماهو إلا آية من آيات الله".

لذا نجد بن حجر الهيتمي يمتاز بسعة إطلاعه وذكائه النادر مما جعله يقف على السنة ورواياتها حفظاً واستيعاباً مع إلمامه بمذاهب العلماء وآرائهم فنجده ينهج منهج أهل السنة والجماعة في كتبه الحديثية بأن يعتمد على النقل الصحيح من الكتاب والسنة على عقيدة سلف هذه الأمة وآراء المجتهدين ملخصاً ذلك من كتب من سبقه من العلماء المعتدلين كالمحب الطبري والسخاوي مع زيادات وإضافات ونجده أيضاً كان يدقق في السند مع كثرة ما كان يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث النبوية لسعة حفظه وإطلاعه ورواياته الكثيرة عن كبار المحدثين ونجد له منهج في ذكر الشواهد والمتابعات.

فيقول إذ قلت – قال صلى الله عليه وسلم أو لقوله صلى الله عليه وسلم فالحديث صحيح أو حسن وغيرهما أبينه لئلا يغتر به من لم يخض بحار السنن[1].

شيوخه: تتلمذ ابن حجر الهيتمي على كثير من مشايخ عصره وأكثرهم أثراً في حياته هم شيخ الإسلام وقاضي القضاة زكريا الأنصاري والعالم العلامة عبدالحق السنباطي القاهري الشافعي والإمام ناصر الدين محمد بن

(١) راجع ابن حجر الهيتمي لعبد المعز الجاز من ص٦٥: ١٠٧.

الأعلام وإمامين من أئمة المذهب الشافعي كلاهما يسمى أحمد.

أولهما : الحافظ الكبير الشهير أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد بن حجر الكنانى العسقلانى الملقب شيخ الإسلام والمعروف بابن حجر وهو لقب بعض أجداده وكان شيخ أهل الحديث فى زمنه وبعده ومن كبار المجتهدين الثقات على مذهب الإمام الشافعى رحمه الله .

وصاحب المؤلفات النافعة الكثيرة مثل فتح البارى والتقريب فى الرجال والإصابة فى معرفة الصحابة وغيرها وإذا أطلق لفظ ابن حجر فالمقصود هذا العالم الجليل ابن حجر العسقلانى نسبة إلى عسقلان كزعفران وهى مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين يقال لها عروس الشام .

ولد هذا العالم الجليل بمصر القديمة سنة سبعمائة وستة وسبعين من الهجرة لأب عرف بالعلم والفتوى وتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة من الهجرة بالقاهرة الموافق ١٤٤٩م وعاش ستا وسبعين سنة .

أما الثانى : فهو ابن حجر الهيتمى الذى نحن بصدد الترجمة له وكلا العالمين مصرى وشافعى المذهب[١].

ابن حجر الهيتمى ورحلته فى طلب العلم والحديث : نجده تتلمذ على نخبة ممتازة من العلماء الأعلام الذين منهم شيخ الإسلام القاضى زكريا والذى قال فى حقه ابن حجر الهيتمى أجل من وقع عليه بصرى من العلماء العاملين والأئمة الوارثين وأعلى من عنه رويت ودريت من الفقهاء الحكماء فهو عمدة العلماء الأعلام وحجة الله على الأنام والمنفرد فى زمنه بعلوم الإسناد .

كيف ولم يوجد فى عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو

(١) راجع ابن حجر الهيتمي لعبد العز الجزار ص٦٥: ١٠٧.

وأذن له فى الإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين وبرع فى علوم كثيرة من التفسير والحديث والكلام والفقه أصولاً وفروعاً والفرائض والحساب والنحو والصرف والمعانى والبيان والمنطق والتصوف .

ومن محفوظاته المنهاج الفرعى ومقروءاته لايمكن حصرها وأما إجازات المشايخ له فكثيرة جداً استوعبها فى معجم مشايخه[١] .

لم سمى بابن حجر؟ [سمى شيخنا بابن حجر نسبة على ماقيل إن جدة كان ملازماً للصمت فى جميع أحواله لاينطق إلا لضرورة ومن هنا شبه بالحجر[٢].

وفى الفتاوى الكبرى الفقهية[٣] : سمى جده بحجر لما أنه مع شهرته بين قومه بأنه من أكابر شجعانهم وأبطال فرسانهم.

كان ملازماً للصمت لايتكلم إلا لضرورة هامة وإلا فهو مشغول عن الناس بما من الله علية به فلذلك شبهوه بحجر مُلقى لاينطق فقالوا حجر ثم اشتهر بذلك .

ويخطئ من ينطق بالهيثمى بالمثلثه ولكن النطق الصحيح : الهيتمى بالمثناه الفوقية لأنه شوهد بخط ابن حجر الهيتمى بالمثناه الفوقية فى مخطوطاته العديدة[٤].

ولأن هذه النسبة إلى بلده محله أبى الهيتم بالمثناه الفوقية التى نشأبها وهى من قرى محافظة الغربية وابن حجر يطلق على علمين من الثقات

(١) شذرات الذهب ٨/٣٧١.
(٢) الخطط التوفيقية لعي مبارك ١٥/٢٦ ، ١/٧.
(٣) بهجة الفكر صـ١٥٨.
(٤) بهجة الفكر صـ١٥٨.

الحافظ ابن حجر الهيتمى

ومنهجة في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بدر الدين بن محمد شمس الدين بن علي نور الدين بن حجر الهيتمى[1] المكى السعدى[2] الأنصارى العالم العلامة الرحالة الأزهرى الجنيدى طريقة الشافعى مذهباً المحدث الفقيه الصوفى الباحث المحقق المصرى الشهير .

ولد فى رجب سنة تسع وتسعمائة من هجرة سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم فى محلة أبى الهيتم - هى بلدة الغرقية من إقليم الغربية بمصر وإليها ينسب .

نشأته : مات أبوه وهو صغير فكفله الإمامان الكاملان شمس الدين محمد السروى المشهور بابن أبى الحمايل المتوفى سنة ٩٣٢ هـ المدفون بزاويته بين السورين وشمس الدين الشناوى تلميذ أبى الحمايل ثم إن الشمس الشناوى نقله من محلة أبى الهيتم إلى مقام سيدى أحمد البدوى فقرأ هناك فى مبادئ العلوم ثم نقله فى سنة أربع وعشرين وتسعمائة إلى جامع الأزهر فأخذ عن علماء مصر وكان قد حفظ القرآن العظيم فى صغره ومن أخذ عنه شيخ الإسلام زكريا الأنصارى والشيخ عبد الحق السنباطى وشيخ الإسلام كمال الدين بن حمزة الدمشقى والشمس المشهدى والشمس السمهودى والأمين الغمرى والشهاب الرملى والطبلاوى وأبو الحسن البكرى والشمس اللقانى الديروطى والشهاب بن النجار الحنبلى والشهاب بن الصائغ وآخرون .

---

(١) شذرات الذهب ٨/ ٣٧٠ والرسالة المستطرفة ص١٩٤.

(٢) نسبة إلي بني سعد من عرب الشرقيه بمصر والمشهور منهم أنهم من الأنصار هكذا في الفتاوي الكبري الفقهيه ٣/١ والخطط التوفيقيه لعلي مبارك ٦١٥.

٧- كتب جامعة لأحاديث الترغيب والترهيب وهذا النوع من المؤلفات يجمع فيها المحدثون الأحاديث التي تحث علي الفضائل واتباعها والعمل بها وأيضا الأحاديث التي تزجر وتنهي عن إرتكاب المعاصي. وهذا النوع من التأليف قد يشتمل علي كثير من الأحاديث الضعيفة لأن العلماء قد أجازوا استعمال الأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب ولكن نجد بعض المؤلفات التي ألفت في هذا الفن كتب لها أهميتها ولها منزلتها في الدين مثل: كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر للإمام ابن حجر الهيتمي المتوفي سنة ٩٧٣هـ

وإليك دراسة لهذا الكتاب:-

والإمام شهاب الدين أحمد بن حمزه الرملي الشافعي المتوفي سنه ٩٥٧هـ - والإمام محمد بن سالم الطبلاوي الشافعي المتوفي سنة ٩٦٦هـ

واليك نماذج من الكتاب

١) عن أنس- رضي الله عنه - قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فإذا سجد طهر سجوده ما تحت جبهته إلي سبع أراضين"(١).

٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما - كان رسول الله صلي الله عليه وسلم- إذ كان يصلي وحده فجاء رجل يصلي خلفه أقامه عن يمينه فإن جاء آخر أشار إليهما أن يتأخرا خلفه ويقول إذا كنتم ثلاثة فيتقدم أحدكم عن صاحبيه يؤم بهما(٢).

---

(١) رواه مسلم ٤/٢٠٠ كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٢) أخرجه الترمذي ٢/٣٠ . ٣١ أبواب الصلاة باب الصلاة - باب ما جاء في الرجل يصلي ومعه رجل، وباب ما جاء في الرجل يصلي ومعه الرجلين.

والصراط وغير ذلك من مواقف القيامه .

وما جاء في صفة الجنه والنار و ذبح الموت بينهما حتي ينادي المنادي بأهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت.

فهو كتاب احتوي علي مقاصد الشريعه وجميع هذه الأغراض التي ندرت أن تجمع في كتاب غيره ويستوعبها في هذا الإيجاز مع علوية لفظه وحلاوته.

فهو لم يذكر القصه التي سيق فيها الحديث إلا ان اشتملت علي موعظه أو اعتبار أو أدب من الادآب، ولم يكرر حديثا في باب واحد إلا لزيادة حكم ظاهر لم يكن في الحديث الذي قبله.

وكما يقول الشعراني في مقدمة كتابه "كشف الغمه":-

"ولم أمل فيه إلي تأويل حديث ولا إلي النسخ بالتاريخ كما يفعله بعضهم أدبا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يتقيد كلامه بها فهم عالم دون آخر وأن ينسخ غيره كلامه إذ لاناسخ لكلامه صلي الله عليه وسلم إلا هو.. فلهذين المعنين جعلت باب الفهم مفتوحا لكل سامع وناظر من كل العارفين وخلق أجمعين فيفهم كل واحد علي قدر ما وقر في قلبه بحسب جلاء مرآة قلبه وصداها ويدين الله تعالي بما فيهم[1].

وفي نهاية الكتاب ذكر الإجازات والتزكيات من الفقهاء والمحدثين المعاصرين لهذا الكتاب ... ليزيد القارئ بها طمأنينه تدفعه إلي الإنتفاع بما في هذا الكتاب من فوائد حديثيه، وهذه الإجازات من كل من الائمه : نور الدين عليَ بن يس الطرابلسي الحنفي المتوفي سنة ٩٤٢هـ والإمام أحمد بن يونس الحنفي الشهير بأبن شلبي المتوفي سنة ٩٤٧هـ .

(١) كشف الغمه / بتصرف ٦ ,٧ ,٨

يسبحون.

وختم ربع العبادات بباب جامع لفضائل الذكر بجميع أنواعه مطلقا ومقيدا وما جاء في فضل الصلاة والتسليم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وختم باب الجهاد بخاتمة لخص فيها سيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم من ولادته إلي رسالته إلي وفاته.

وختم أبواب فقه الكتاب باب جامع لجملة من أخلاقه صلي الله عليه وسلم ولجملة من هديه في أنواع مخصوصة كأكله ولبسه وصفته وإن كان ذلك مفرقا في أبواب الكتاب وأتبع هذه الأخلاق بذكر ما جاء في عقوق الوالدين وما جاء في صلة الرحم وستر عورات المسلمين وحقوق الجيران وقضاء الحوائج، وما جاء في الشفقة علي خلق الله تعالي من انسان وحيوان، وما جاء في الإصلاح بين الناس وقبول معاذيرهم، وزياره الإخوان والصالحين، وإكرام الزائر، وما جاء في الاستئذان والسلام وطلاقة الوجه وطيب الكلام والمصافحه وأدب المجالس، وما جاء في الاحترام والتوقير للأكابر من الناس، وما جاء في العطاس والتثاؤب، وما جاء في الشفاعه والتوادد والتعاضد، وعيادة المريض، وما جاء في ذم التهاجر والتشاحن والتقاطع والتدابر.

وما جاء في الإنفاق في وجوه الخير، وفي إطعام الطعام وسقي الماء وشكر المعروف وما جاء في تحريم احتقار الناس وفي فضل سلامة الصدر وترك الحسد ، وفي استحباب اماطة الأذي عن الطريق.

وماجاء في الزهد في الدنيا وقصر الأمل وذكر الموت وأحوال الموتي وعذاب البرزخ ونعيمه، وما جاء في النشر والحشر والحساب والميزان

محمد صلي الله عليه وسلم وعسر علينا تمييزه عما شرعه المجتهدون من أمته وازددنا لجهلنا لغالب الفقهاء الذين لم نتقيده بمذاهبهم، فإن توضأنا علي مذهب قالوا لنا أهل المذهب الآخر وضوءكم باطل، وإن صلينا علي مذهب قالوا لنا أهل المذهب الآخر صلاتكم باطله ... الخ.

هذا الخلاف بين العلماء أوقعهم في حيرة شديدة ... وتوجيه كل واحد منهم إلي مذهبه وتهديد الكثير منهم ببطلان عباداتهم إذا خرجوا عن مذاهب أئمتهم

فلجأوا إلي الإمام الشعراني وألحوا عليه أن يجمع لهم كتابا حاويا لأدلة المذاهب الاربعة المشهورة وغيرها من صريح السنه وسنة الخلفاء.

ترتيب الكتاب:-

رتب الامام الشعراني كتابه علي ترتيب كتب الفقه ليسهل الإطلاع عليه والكشف منه علي غالب الناس لكثرة تداول كتب الفقه فيما بينهم.

ولم يقتصر فيه علي ذكر الأبواب المعهوده في كتب الفقه خاصة..ولكنه قدم فيه كثيرا من النصائح التي تنفع المسلمين والتي إذا التزم بها المسلم كان نموذجا طيبا للشخصية المسلمة الكاملة التي تسير علي جادة الإسلام وهديه القويم وبذلك يمثل المسلمون إذا انتهجوا نهجه سيرة السلف الصالح وصحابة رسول الله والخلفاء الراشدين.. لأنه كما يقول في مقدمة كتابه :- إنه آخذ جميع ما يتعلق بأمر أو نهي أو مكارم أخلاق من الأحاديث والآثار.

وصدر كتابه بميزان يقدر جميع أدلة الشريعة وما انبني عليها من أقوال المجتهدين ومقلدتهم إلي يوم الدين وتجعلهم كلهم في فلك الشريعة

٩٥٧هـ- والإمام محمد بن سالم الطبلاوي الشافعي المتوفي سنة ٩٦٦هـ

والفلك المحيط لجميع هذه الكتب وغيرها من المسانيد الغريبة كتاب جامع الأصول لابن الأثير، وكتاب السنن الكبري للبيهقي، وكتاب الجامع الكبير والجامع الصغير وكتاب زيادة الصغير ... كل هذه الثلاثة الأخيرة للشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ الحديث بمصر المحروسة.

ثم قال الشعراني في مقدمة كتابه كشف الغمة :-

وقد طالعت جميع هذه الكتب وأخذت منها جميع ما يتعلق منها بأمر أو نهي أو مكارم أخلاق من الأحاديث والآثار وتركت كل ما زاد علي ذلك من السير والتفسير وغير ذلك مما هو ليس من شرط كتابنا..

فصار كتابنا هذا بحمد الله حاويا لمعظم أدلة المجتهدين وما نعلم الآن في كتب المحدثين كتابا اجمع لاحاديث الشريعة وآثارها منه فانه جمع - مع صغر حجمه - أدلة المجتهدين المشهورين، وإن أردت امتحان ذلك فانظر في أي باب منه وانظر ذلك الباب في جميع أبواب كتب المحدثين تجد جميع ما قالوه في أبواب كتبهم كلها مستوفي في باب واحد من كتابنا فإن كتب الحديث إنما طالت بذكر السند وتكرار الأحاديث.

السبب في تأليفه هذا الكتاب :-

ذكر الإمام الشعراني في مقدمته سبب تأليفه هذا الكتاب فقال :- لقد شكا إلي مرارا بلسان الحال، وبلسان المقال جماعات من الفقراء المتعبدين وأهل الحرف النافعة من المؤمنين ما يجدونه في نفوسهم من كثرة الغم حين يسمعون العلماء يقررون مذاهبهم وينصرون أقوالها دون مذاهب غيرهم، وقالوا لقد التبس علينا شرع ربنا الذي تعبدنا الله تعالي به علي لسان نبينا

منهجه في كتاب كشف الغمه عن جميع الأمة

هو كتاب جامع لأدلة المذاهب الأربعة المشهوره وغيرها من صريح السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين.. وجرده عن أقوال جميع المجتهدين التي لم تصرح باحكامها الشريعه ليعرف الانسان ما شرعه النبي صلي الله عليه وسلم فيقدم علي العمل به لأنه هو الذي سيسأل عنه أمام الله سبحانه وتعالي.

فجمع الإمام الشعراني في هذا الكتاب أحاديث الشريعة وآثارها من كتب الاحاديث التي تيسرت له حال جمعه في البلاد المصرية كموطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أبي داود[1] وهو من أقران مالك يروي عن وكيع، وقد وقعت له منه نسخه بخط الإمام محمد بن علده ولم يظفر بها أحد من حفاظ الحديث في مصر كالصحيحين ومسانيد الأئمه الثلاثة الإمام أبي حنيفه ، والإمام أحمد والإمام الشافعي ومستدرك الحاكم، وصحيح ابن خزيمه وابن حبان والترمذي والنسائي وابن ماجه، والأحاديث المختارة للضياء المقدس- قال الشيخ جلال الدين السيوطي وكلها صحيحه وغير ذلك من كتب حفاظ المحدثين-رضي الله عنهم أجمعين-بل لم أذكر في هذا الكتاب شيئا من أحاديث غير هذه الكتب إلا نادرا لأنها هي التي اعتمدها العلماء وتلقوها بالقبول ولا يخرج عنها من أحكام الشريعه فيما أعلم إلا النادر.

والإمام شهاب الدين أحمد بن حمزه الرملي الشافعي المتوفي سنة

---

(١) واسمه حسين بن داود المصيص لقبه الصاد في الشذرات بالمحتسب الحافظ وقال: أنه اشتهر بلقب سنيد وأنه أحد أوعية العلم والأثر، وثقة ابن حبان والخطيب البغدادي وإن تكلم فيه أحمد توفي سنة ٢٢٦هـ/ شذرات الذهب ٥٩/٢، وذكره صاحب الرسالة المستطرفه في أصحاب المسانيد وضبط المصيص بكسر الميم وتشديد الصاد نسبة إلي الصاد نسبة إلي المصيصه مدينة في أي مدينة الشام وقال: أن سنيد كزبير، وأنه الحافظ المحتسب صاحب التفسير المسند المشهور : الرسالة المستطرفة.

ومن مؤلفاته أيضا : « الميزان الخضرية » و «والميزان الشعرانية» جمع فيها بين الشريعة والحقيقة وكتابه «اليواقيت والجواهر» الذى ألفه للتوفيق بين الصوفية ورجال الكلام وأصحاب النظر العقلى من الفلاسفة .

ومن مؤلفاته أيضاً كتابه "الطبقات الكبرى" و "الطبقات الصغرى" وغير ذلك من المؤلفات التى لم يتسع المجال لذكرها .

وفاته : توفى رحمه الله بمصر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة سنة ٩٧٣ هـ ودفن بزاويته[١].

(١) الرسالة المستطرفة ص١٦٢ ط دار البشائر الإسلامية

تتلمذ عليه كثيرا من العلماء منهم الإمام عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوى محدث العصر وعلامة مصر صاحب المؤلفات الكثيرة المتوفى سنة ١٠٣١هـ.

مؤلفاته :

(١) كشف الغمة عن جميع الأمة[1] وهو كتاب جامع لأدلة المذاهب الأربعة المشهورة وغيرها من صريح السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين وجرده عن أقوال جميع أقوال المجتهدين التى لم تصرح بأحكامها الشريعة ليعرف الإنسان ماشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم فيتقدم على فعله .

(٢) البدر المنير فى غريب أحاديث البشير النذير وهو مخطوط فى مكتبة الأزهر تحت رقم (١٦٤١) ورقم عام (١٧٨٨٩) ويقع فى أثنتين وخمسين صفحة جمع فيه ألفين وثلثمائة حديث من الأحاديث الغريبة على مراده وهى التى يجهل غالبية الناس من خرجها مرتبة على حروف المعجم انتخبها من جوامع السيوطى والمقاصد الحسنة والغماز على اللماز لجلال الدين السمهودى .

(٣) منح المنة فى التمسك بالشريعة والسنة وهو كتاب وضع فيه مالابد منه لطالب الأخره مبيناً مايجب عليه فى جانب العقيدة وجانب العباده وبين أن أول واجب على المسلم أن يأتى بالشهادتين قولاً واعتقاداً وعملاً طرفى الليل والنهار.

(٤) لواقع الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية وهو كتاب ضمنه جميع العهود التى تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فعل المأمورات وترك المنهيات

---

(١) المحشون فى مصر والأزهر ص٢٤٠ وما بعدها.

هذا الوقت وقرأ وحفظ كثيرا من الكتب وقد تحدث الشعرانى عن دراسته فقال: ثم لما جئت إلى مصر حفظت كتاب المنهاج للنووى ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقى ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ ثم حفظت من كتاب الروض مختصر الروضة إلى باب القضاء على الغائب وكان الشعرانى حريصاً على إغتنام كل دقيقة من حياتة فى طلب العلم فلم يكن يرى إلا قارئا أو ناسخاً أو سائلاً ويحكى عن بعض شيوخه قائلاً كان فى بعض الأوقات يقول لى هلا تذهب بنا إلى بحر النيل لنشم الهواء فأقول له ياسيدى مجالستكم عندى أعظم من شم الهواء فيدعو لي[1] وبعد هذه الرحلة فى التلقى والتعلم على خيرة علماء مصر والعالم فى هذا الوقت وقراءة الكثير من الكتب وبلوغه درجة عالية فى العلم نجد الشعرانى وقد بدأ فى التصنيف والتأليف والإبتكار والكتابه فى كثير من فروع العلم فتجده ألف فى الحديث والفقه والأصول والتفسير والنحو والتصوف والطب والكيمياء والأخلاق وغيرها .

ويتحدث شيخ الإسلام الفتوحى الحنبلى عن مكانته العلمية قائلاً: إن الشعرانى قد أحاط من العلم بمالم نحط به وقد قرأ من الكتب مالا يعرف له اسم وأنه لو ادعى تأليفها ماوجد فى مصر منازعاً)[2].

وقد حبب إلى الإمام الشعرانى علم الحديث حباً جماً فلزم الإشتغال به والأخذ عن كبار المحدثين وألف فى الحديث كتباً كثيرة قيمة لها أهميتها فى المكتبة الإسلامية . كما ألف كتباً كثيرة فى فروع العلم الأخرى . كما

---

(١) لطائف المنن جـ١/٣٥

(٢) الإمام الشعرانى للشيخ محمود أبو هاشم ص٤٣.

مات أبوه سنة ٩٠٧ هـ وقبل موت أبيه ماتت أمه - وبعد وفاة والده كفله أخوه الشيخ عبدالقادر وقد حفظ القرآن فى الثامنة من عمره ثم حفظ متن أبى شجاع والآجرومية ودرس هذين الكتابين على أخيه الشيخ عبدالقادر وبعد ذلك انتقل من قريته إلى الأزهر سنة عشرة وتسعمائة حيث قضى خمس سنوات يتلقى العلم والمعرفة بالأزهر على يد شيخه الشونى ثم إنتقل بعد ذلك إلى مسجد الغمرى بمشورة شيخه الشونى .

ومسجد الغمرى هذا كان فى تلك الحقبة بمثابة معهد علمى يجمع بين التعليم وإجراء الأرزاق من الأوقاف والهبات على من يتخصص للعلم فيه وقد ظل فى هذا المسجد سبعة عشر عاماً ثم إنتقل إلى مدرسة أم خوند ليتفرغ للتأليف والتصنيف وكان ذلك بناء على رؤية منامية للرسول صلى الله عليه وسلم أذن له بالإقامة فيها ثم بعد ذلك أقام زاويته المشهورة وانتقل إليها وجعلها معهداً علمياً وناديا روحياً يلتقى فيها طلاب العلم والمعرفة مع طالب السمو الروحى والتقرب إلى الله عز وجل فيجتمع العلم مع العمل والقول مع الفعل وغذاء العقل مع غذاء الروح وهكذا تكون التربية الإسلامية والدعوة إلى الله عز وجل التى تقوم على ترقية جميع جوانب الإنسان ولاترتكز على جانب على حساب الجانب الآخر .

حياته العلمية : عرفنا أن الشعرانى نشأ فى قرية وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمانى سنوات ثم متن أبى شجاع والآجروميه ودرسهما على أخية الشيخ عبدالقادر وبعد ذلك هاجر إلى القاهرة واتصل بخيرة العلماء وتتلمذ عليهم مثل الإمام جلال الدين السيوطى الذى لم تدم تلمذة الشعرانى عليه سوى بضعة أشهر لوفاته فى نفس السنة التى قدم فيها الشعرانى إلى القاهرة والشيخ شمس الدين الديروطى الواعظ بالجامع الأزهر آنذاك وشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصارى والشيخ أمين الدين إمام مسجد الغمرى فى

الإمام الشعرانى ومنهجه فى كتاب

كشف الغمة عن جميع الأمة

نسبه: هو الإمام المحدث عبد الوهاب بن أحمد بن على بن أحمد بن محمد بن زوقا[١] (بفتح الزاى وسكون الراء) ابن الشيخ موسى المكنى بأبى العمران بن السلطان سعيد بن السلطان قاشيه بن السلطان يحيى بن السلطان زوقا ابن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية ابن الإمام على بن أبى طالب .

فهو من أصل علوى هاشمى ومن بيت طاهر جمع مع عراقة النسب سمو النشأة وطهارة المنزع وعظيم الصلة بالله ولقب بالأنصارى نسبة إلى جدة على نور الدين الأنصارى. والشافعى نسبة إلى مذهبة وبالشعرانى نسبة إلى بلدته (ساقية أبى شعرة) وهى نسبة غير قياسية .

ويكنى بأبى المواهب وهى كنية مثالية كما تقول دائرة المعارف وأبى عبد الرحمن بالنسبة إلى ابنه الذى بقى بعده.

مولده : ولد الشعرانى فى قرية قلقشنده[٢] فى بيت جده لأمة يوم سبعة وعشرين من رمضان سنة ٨٩٨ هـ على الراجح كما حددها عبد الرؤف المناوى وعلى مبارك وطه عبد الباقى سرور[٣].

وبعد أربعين يوماً من ولادته جئ به إلى بلدة أبيه وهى "ساقية أبى شعره" بإقليم المنوفية .

نشأته : نشأ الشعرانى يتيماً من الأبوين فكان الله وليه ونصيره فقد

---

(١) فى الكواكب السائرة: زوقا بزال فراو نقال جـ٣/١٧٦

(٢) قلقشنده قرية من قرى محافظة القليوبيه بمصر.

(٣) الشعراني حياته وتصوفه رسالة دكتوراه ص٣٥.

وإليك نماذج منه

١- (١٢٩٠٥): ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار.

ط ، حم ، خ ، م ، ت ، ن ، هـ ، حب : عن أنس (البغوي) طب ، (ز) عن أبي أمامة.

٢- (١٢٩٠٦) "ثلاث من كن فيه فقد ذاق طعم الإيمان من كان لاشئ أحب إليه من الله ورسوله ومن كان يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه [illegible] يحب لله ويبغض لله.

طب ، هب عن أنس.

وهذان الرقمان الرقم الأول: يشير إلي رقم الحديث داخل الحرف.

والرقم الثاني : يشير إلي رقم الحديث داخل الكتاب.

ومن الكتب المؤلفة الجامعة لأحاديث الأحكام كتاب كشف الغمة للإمام الشعراني.

وإليك دراسة لهذا الكتاب:-

١- قسم إذا عزا إليه فهو معلم بالصحة وهذه الكتب هي صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم وموطأ مالك وصحيح ابن خزيمة والمختارة للضياء المقدسي وصحيح أبي عوانه والصحاح لابن السكن والمنتقي لابن الجارود والمستخرجات.

٢- قسم اشتمل علي الحديث الصحيح والحسن والضعيف وغالباً يبين الضعيف، وهذه الكتب هي سنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجة ومسند أبي داود الطيالسي ومسند أحمد بن حنبل وزيادات ابنه عبد الله عليه ومنصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة وسنن سعيد ابن منصور ومسند أبي يعلي ومعاجم الطبراني الثلاثة وسنن الدارقطني وغيرها والحلية لأبي نعيم والسنن الكبري للبيهقي وشعب الإيمان للبيهقي.

وقال وكل مافي مسند أحمد فهو مقبول فإن الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن.

٣- قسم ليس فيه إلا الحديث الضعيف وهذه الكتب هي الضعفاء للعقيلي وتاريخ بغداد للخطيب ونوادر الأصول للحكيم الترمذي وتاريخ ابن الجارود ومسند الفردوس للديلمي وتاريخ نيسابور للحاكم وتاريخ دمشق لابن عساكر والكامل في الضعفاء لابن عدي.

هذا والكتاب جمع كثرة كثيرة من الأحاديث وجمع أحاديث من مصادر يصعب الوصول إليها بل يكن مستحيلاً ورتب أحاديثه ترتيباً جيداً وتعرض للتصحيح والتضعيف مما جعل الكتاب ذا أهمية في المكتبة الإسلامية[1].

---

(١) كشف اللثام ٢/٢٠٩، طرق تخريج الحديث ص ٤٥.

١٥-(ش)لابن أبي شيبة.

١٦-(ع)لأبي يعلى.

١٧-(طب)للطبراني في الكبير.

١٨-(طس)للطبراني في الأوسط.

١٩-(طص)للطبراني في الصغير.

٢٠- (قط) للدارقطني فإن كان في السنن أطلق وإلا بين.

٢١- (حل) لأبي نعيم في الحلية.

٢٢- (ق) للبيهقي فإن كان في السنن أطلق وإلا بين.

٢٣- (هب) للبيهقي في شعب الإيمان.

٢٤- (عق) للعقيلي في الضعفاء.

٢٥- (عد) لابن عدي في الكامل.

٢٦- (خط) للخطيب فإن كان في التاريخ أطلق وإلا بين.

٢٧- (كر) لابن عساكر في تاريخه.

وهذه هي رموز للكتب التي أكثر استعمالها والأخذ منها أما باقي الكتب فيذكرها باسمها من غير رمز.

ولم يكتفي الإمام السيوطي بالعزو إلي هذه الكتب ولكنه تعرض لقضية التصحيح والتضعيف وكان له منهج خاص في هذا الكتاب.

فقد قسم الكتب التي جمع منها الأحاديث إلي ثلاثة أقسام.

ثم بعد ذلك ذكر المراسيل وهي الأحاديث التي رواها التابعين ورفعوها إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يذكر فيها الصحابي ورتبهم علي حسب الحروف وقدم الاسماء ثم الكني ، وقد استعمل الامام السيوطي رموزا للكتب التي أخرج لها والتي روت الحديث من باب الاختصار وليدلك علي مكان الحديث ، وهذه الرموزهي :...

١-(خ)للبخاري

٢-(م)لمسلم

٣-(حب)لأبن حبان

٤-(ك)للحاكم فإن كان في المستدرك أطلق وإلا بين

٥-(ض)للضياء المقدسي في المختارة.

٦-(د)لأبي داودالسجستاني .

٧-(ت)للترمذي ويذكر كلامه علي الحديث.

٨-(ن)للنسائي

٩-(هـ)لأبن ماجة

١٠-(ط)لأبي داود الطيالسي .

١١-(حم) لأحمد في مسنده.

١٢-(عم) لعبد الله بن الإمام أحمد في زياداته علي المسند.

١٣-(عب)لعبد الرزاق.

١٤-(ص)لسعيد بن منصور.

منهجه في كتابه جمع الجوامع

رأم الإمام السيوطي جمع السنة كلها في كتاب فألف كتابه جمع الجوامع واستقاه من ما يزيد علي مائة مصدر من مصادر السنة النبوية المشرفه ودون في كتابه هذا ما يقرب من مائة ألف حديث باعتبار رواتها ومن غير الكرر والمتابعات يشتمل الكتاب علي ستة وأربعون ألف حديث وستمائة وأربعة وعشرون حديث (٤٦٦٢٤) وقال في مقدمته هذا كتاب شريف حافل ولباب منيف راقل بجميع الأحاديث النبوية الشريفة كافل قصدت فيه إلي استيفاء الأحاديث النبوية وأرصدته مفتاحا لأبواب المسانيد العلمية وفي هذا القول ما يفيد أن الرجل قصد جمع الأحاديث النبوية وهو أمر غير مستطاع أن تجمع السنة كلها في كتاب.

نعم هو قصد ذلك واشتمل كتابه بالفعل علي الكثير من سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وقسم الإمام السيوطي كتابه إلي قسمين كبيرين: القسم الأول :قسم الأحاديث القوليه، جمع فيه الأحاديث القولية البحته وهي التي تمحضت للفظ النبوي فقط ورتب هذه الأحاديث علي حروف المعجم حسب الحرف الأول في الحديث فما بعده ثم ذكر من خرجه من الأئمة ويرمز لهم من باب الاختصار ثم يذكر رواة هذا الحديث.

وقدم العشرة المبشرين بالجنة أولا وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح.

ثم ذكر باقي الرواة علي حروف المعجم ذاكرا الأسماء ثم الكني ثم المبهمين ثم ذكر النساء علي هذا الترتيب ايضا (الأسماء الكني المبهمات)

الأحاديث الموضوعة) وأيضاً (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص) وألف في شروح الحديث منها (منتهى الآمال في شرح حديث إنما الإعمال).

وألف في رجال الحديث كتباً منها (طبقات الحفاظ) وفي علوم الحديث كتابه القيم (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) وألف في التفسير كتبا كثيرة منها(الإتقان في علوم القرآن) (والدر المنثور في التفسير المأثور) و(ترجمان القرآن في التفسير) و(اللباب المنقول في أسباب النزول) و (تفسير الجلالين) الذي كمله بعد وفاته الشيخ جلال الدين المحلي.

وفاته : أعرض السيوطي عن الدنيا وأهلها في سن الأربعين وأنقطع للعبادة والتأليف في منزله بروضة المقياس إلى أن توفي سنة ٩١١ هـ ليلة الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى بمنزله بعد أن مرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر وكان سنة إحدى وستين سنه وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة[١].

---

(١) شذرات الذهب جـ٨ وحسن المحاضرة جـ١/٣٣٥.

الحديث على كثير من الشيوخ تزيد عدتهم على مائة وخمسين شيخاً.

قال عنه تلميذه الداودى : عاينت الشيخ وقد كتب فى يوم واحد ثلاث كراريس تأليفاً وتحريراً وكان مع ذلك على الحديث ويجيب على المتعارض منه بأجوبة حسنة وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالاً وغريباً ومتناً وسنداً واستنباطاً للأحكام منه وقد أخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتى ألف حديث وقال لو وجدت أكثر لحفظته (١).

مؤلفاته : ألف الإمام السيوطى فى شتى العلوم والمعارف مؤلفات كثيرة نافعة ولها أهميتها فى المكتبة الإسلامية فنجده ألف فى الحديث كتب كثيرة فى جميع فروع السنة ومن أهم مؤلفاته فى الحديث "كتابه الجامع الكبير أوجمع الجوامع" الذى أراد أن يجمع فيه جميع الأحاديث "وكتاب الجامع الصغير " اختار فيه ١٠٠٣١ من الأحاديث القصيره من قسم الأقوال.

وكتاب "الزوائد على الجامع الصغير" جمع فيه (٤٤٤٠) حديث إنتقاها مما تبقى من قسم الأقوال وزاد فيه أحاديث لم توجد فى أصله - وألف أيضا كتاب (الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة).

وألف فى الشمائل (كتاب الخصائص الكبرى) و (كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب) وله أيضاً (أسباب ورود الحديث)

وله أيضا (مفتاح الجنة فى الإحتجاج بالسنة) وله أيضا (تحفة الأبرار بنكت الأذكار) وله (المسلسلات الكبرى)

وألف أيضاً فى الأحاديث الموضوعه كتابة (اللآلى المصنوعه فى

---

(١) مدرسة الحديث في مصر للدكتور رشا خليفة ص ٦١

الحافظ السيوطي
ومنهجه في كتابه جمع الجوامع

نسبه : هو الحافظ عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين بن أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى الشافعي المسند المحقق صاحب المؤلفات الكثيرة - ولقب بجلال الدين وكنى بأبى الفضل .

أما نسبته بالخضيرى فقد تحدث هو عنها فى ترجمته لنفسه إذ يقول "أما نسبتنا بالخضيرى فلا أعلم ماتكون إليه هذه النسبة إلا الخضيرية - محلة ببغداد وقد حدثنى من أثق به أنه سمع والدى رحمه الله يذكر أن جدة الأعلى كان أعجميا أومن الشرق فالظاهر أن النسبة إلى المحله المذكورة[١]

وأما نسبته بالسيوطى فإلى سيوط البلد[٢] التى عاش فيها والده وولى القضاء بها قبل مقدمه إلى القاهرة ويقال له السيوطى والأسيوطى وأما نسبته بالشافعى فالى المذهب الذى درسه وتبحر فيه .

مولده : ولد جلال الدين السيوطى بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة وحمل فى حياة أبيه إلى الشيخ محمد المجلوب (رجل كان من كبار الأولياء) بجوار المشهد النفيس فبرك علي[٣].

نشأته : نشأ السيوطى فى بيت علم وتقوى وصلاح فكان جده

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطي ص ١٠٤.
(٢) مدينة في غرب النيل من نواحي صعيد مصر وهي مدينة كبيرة معجم البلدان.
(٣) حسن المحاضر للسيوطي ص ١٠٤.

الأعلى همام الدين كان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطرق وأما من دون هذا الجد فقد كانوا أهل وجاهة ورياسة وليس من بينهم من عرف بخدمة العلم خدمة عظيمة إلا والده الذى تولى القضاء بأسيوط ثم قدم القاهرة فلازم العلامة القاياتى وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والنحو والأعراب والمنطق وأجازه التدريس سنة ٨٢٩ هـ .

كما أخذ على الحافظ ابن حجر علم الحديث وسمع عليه صحيح مسلم وولى درس الفقه بالجامع الشيخونى وخطب بالجامع الطولونى وكان يؤم الخليفة المستكفى بالله الذى كان يهابه ويحبه وأفتى وناب فى الحكم بالقاهرة وعين لقضاء مكة فلم يتفق له وتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة[1].

وكان والده أحرص مايكون على أن يوجهه وجهة سديدة صالحة فكان يحفظه القرآن فى صغره ويصحبه معه فى مختلف مجالسه العلميه والقضائية وقد طلب والده من الحافظ ابن حجر أن يدعو له بالبركة والتوفيق .

ومات والده وله من العمر حوالى خمس سنوات وسبع أشهر ولكن الله قيض له العلامة كمال الدين بن الهمام الحنفى صاحب (فتح القدير) فكان يرعاه ويتابعه فى تحفيظ القرآن الكريم وكانت مخايل الذكاء فيه ظاهرة وقد منحه الله حافظة قوية .

حياته العلمية : حفظ السيوطى القرآن الكريم وهو ابن ثمانى سنوات ثم حفظ كثيراً من العلوم مثل العمدة والمنهاج الفقهى وألفية ابن

---

(١) مقدمة تدريب الراوي - تحقيق د. أحمد عمر هاشم ص٨.

مالك وبدأ الإشتغال بالعلم سنة ٨٦٤ هـ وسنة آنذاك لم يزد على خمسة عشر عاماً.

ولازم الشيخ سراج الدين البلقينى إلى أن مات وقد أخذ عنه الفقه ولازم ولده علم الدين المتوفى سنة ٨٦٨ هـ من بعده الذى قرأ عليه وسمع منه كثيراً من الكتب مثل المنهاج وشرح المنهاج والروضة وأخذ الفرائض عن الشيخ شهاب الدين الشرمساحى ولازم الشرف المناوى أبوزكريا يحيى بن محمد جد عبد الرؤف شارح الجامع الصغير وتوفى الشرف سنة ٨٧١ هـ وأخذ الحديث والعربية على الشيخ تقى الدين الشبلى.

وقد أجيز السيوطى بتدريس العربية فى سن مبكرة وذلك فى مستهل سنة ستة وستين وثمانمائة سنة ٨٦٦هـ وعمره سبعة عشر عاماً.

أما بالنسبة لتدريس الفقه وإملاء الحديث فقد كان ذلك سنة إثنتين وسبعين وثمانمائة [١].

وأجيز بالتدريس والإفتاء سنة ست وسبعين وسنه سبعة وعشرون عاماً أجازه بهما ابن شيخ الإسلام البلقينى وشرع فى التأليف والتصنيف فى سنة ستة وستين وثمانمائة وأول شئ ألفه رسالة فى شرح الاستعاذة والبسمله ورآها شيخ الإسلام البلقينى فاستحسنها وكتب عليها تقريظاً [٢] وبعد ذلك توالت مؤلفاته التى بلغت عند وفاته مايزيد على أربعمائة وخمسين كتاباً.

وقد رحل فى طلب العلم إلى بلاد كثيرة منها الشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب والهند وعقد دروساً فى إملاء الحديث ورزق التبحر فى سبعة علوم هى الحديث والتفسير والنحو والصرف والمعانى والبديع وقد أخذ

(١) الطبقات الكبرى للشعراني والمحدثون في مصر والأزهر سنة ٢٨٢.
(٢) مقدمة الجامعة الصغير تحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد.

رواة الجامع الصحيح

سمع كتاب الجامع الصحيح رواة كثيرون من أشهرهم أبو عبد الله بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربرى المتوفى سنة ٣٢٠ ، نسبة الى فربر قرية ببخارى ، و... سماعه للصحيح كله مرتين : مرة بفربر سنة ٢٤٨ ومرة أخرى ببخارى سنة ٢٥٢ . ... قبل وفاة الامام البخارى بأربع سنين ، ومنهم إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي ... سنة ٢٩٤ وكان من الحفاظ وله تصانيف وقد فاته من كتاب صحيح البخارى أوراق ... بالاجازة عن البخارى ومنهم حماد بن شاكر النسوى ، المتوفى سنة ٢٩٠ ومنهم ... طلحة منصور بن محمد بن على بن قرينة البزدوى المتوفى سنة ٣٢٩ وهو آخر الذين ... عن الامام البخارى [٤٤] .

وقد تناول تلامذتهم كتاب الجامع الصحيح ثم أخذه عنهم من بعدهم و... تتابعت روايته عن الكثير ... زمان وتلقته الأمة بالقبول .

---

(٤٤) مقدمة فتح البارى جـ ١ ص ٤ .

عدد أحاديث الجامع الصحيح

وجميع أحاديث الجامع الصحيح بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حرره ابن حجر : سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثا ، وجملة ما فى الكتاب من التعاليق ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون حديثا وأكثرها مخرج فى الكتاب أصول متونه ، والمتون التى لم تخرج فى الكتاب مائة وستون حديثا ، وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاثمائة وواحد وأربعون حديثا . وجميع ما فى صحيح البخارى من المتون الموصولة من غير تكرار ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان ، ومن المتون المعلقة المرفوعة التى لم يوصلها فى موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثا ، فجميع ذلك ألفا حديث وسبعمائة وواحد وستون حديثا .

قال ابن حجر : « فجميع ما فى الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم[٤٣] ، ورأى ابن حجر فى عدد أحاديث كتاب البخارى هو الذى أرجحه فهو من الدقة والتحرير بمكان بحيث يطمئن اليه الباحث بعد نظره فى كتابه ، ومما ساعد ابن حجر على ذلك انه شرح صحيح البخارى وكان يذكر فى آخر كل كتاب منه عدد الأحاديث .

---

(٤٣) هدى السارى ص: ٤٧٠ .

صحابيه ثم عن تابعيه فمن بعده ؛ فان ذلك يعز وجوده ، وإنما المراد أن هذا الصحابي وهذا التابعي قد روى عنه رجلان خرج بهما عن حد الجهالة(٤٠) .

والحقيقة أن الشيخين لم يشترطا هذا الشرط ، ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك ، والحاكم قدر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن ، ومن استقرأ الكتابين وجد ما يرد هذه الدعوى ، فمن ذلك حديث مرداس الأسلمي « يذهب الصالحون الأول فالأول » ، الحديث ، وهو حديث تفرد البخاري باخراجه عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن بيان عن قيس عن مرداس ، وليس لمرداس في صحيح البخاري سوى هذا الحديث ولم يروه عن مرداس غير قيس بن أبي حازم(٤١) .

وقال ابن حجر : والشرط الذي ذكره الحاكم وإن كان منتقضا في حق بعض الصحابة الذين أخرج لهم فانه معتبر في حق من بعدهم ، فليس في الكتاب حديث أصل من رواية من ليس له إلا راو واحد قط (٤٢) أ . هـ .

---

(٤٠) تدريب الراوي ص ٦٦ .
(٤١) شروط الائمة الخمسة ص ٢٢ .
(٤٢) هدى الساري ص ٧ .

راى ابن طاهر المقدسى فى شرط البخارى ومسلم

واما الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى المتوفى سنة ٥٠٧هـ ، فيرى أن شرط البخارى ومسلم : ان يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات ، ويكون اسناده متصلا غير مقطوع ، فان كان للصحابى راويان فصاعدا فحسن وإن لم يكن راو واحد ، فاذا صح الطريق الى ذلك الراوى اخرجاه ، الا ان مسلما اخرج احاديث اقوام كحماد بن سلمة وسهيل بن ابى صالح وداود بن ابى هند فلما تكلم فى هؤلاء بما لا يزيل العدالة والثقة ترك البخارى اخراج حديثهم فى الاصول تحريا لشبهة وقعت فى نفسه ، وانما اخرج مسلم حديثهم لزوال الشبهة .

وقد اعترض عليه الحافظ العراقى فى قوله : « المتفق على ثقة نقلته . . » فقال : وليس ما قاله ابن طاهر بجيد : لأن النسائى ضعف جماعة اخرج لهم الشيخان او احدهما واجيب : بانهما اخرجا من اجمع على ثقته الى حين تصنيفهما ، ولا يقدم فى ذلك تضعيف النسائى بعد وجود الكتابين وقال شيخ الاسلام : تضعيف النسائى ان كان باجتهاده او نقله عن معاصر فالجواب ذلك وان نقله متقدم فلا ، قال : ويمكن أن يجاب : بأن ما قاله ابن طاهر هو الاصل الذى بنيا عليه امرهما ، وقد يخرجان عنه لمرجح يقوم مقامه »[٣٩]

رأى الحاكم النيسابورى : وأما الحافظ الحاكم ابو عبد الله النيسابورى المتوفى ٤٠٥ هـ . فقد رأى ان الدرجة الأولى من الصحيح اختيار البخارى ومسلم وهو أن « الحديث عن النبى ﷺ صحابى زائل عنه اسم الجهالة ، بان يروى عنه تابعيان عدلان ثم يروى عنه التابعى المشهور بالرواية عن الصحابة وله راويان ثقتان ، ثم يرويه عنه من التابعين حافظ متقن وله رواة من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخارى أو مسلم مشهورا بالعدالة فى روايته . . . »

قال ابو على الغسانى : ليس المراد أن يكون كل خبر روياه يجتمع فيه راويان

---

(٣٩) شروط الائمة للمقدسى ، تدريب الراوى ص ٦٥ .

وقد علق ابن حجر بعد ذكر كلام الحازمى بقوله : « وهذا المثال الذى ذكرناه هو فى حق المكثرين فيقاس على هذا أصحاب نافع وأصحاب الاعمش ، وأصحاب قتادة وغيرهم . فأما غير المكثرين فانما اعتمد الشيخان فى تخريج احاديثهم على الفقه والعدالة وقلة الخطأ لكن منهم من قوى الاعتماد عليه فأخرجا ما تفرد به كيحيى بن سعيد الانصارى . ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فأخرج له ما شاركه فيه غيره وهو الاكثر[٣٨] .

ويلاحظ أن الحازمى قارن بين البخارى وغيره من الأئمة فى كلامه ووضع البخارى فى مقدمة الائمة فجعل شرطه أن يخرج من أحاديث أهل الطبقة الاولى التى امتازت بالحفظ والاتقان وطول ملازمتها لشيخها .

ونرى أن ابن حجر فى كتابه « النكت » قد استنتج شرط البخارى من تسمية الكتاب وهو (الجامع الصحيح المسند . .) الخ ، ومن استقرائه لتصرفه فى تعريف الصحيح ، واشتراط اللقاء مع المعاصرة ، والثقة وعدم التدليس .

وأرى أن رأى ابن حجر يتفق فى المعنى مع ما رآه الحازمى كما سبق . وقد ارتضاهما العلماء ولم يرد عليهما اعتراض فكل من الرأيين ينتهى الى أن البخارى لا يخرج الا الأحاديث الصحيحة المتصلة السند على ما سبق بيانه من شروط .

---

(٣٨) هدى السارى ص ٧ .

والطبقة الرابعة : قوم شاركوا أهل الطبقة الثالثة فى الجرح والتعديل وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهرى ؛ لأنهم لم يصاحبوا الزهرى كثيرا وهم شرط أبى عيسى . وفى الحقيقة شرط الترمذى أبلغ من شرط أبى داود ، لأن الحديث اذا كان ضعيفا أو مطلعه من حديث أهل الطبقة الرابعة فانه يبين ضعفه وينبه عليه فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة ، وعلى الجملة فكتابه مشتمل على هذا الفن فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبى داود .

والطبقة الخامسة : نفر من الضعفاء والمجهولين لا يجوز لمن يخرج الحديث على الأبواب ان يخرج حديثهم الا على سبيل الاعتبار والاستشهاد عند أبى داود فمن دونه فأما عند الشيخين فلا .

فأما أهل الطبقة الاولى : فنحو مالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمر ويونس وعقيل الايليان وشعيب بن أبى حمزة وجماعة سواهم .

وأما اهل الطبقة الثانية : فنحو عبد الله بن عمر والاوزاعى والليث بن سعد والنعمان بن راشد وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم .

والطبقة الثالثة : نحو سفيان بن حسين السلمى وجعفر بن برقان وعبد الله بن عمر ابن حفص والعمرى وزمعة بن صالح المكى وغيرهم .

والطبقة الرابعة : نحو اسحاق بن يحيى الكلبى ومعاوية بن يحيى الصدفى واسحاق ابن عبد الله بن أبى فروة المدنى وابراهيم بن يزيد المكى والمثنى بن الصباح وجماعة سواهم .

والطبقة الخامسة : نحو بحر بن كنيز السقا والحكم بن عبد الله الايلى وعبد القدوس بن حبيب الدمشقى ومحمد بن سعيد المصلوب وغيرهم ، وهم خلق كثير « أ . هـ » .

وأما الطبقة الأولى فهم شرط البخارى ، وقد يخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمده من غير استيعاب ، وأما مسلم فيخرج حديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على النحو الذى يصنعه البخارى فى الثانية وأما الرابعة والخامسة فلا يعرجان عليهما[٣٧] .

---

(٣٧) تدريب الراوى ص ٧٠ .

شرط البخاري في صحيحه

وأما عن شرط الامام البخارى فى كتابه ، فقد ورد فى ذلك اختلاف لبعض العلماء وذلك لأنه لم يؤثر عن الامام البخارى ، ولا الامام مسلم التصريح بشروطهما فى كتابيهما على وجه التفصيل ، ولذا استنتج العلماء بدراسة الكتب وسبرها شروطا لكل منهما .

وقد اشترط الحافظ ابو بكر الحازمى فى الحديث الصحيح : أن يكون اسناده متصلا ، وأن يكون راويه مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط ، متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ، سليم الذهن قليل الوهم ، سليم الاعتقاد .

واشترط البخارى أن يكون الحديث صحيح السند متصلا بنقل العدول الضابطين خاليا من الشذوذ والعلة كما سبق واشترط فى المعنعن : اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم التدليس ، فاذا ثبت ذلك حملت العنعنة على السماع ، وطريق ثبوت اللقاء عند البخارى قائم على التصريح بالسماع فى الاسناد ، ثم بين الحازمى مذهب الائمة فى كيفية استنباط مخارج الحديث فقال : (إن[٣٦] مذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوى العدل فى مشايخه وفيمن روى عنهم وهم ثقات أيضا ، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمهم اخراجه ، وعن بعضهم مدخول لا يصلح اخراجه الا فى الشواهد والمتابعات وهذا باب فيه غموض ، وطريقه : معرفة طبقات الرواة عن راوى الاصل ومراتب مداركهم ، ولنوضح ذلك بمثال : وهو أن تعلم مثلا أن أصحاب الزهرى على طبقات خمس ، ولكل طبقة منها مزية على التى تليها وتفاوت ، فمن كان فى الطبقة الأولى : فهو الغاية فى الصحة وهو غاية مقصد البخارى ، والطبقة الثانية : شاركت الاولى فى العدالة غير ان الأولى جمعت بين الحفظ والاتقان وبين طول الملازمة للزهرى حتى كان فيهم من يزامله فى السفر ويلازمه فى الحضر . والطبقة الثانية لم تلزم الزهرى الا مدة يسيرة وكانوا فى الاتقان دون الطبقة الاولى وهم شرط مسلم .

والطبقة الثالثة : جماعة لزموا الزهرى مثل اهل الطبقة الاولى غير انهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول وهم شرط أبى داود والنسائى .

---

(٣٦) شروط الائمة الخمسة للحازمى ص ٤٣ بتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثرى .

٢- جمع البخارى لاحاديث الفقه وغيرها من الانواع بخلاف الموطأ ، فإن اغلبه فى احاديث الاحكام الفقهية . بهذا كان الامام البخارى أول من الف جامعا صحيحا ، لانه جمع فى كتابه معظم الابواب الفقهية وغيرها وهو أول صحيح فى القرن الثالث ، أما الموطأ فهو أول صحيح فى القرن الثانى وكما قال الامام النووى : « أول من صنف الصحيح المجرد البخارى »[٣٥] .

---

(٣٥) تدريب الراوى (٤١) .

منهج البخاري في الجامع الصحيح

صنف الامام البخارى كتابه الجامع الصحيح على منهج التأليف على الابواب ، وهو تخريجه على احكام الفقه وغيرها فجمع ما ورد فى كل نوع من الانواع فى باب خاص بحيث يتميز ما يتعلق من الاحاديث مثلا بالصلاة عما يتعلق منها بالصوم وهكذا ، مقتصرا على ايراد ما صح من الاحاديث فقط فلم يدون فى كتابه الا ما صح سنده واتصل بنقل العدول الضابطين وخلا من الشذوذ والعلة كما كان يتخير الرجال الذين يخرج عنهم فينتقى أكثرهم صحبة لشيخه وأكثرهم معرفة لحديثه .

وإذا نظرنا الى تسمية البخارى لكتابه (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) يتضح لنا منهج البخارى وشرطه فى كتابه فقوله (الجامع) يتضح به أنه لم يختص بصنف دون صنف ، وإنما أورد فيه الاحكام والفضائل والاخبار وغير ذلك من الآداب . . بما يتضح من قوله (الصحيح) أنه لا يوجد فيه ما ثبت ضعفه عنده ، وأما قوله (المسند) فهو أن الأصل تخريج الاحاديث المتصلة السند بالصحابى عن النبى ﷺ قولا كان ذلك أو فعلا أو تقريرا وأما ما عدا ذلك فقد ذكر فيه تبعا وعرضا لا أصلا مقصودا[٣٤] . وبهذه الطريقة استنتج ابن حجر شرط البخارى فى صحيحه ومنهجه فيه . وقد أكثر الامام البخارى فى كتابه الجامع الصحيح من التراجم فذكر الترجمة التى تناسب الحديث اولا كشرح أو توجيه إلى معنى خفى وغرضه من ذلك : الاستنباط منها والاستدلال لأبواب ارادها من الفقه والاصول والزهد والادب وغيرها وربط كثيرا من احاديثه بآيات القرآن واقوال من السلف وما يستنبطه بفهمه من الاحاديث فكانت بمثابة المفتاح لفهم الحديث .

واذا كان صحيح البخارى يتفق فى منهجه مع موطأ مالك حيث إن الكتابين مرتبان على الأبواب لكن صحيح البخارى يختلف عن الموطأ فى أمرين :

١ـ تجريد البخارى احاديثه من أقوال الصحابة والتابعين بخلاف الموطأ .

---

(٣٤) النكت لابن حجر مخطوط بمكتبة الأزهر .

الباعث له على تأليفه

كانت الكتب المؤلفة قبل الجامع الصحيح منها ما هو ممزوج بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومنها ما هو جامع بين الصحيح والحسن والضعيف ، فكان الذى يقرأ هذه الكتب لا يستطيع تمييز الصحيح من غيره الا اذا كان على جانب كبير من الخبرة التامة فى فنون الحديث كما شاعت الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة عن طريق القصاص واصحاب البدع والاهواء كما ظهر بعض المتشيعين ال . . الرأى فاوغلوا فى مخالفتهم بعض السنن الثابتة الصحيحة وظل الوضع هكذا حتى جاء الامام البخارى فاضطلع بدور هام ، وأخذ على عاتقه رسالة جليلة هى أن يخص الأحاديث الصحيحة بالجمع وأن يرتبها على حسب الأبواب الفقهية ، وعلى حسب الموضوعات المختلفة الواردة فى الأحاديث ، لأنه كان يرى الدواوين المؤلفة قبله تجمع بين الاحاديث بدافع حفظها على الأمة وصيانتها ولم يراع أصحابها فيها المناسبات فى ترتيبها فكانت صعبة على من يريد أن يستخرج منها حديثا يتعلق بموضوع من أحكام الشرع ، فدفعه الى هذا العمل العظيم وقوى عزمه فيه ما سمعه من استاذه الامام اسحاق بن راهويه . قال البخارى كنا عند اسحاق بن راهويه فقال : (لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ) ، قال فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح ، كما قوى عزمه وشرح صدره لذلك رؤيا منامية رأى فيها النبى ﷺ والبخارى واقف بين يديه وبيده مروحة يذب بها عنه فسأل بعض المعبرين عن ذلك فقال له : أنت تذب عنه الكذب . ومع دقة البخارى العلمية وتحريه الكبير فقد كان يطلب التوفيق والعون من الله سبحانه وتعالى ويستلهم الجانب الروحى فى نفسه ، قال الفربرى : يقول البخارى ما كتبت فى كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ، ولما ألف البخارى كتابه عرضه على الأئمة أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا فى أربعة أحاديث ، قال العقيلى : والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة أ هـ[٣٣] .

---

(٣٣) هدى السارى ص ٥ .

استئناسا وتبعا وهى لا تخرج الكتاب عن أصل موضوعه وهو الحديث الصحيح . ولم يفت البخارى أن يسجل فى جامعه بعض الفوائد الفقهية فاستخرج بما وفقه الله من فهم فى المتون المعانى الكثيرة التى فرقها فى أبواب الكتاب بحسب ما يناسبها ، كما عنى بآيات الاحكام التى استنبط منها واستخرج من كنوزها ، فلم يكن مقصوده الاقتصار على الاحاديث فقط بل إنه استهدف الاستنباط منها والاستدلال على بعض الأحكام التى أرادها .

كتاب الجامع الصحيح للامام البخارى

التعريف بالكتاب :

كتاب الجامع الصحيح للامام البخارى هو الكتاب الذى قال فيه العلماء : إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وبه أصبح البخارى أمير المؤمنين فى الحديث وهو أعلى وأهم مؤلفات البخارى ، قطع قبله رحلات واسعة ، وكتب عدة مؤلفات كانت بمثابة المقدمة التى مهدت لكتابه العظيم (الجامع الصحيح) . وقد صنفه البخارى فى روية وأناة ، متحريا العناية التامة والدقة الكاملة ومكث فى تصنيفه ستة عشر عاما . قال البخارى : صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بينى وبين الله عز وجل[٣٢] وكان يتأهب لكتابة كل حديث بالطهارة ، والصلاة يقول البخارى : ما كتبت فى كتاب الجامع الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ، وقيل أنه وضع تراجم جامعه بين قبر النبى ﷺ ومنبره وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين ، وروى عن البخارى أنه قال : صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا الا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته . وقيل صنف كتابه ببخارى ، وقيل صنفه بمكة ، ويمكن الجمع بين هذه الآراء بأن الامام البخارى كان يصنف من كتابه الجامع الصحيح بعضا بمكة والبعض الآخر بالمدينة والبصرة وبخارى ، فقد صنفه فى ست عشرة سنة ويرى الحافظ أنه ابتدأ تصنيفه ووضع التخطيط التام للكتاب كمسودة فى المسجد الحرام ثم أتمه وبيضه فى بخارى وغيرها .

والاسم الكامل لكتاب الجامع الصحيح هو (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) وقد أطلق عليه صحيح البخارى اختصارا وكان البخارى نفسه يطلق عليه الصحيح اختصارا ، وقد خرج البخارى احاديث جامعه من ستمائة الف حديث ويبدو أن مراده بالمسند هو تخريج الاحاديث المتصلة الإسناد ببعض الصحابة عن النبى ﷺ سواء اكانت قولا او فعلا أو تقريرا . وأما ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلك فانما وقع فيه عرضا لا أصلا فهو غير مقصود كالمعلقات والموقوفات التى ذكرها

---

(٣٢) كشف الظنون جـ ١ ص ٥٤٤ ، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٩ ، هدى السارى ص ٤ ، ٥

مؤلفات البخاري

كان للامام البخاري مجال فسيح في التأليف يدل على أفقه العلمي الواسع ومعرفته الفائقة بأحوال الرواة فكتب في كل ما يتصل بالسنة النبوية الشريفة ومن هذه المؤلفات :

١- الجامع الصحيح .　　٢- الأدب المفرد .

٣- رفع اليدين في الصلاة .　　٤- بر الوالدين .

٥- التاريخ الكبير .　　٦- التاريخ الأوسط

٧- التاريخ الصغير .　　٨- كتاب [illegible] .

٩- كتاب التفسير الكبير .　　١٠- القراءة خلف الامام

١١- الكنى .　　١٢- العلل .

١٣- أسامي الصحابة .　　١٤- كتاب الأشربة .

١٥- كتاب الوحدان وهو من ليس له الا حديث واحد .　　١٦- كتاب الهبة

١٧- كتاب المسند الكبير .　　١٨- كتاب المبسوط .

١٩- كتاب الفوائد (٣١)

ولنتناول الآن أعظم مصنفات هذا الامام الجليل وهو كتابه (الجامع الصحيح) الذي صنفه على الأبواب .

---

(٣١) مقدمة فتح الباري ص ٤٩٣ .

البخارى فى مسألة اللفظ واتهامه بالاعتزال كما كتب الى الامير خالد بن يحيى فانتهز الا... الفرصة للانتقام منه وصرف الناس عنه مستعينا بحديث ابن ابى الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلموا فى مذهبه فنفاه عن البلد فخرج الى « خرتنك » وهى قرية من قرى سمرقند « وكان له أقرباء بها فنزل عندهم »[٣٠] فاتفق أن مرض بها وتوفى ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ودفن بعد ظهر يوم عيد الفطر بعد حياة حافلة بالعلم والعمل فرضى الله عنه وأرضاه .

وقد شهد للامام البخارى بالعلم والفضل والإمامة فى الحديث والفقه كثيرون لا يحصرن من شيوخه وأقرانه وتلاميذه قال يعقوب بن ابراهيم الدورقى : محمد بن اسماعيل البخارى فقيه هذه الأمة وقال محمد بن بشار : هو أفقه خلق الله فى زماننا ، ولعظم مكانته فيهم ولشدة حبهم تمنوا أن يفدوه بأرواحهم . قال يحيى بن جعفر : لو قدرت أن أزيد فى عمر محمد ابن اسماعيل لفعلت فان موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد ابن اسماعيل ذهاب العلم ، قال ابن حجر : ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفدت الانفاس فذاك بحر لا ساحل له أ هـ . وفى هذا ما يدل على ما كان عليه البخارى من مكانة عظيمة وتقدير بالغ بين عارفيه وجميع أهل عصره .

---

(٣٠) تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥٢ ، مرآة الجنان لليافعى جـ ٢ ص ١٦٧ .

بخلق القرآن حدث الجفاء والقطيعة بينه وبين شيخه الذهلي بصورة واضحة. وساعد على ذلك ما كان في النفوس البشرية من حسد ، فقال الذهلي من زعم : لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم ومن ذهب بعد هذا الى مجلسه فاتهموه ، فانقطع الناس عنه الا مسلم وأحمد بن سلمة ، فقال الذهلي ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم بن الحجاج رداءه وقام على رؤوس الناس فبعث الى الذهلي جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال[٢٨] .

وفي الحقيقة ان البخاري بريء من هذه التهمة وليس فيما رآه من عيب يؤخذ عليه لكنها العصبية العنيفة والتهيب الشديد من الكلام في هذا الموضوع مما جعل القوم على هذه الصورة خاصة بعد ما نال أهل السنة وإمامهم أحمد بن حنبل من الفتنة . وما أثير حول البخاري إنما هو وليد الحسد ، واثارة هذه الفتنة قائمة على وجه غير صحيح وهو عدم التفريق بين القرآن والقراءة ، وقد التزم البخاري منهج السلف فأعرض عن مسائله في بادىء الامر . ولكنه تحت الالحاح بين أن السؤال في ذلك بدعة وأجابه اجابة واضحة مبينا الفرق بين القرآن وهو قديم وبين التلفظ والنطق بالألسنة وبين الكتابة بالأيدي وكل ذلك حادث .

رجوعه الى بخارى :

ولكن البخاري آثر السفر الى بلده « بخارى » خشية اشتعال هذه الفتنة ، وعندما عاد الى بلده استقبلوه استقبالا حارا وفرحوا بمقدمه ، ومكث في بلده مدة يحدث الناس ويعلمهم وزاد الاقبال عليه ، وسوى بين الجميع في طلب العلم فلم يخص بدرسه قوما دون الآخرين حتى ولو كان الأمير ، وعلى هذا المنهج عاش البخاري في بلده حتى وقع بينه وبين أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلي ما عكر الصفو وكان السبب المباشر في ذلك هو اعتزاز البخاري بالعلم ، فقد بعث الامير الى البخاري أن يحمل اليه كتاب الجامع والتاريخ ليسمع منه فقال البخاري لرسوله قل له إني لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين فان كانت لك حاجة الى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو في داري فان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأني لا أكتم العلم[٢٩] فكان هذا هو السبب في الجفاء والقطيعة بينهما وظل يترقب الامير ويتحين الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلي الذي واصل عداءه بما كتبه للولاة والعلماء بالتشنيع على

---

(٢٨) هدي الساري ص ٤٩٢ .

(٢٩) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٣٣ .

عظيمة انفق منها على طلبة العلم والفقراء وسائر وجوه البر يقول فى ذلك كنت استغل فى كل شهر خمسمائة درهم فانفقها فى الطلب وما عند الله خير وأبقى(٢٤) وهكذا وطن البخارى نفسه على معانى النبل والفضيلة ، وكان حريصا على أن يدعو الى ما تحلى به من هذه الاخلاق ومن ذلك دعوته الى اغتنام الوقت فى العبادة والاتعاظ بالموت ومن أشعاره المأثورة فى ذلك .

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع .. فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم .. ذهبت نفسه الصحيحة فلته(٢٥)

كما وطن نفسه على تتبع الرسول ﷺ والتأسى به فى كل الجوانب فاقتدى به فى حب الجهاد والمهارة فى الحرب فأتقن الثقافة الحربية وتعلم استخدام آلات الحرب ، وحذق أساليب الجهاد فى عصره حتى قيل أنه ما أخطأ فى حياته إلا مرتين .

البخارى ومسألة اللفظ

وقدم البخارى نيسابور سنة خمسين ومائتين فاستقبله أهلها بالبشر والترحاب ومعهم شيخه الذهلى ولما دخل البلد نزل دار البخاريين فقال محمد بن يحيى : لا تسألوه عن شىء من الكلام فانه ان أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه وشمت بنا كل ناصبى ورافضى وجهمى ومرجئى بخراسان(٢٦) وقال الذهلى اذهبوا الى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه فأقبل أناس عليه حتى ظهر الخلل فى مجلس محمد بن يحيى ، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه(٢٧) وكان لهذا الحسد نتيجته السيئة بعد ذلك التى عادت على البخارى ، قال أحمد بن عدى ذكر لى جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث : ان محمد بن اسماعيل يقول لفظى بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام اليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول فى اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه فلما ألح عليه قال البخارى القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة ، فشغب الرجل وقال قد قال لفظى بالقرآن مخلوق ، ومنذ حدوث هذا الشغب وزعمهم أنه قال

---

(٢٤) الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ١١ .
(٢٥) هدى السارى ص ٤٨٢ .
(٢٦) هدى السارى ص ٤٩١ .
(٢٧) تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥٣ ، طبقات الشافعية لابن السبكى جـ ٢ ص ٢٢٨ .

الذى لا معرفة له اذا كان الحديث بإسناد عال مرة ونازل أخرى وبمعرفة الطبقات يمكن إدراك أن الاسناد العالى قد حذف منه أو الاسناد النازل قد زيد فيه[٢٠] يقول ابن طاهر مبينا ذلك: لئلا يظن من لا معرفة له اذا حدث البخارى مثلا عن مكى عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة. ثم حدث فى موضع آخر عن قتيبة عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث عن بكير بن عبد الله الأشج عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمه أن الاسناد الاول سقط منه شىء وعلى هذا سائر الاحاديث إذ لو لم يعرف ذلك لوقع الإلتباس فى كثير من الاحاديث على من لا معرفة له « ا . هـ » .

ومن شيوخ البخارى الذين كان لهم أثرهم : الامام على بن المدينى والامام أحمد بن حنبل والإمام يحى بن معين والامام اسحاق بن راهويه وسيأتى الحديث عنهم ان شاء الله.

من صفات الامام البخارى :

كان البخارى نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير ويميل لونه الى السمرة[٢١] وقد جمع مع علمه كثيرا من محامد الخصال وكريم الخصال وعرف بالتقوى والورع ومكارم الأخلاق ، وبتلك المعانى النبيلة والمثل المشرقة التى استقاها من منابع السنة المطهرة احتل مكانة مرموقة بين علماء عصره فجمع بين الحسنيين : علما وعملا ، وكان كثير العبادة والتهجد بالليل وقراءة القرآن الكريم زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة . وذات يوم كان يصلى فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة فلما قضى صلاته قال انظروا أى شىء هذا الذى آذانى فى صلاتى ؟؟ فنظروا فاذا (الزنبور) قد ورمه فى سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته وقال كنت فى آية فأحببت أن أتمها[٢٢] وفى هذا ما يدل على مدى اتصاله بربه ولذة مناجاته فى صلاته مما لا يجعله ينصرف عن العبادة مهما كانت الاحوال . كما كان حسن المعاملة غاية فى الحياء رقيق اللسان ويتحرى القول فى نقد الرجال ، يظهر ذلك واضحا لمن يتأمل كلامه فى الجرح والتعديل فيقول مثلا « سكتوا عنه » ، « فيه نظر » ، (تركوه) (ونحو هذا من العبارات التى يتبين منها دقته وتحريه ، ولذلك كان يقول انى لارجو أن القى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت احدا)[٢٣] ومما اتصف به البخارى كذلك الكرم فقد ورث ثروة

---

(٢٠) البخارى محدثا وفقيها للدكتور الحسينى هاشم ص ٤٠ .
(٢١) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٤٩ .
(٢٢) المرجع السابق ص ٤٧ ، هدى السارى ص ٤٨١ .
(٢٣) هدى السارى ص ٤٨١ .

موسى وأبو نعيم بن يعقوب وبمصر عثمان بن صالح وسعيد بن كثير ويحيى بن عبد ا
بكير وبالجزيرة : أحمد بن بن عبد الملك الحرانى وأحمد بن يزيد وعمر بن خلف ، وسمى
الحاكم بين كل ناحية وسمى شيوخها من المتقدمين ليستدل على عالى اسناد البخارى[١٧]
واذا نظرنا الى مراتب شيوخ البخارى نرى انهم ينحصرون فى خمس طبقات :

الطبقة الاولى[١٨] : من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الانصارى حدثه
عن حميد ومثل مكى بن ابراهيم حدثه عن يزيد بن أبى عبيد ، ومثل أبى عاصم النبيل حدثه
عن يزيد بن أبى عبيد أيضا ومثل عبد الله بن موسى حدثه عن اسماعيل بن أبى خالد ومثل
أبى نعيم حدثه عن الأعمش وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين .

الطبقة الثانية : قوم حدثوا عن أئمة حدثوا عن التابعين وهم شيوخه الذين روى
عنهم عن ابن جريج ومالك وابن ابى ذئب فى الحجاز وشعبة والاوزاعى وطبقتهما بالشام
والثورى وحماد وأبى عوانة بالعراق ويعقوب بن عبد الرحمن بمصر وفى هذه الطبقة كثرة .

الطبقة الثالثة : قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم وأمكنه لقيهم ، ولكن لم يسمعهم
كزيد بن هارون وعبد الرزاق .

الطبقة الرابعة : قوم فى عداد طبقته حدث عنهم عن مشايخه كأبى حاتم بن ادريس
الرازى .

الطبقة الخامسة : قوم فى عداد طلبته فى السن والاسناد سمع منهم للفائدة كعبد الله
ابن حماد وعبد الله بن أبى العاص الخوارزمى وحسين بن محمد القبانى وغيرهم وقد روى
عنهم أشياء يسيرة وعمل فى الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال لا يكون
الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه ، وعن البخارى أنه
قال لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه[١٩] .
ولعل مرادهم بذلك زيادة العلم وكثرة التحديث والتمكن فربما يكون عند البعض ماليس
عند الأخرين حتى ولو كانوا أدنى منهم .

ولتفصيل هذه الطبقات وبيانها فائدة هامة هى أنه يبتعد عن الالتباس والايهام عن

(١٧) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى جـ٢ ص ٢١٤ .
(١٨) هدى السارى ص ٤٧٩ .
(١٩) هدى السارى ص ٤٨٠ .

شيوخ البخـارى :

رسم البخـارى منهجا لنفســه فى اختيار شيـوخـه الـذين يـأخـذ عنهم لا يتعـداه ولا يحيدون عنه فقد طاف بآفاق كثيرة يبحث عن أئمة الحديث واشترط على نفســه ألا يأخذ الحديث الا عن الرواة الثقات المعروفين بالورع ، واهتم بمعرفة احوالهم وكيفية تلقيهم للحديث فميز بين من كان على ثقة كاملة فى نظر الأئمة المحدثين فيأخذ حديثه وبين من لم يكن على ثقة فيترك حديثه . يقول البخارى : (كتبت عن ألف شيخ واكثر ما عنـدى حديث الا وأذكر اسناده)[١٥] وفى هذا دلالة على احاطته الدقيقة وتحريه الشديد فى معرفة الرجال وتمييزهم فمن كان من الرواة فيه نظر ترك حديثه مهما كان عدد احاديثه ، سئل عن خبر حديث ، فقال : (يا أبا فلان اترانى ادلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر ، وتركت مثلها أو أكثر لغيره لى فيه نظر)[١٦] .

وكما تحرى الدقة فى معرفة الثقات وغيرهم فقد تحرى الدقة كذلك بالنسبة للاحاديث الصحيحة وغيرها فحفظ كثيرا من الاحاديث الصحيحة وغير الصحيحة ، وحفظه لغير الصحيحة إنما هو لتجنبها وتمييزها وتنقية الاحاديث الصحيحة منها .

وقد كان شيوخ البخارى من الكثرة بمكان بحيث يصعب استيعابهم أو تحديد بعض الشخصيات العلمية الذين كان لهم أثرهم فى تزكية مواهبه وتنمية ثروته العلمية لانه كان ذا رحلات واسعة متأثرا بجميع شيوخه الافاضل حتى تكونت شخصيته العلمية المستقلة ومن شيوخه بمكة : أبو الوليد أحمد بن محمد الارزقى واسماعيل بن سالم الصائغ وابو بكر الحميدى ، وبالمدينة : ابراهيم بن المنذر الحزامى ومطرف بن عبد الله بن حمزة ، وبالشام : محمد بن يوسف الفريابى من اوائل من صنف المسانيد وابو اسحاق بن ابراهيم وأبو ابراهيم وأبو اليمان بن نافع ، وببخارى : محمد بن سلام البيكندى ومحمد بن يوسف ابن محمد المسندى ، وبمرو : على بن الحسن بن شقيق وعبد الله بن عبد الله بن عثمان ومحمد بن يحيى الصائغ ، وببلخ : مكى بن ابراهيم ويحيى بن بشر وقتيبة بن سعيد ومن هراة أحمد بن الوليد الحنفى ، ومن نيسابور : يحيى بن يحيى التميمى وإسحاق بن راهويه ومحمد بن يحيى الذهلى ومن الرى : ابراهيم بن موسى ومن بغداد : أحمد بن حنبل ومحمد ابن سابق وابو بكر بن الاسود ومن واسط حسان بن عبد الله وسعيد بن عبد الله بن سليمان ومن البصرة : أبو عاصم النبيل وأبو الوليد الطيالسى ومن الكوفة : عبد الله بن

---

(١٥) تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٤٧ .

(١٦) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥ .

رجل من العشرة أيضا فسأله عن حديث من الاحاديث المقلوبة فقال : لا أعرفه ف
آخر فقال : لا اعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا واحدا حتى فرغ والبخارى يقو
لا اعرفه ، ثم الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الاحادي
المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على (لا أعرفه) فلما علم أنهم قد فرغوا التفت الى الأو
فقال اما حديثك الأول فقلت كذا : وصوابه كذا وحديثك الثانى كذا وصوابه كذا والثال
والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفع
بالاخرين مثل ذلك فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل[11] . يقول ابن حجر ه
يخضع للبخارى فما العجب من رد الخطأ الى الصواب ؟ فانه كان حافظا بل العجب م
حفظه الخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة وفى هذا الامتحان الصعب الذ
اجتازه البخارى بنجاح باهر ما يدل على قوة ذاكرته . وبراعته فى الاحاطة بالحديث ح
لم يصله سواه حتى أقر له الجميع بالامامة والفضل . وكان البخارى حجة فى معرفة عل
الحديث ولم يتصدر للتحديث الا بعد احاطته بالصحيح من السقيم كما قال (ما جلس
للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت فى كتب أهل الرأى) . وهكذ
تتضح شخصيته العلمية متكاملة الجوانب فى مجال السنة المطهرة ، يجمع بين حفظ الأسا
والمتون والاحاطة الدقيقة بعلل الحديث مما جعله مرجعا لكبار العلماء . قال أحمد بن حمد
الحافظ (رأيت البخارى فى جنازة ومحمد بن يحيى الذهلى يسأله عن الاسماء والعل
والبخارى يمر فيه مثل السهم كأنه يقرأ هو الله أحد)[12] . وقد شهد الامام مس
للبخارى بالسبق والامامة معترفا له بالفضل ، قال أحمد بن حمدون : جاء مسلم
الحجاج الى البخارى فقبل بين عينيه ، وقال : (دعنى اقبل رجليك يا استاذ الاساتذة
سيد المحدثين وطبيب الحديث فى علله)[13] .

كما شهد له أيضا أبو عيسى الترمذى قال : (لم أر بالعراق ولا بخراسان فى مع
العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل)[14] كما شهد له أقر
وشيوخه وأثنوا عليه عاطر الثناء ، فلا غرابة أن يلقب بأمير المؤمنين فى الحديث ، وذ
فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١١) هدى السارى ص ٤٨٧ ، ووفيات الاعيان جـ ١ ص ٥٧٦ .
(١٢) هدى السارى ص ٤٨٩ .
(١٣) البداية والنهاية جـ ١١ ص ٩٢ .
(١٤) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٧ .

ردد منها على مكة أيام الحج يقول البخارى (دخلت الى الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصى كم دخلت الى الكوفة وبغداد مع المحدثين)(٨) . وهكذا طوف البخارى فى سبيل العلم فى اقطار شتى فمن مكة الى المدينة والشام وبغداد والبصرة والكوفة ومصر وبخارى ومرو ونيسابور وقيسارية وعسقلان وحمص وخراسان وكان لهذه الجهود التى بذلها من الأهمية ما يعطينا الثقة الكاملة بمروياته وقال البخارى كتبت من ألف شيخ أو أكثر ما عندى حديث لا أذكر اسناده(٩) .

٣ - حفظه ومعرفته بعلوم الحديث : تميز البخارى منذ صغره بمواهب عظيمة وهبه الله إياها فكان لديه الاستعداد الفطرى الذى فطره الله عليه : حافظة قوية وعقلية ذكية وعمل دائب فلا غرو أن كان فى حفظه ومعرفته بعلوم الحديث آية بهرت العقول وقد سلك فى دراسته أدق الطرق وأسماها فكان ينمى ما عنده من القدرات بالجد والاجتهاد والمداومة على المذاكرة ، يقول البخارى : موضحا المنهج السليم للحفظ (لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر)(١٠) كما كان يستعين على تثبيت المعلومات وربطها بما يحيط بها كما كان يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الكتاب والسنة حتى يترسخ القول فى ذهنه من جميع الجوانب فسبق علماء النفس بهذا المنهج التربوى فى الدراسة . ومما يشهد البخارى بسعة حفظه ومعرفته بعلوم الحديث مارواه أحمد بن الحسين الرازى قال : سمعت أبا أحمد بن عدى الحافظ يقول : سمعت عدة من مشايخ بغداد يذكرون أن محمد بن اسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا به وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث .

فقال البخارى لا أعرفه ، فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ والبخارى يقول لا أعرفه وكان العلماء ممن حضروا المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل ومن كان لم يدر القصة يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الحفظ ثم انتدب

---

(٨) المرجع السابق .
(٩) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٠ .
(١٠) هدى السارى ص ٤٨٨ .

من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة المسندة يقول سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال : لوجئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت حتى لحقته فقلت له : أنت تحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولى من ذلك أصل أحفظه من الكتاب أو السنة[6] . وهكذا هيأته عناية الله وتوفيقه لسلوك طريق العلم منذ صغره على أساس متين مع الاستعداد الفطرى والعقلية الحادة مما جعل لمروياته الثقة المتوفرة كما أعانه على تحصيل العلم واستيعابه ما تركه والده من التراث العلمى النافع فظل يحفظ ويناقش ويطلب العلم حتى ذاع صيته وأصبح موضع الاعجاب من شيوخه ، وما أن بلغ من عمره ست عشرة سنة الا وحفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف مذاهب أهل الرأى وكلامهم .

٢ ـ رحلاته العلمية : أما عن رحلات البخارى فى طلب العلم فقد كابد الاخطار فى رحلاته وبذل كثيرا من الجهود المضنية فى طلب العلم وتحرى الاحاديث الصحيحة ولم يكتف البخارى فيما يرويه على ما جمعه من أحاديث بلده الذى يعيش فيه وإنما هاجر ورحل الى كثير من البلاد يجالس المحدثين والحفاظ ليأخذ عنهم ويسمع منهم ولم يأل جهدا فى استيعاب ما عند المحدثين حتى جمع الكثير من الحديث . وقد حفزه الى الرحلة ما وفقه الله تعالى اليه من إلهامه الصواب وتذليل طرق البحث والتعليم ، وما كان يستشعره فى نفسه من نهم علمى وطموح مبكر وتوجيه سديد . وقد ابتدأ البخارى رحلته بمكة المكرمة مهبط الرسالة ليؤدى فريضة الحج فخرج هو وأمه وأخوه أحمد سنة عشرة ومائتين ٢١٠ هـ وأقام البخارى بمكة يطلب العلم ورجع أخوه أحمد الى بخارى ، وفى مكة سمع من أبى الوليد أحمد بن محمد الأزرقى وإسماعيل بن سالم الصائغ ثم اتجه بعد ذلك الى المدينة المنورة دار الهجرة ، وفى رحاب المسجد النبوى وبجوار صاحب الرسالة ﷺ بدأ البخارى تأليف ما وفقه الله اليه فصنف قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ الكبير قال البخارى : فلما طعنت فى ثمان عشرة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ فى المدينة عند قبر النبى ﷺ وكنت أكتبه فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة إلا أنى كرهت أن يطول الكتاب » أ . هـ[7] .

ومكث البخارى فى المدينة سنة ثم رحل بعدها الى البصرة وأقام بها خمس سنين وكان

---

(٦) الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ٨

(٧) هدى السارى ص ٤٧٩ .

الخيرات روى عنه أحمد بن حفص قال : دخلت عليه عند موته فقال : لا أعلم فى جميع مالى درهما من شبهة ، فتصاغرت الى نفسى[٣] وفى بيئة الطهر والورع والدين والدنيا استقبل بيت الحديث والنعمة محمد بن اسماعيل وقد لبث الوالد قرير العين بابنه الى أن عاجلته المنية فترك ابنه طفلا صغيرا فكفلته أمه وقامت بتربيته ورعايته وعقدت عليه اسمى الآمال ، ثم وجهته الى التعليم لينسج على منوال أبيه ويستفيد مما خلفه من ثروة العلم فاتجهت به إلى الكتاب ليحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف وما أن بلغ البخارى العاشرة من عمره إلا وألهمه الله حفظ الحديث الشريف فى هذه السن المبكرة مما يدل على ما وهبه الله له من قدرة فائقة فى الحفظ وقريحة وقادة فيه ، يقول محمد بن أبى حاتم وراق البخارى : سمعت البخارى يقول : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب فقلت كم أتى عليك اذ ذاك ؟؟ فقال عشر سنين أو أقل[٤] ولهذا النبوغ الهائل انطلق البخارى فى سن الحادية عشرة قاصدا أئمة الحديث لينهل من موارده يساعده على ذلك عقلية واعية وحافظة قوية ومما يدل على نبوغه العلمى ما تحدث به عن نفسه فى هذه المرحلة : (ثم خرجت من الكتاب فجعلت اختلف الى الداخلى وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ الناس : سفيان عن أبى الزبير عن ابراهيم فقلت : إن أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرنى فقلت له : ارجع الى الأصل إن كان عندك فدخل فنظر فيه ثم رجع فقال كيف هو يا غلام ، فقلت : هو الزبير وهو ابن عدى بن ابراهيم ، فأخذ القلم وأصلح كتابه ، وقال لى : صدقت ، قال : فقال له انسان ابن كم حين رددت عليه ؟؟ فقال : ابن احدى عشرة سنة)[٥] .

منهج البخارى فى طلب الحديث

ينحصر منهج البخارى فى طلب الحديث فى أمور ثلاثة الأول : العناية بالسند والمتن ، والثانى : رحلاته العلمية ، والثالث : حفظه ومعرفته بعلوم الحديث .

١- العناية بالسند والمتن : أما بالنسبة للاول فمنذ اتجه البخارى الى طلب الحديث وهو يعنى بالاسناد فعرف الرجال وتواريخهم وأحوالهم ، وعنى بالمتن وأصوله وكان لا يروى الموقوف الذى روى عن الصحابى أو المقطوع الذى وقف على التابعى الا اذا كان له أصل

---

(٣) الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ٢١٣ .
(٤) النكت لابن حجر ص ٧ مخطوط بمكتبة الأزهر .
(٥) مقدمة فتح البارى ص ٤٧٩ ، الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ٢١٦ .

الامام البخاري

نسبه ونشأته :

هو أمير المؤمنين فى الحديث الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة[1] الجعفى ولاء حيث أسلم جده المغيرة على يد اليمان الجعفى والى بخارى فانتمى اليه بالولاء ، البخارى مولدا .

ولد أبو عبد الله بمدينة بخارى احدى مدن ما وراء نهر جيحون على بعد ثمانية أيا[م] من سمرقند من بلاد فارس وهذه المدينة الآن تتبع الاتحاد السوفيتى .

وكانت ولادة البخارى بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أرب[ع] وتسعين ومائة من الهجرة[2] . وكان والده ورعا تقيا ومحدثا فاضلا . كما كان ثقة ترجم [له] ابن حبان فى كتاب الثقات كما ترجم له ولده فى التاريخ الكبير . وقد خرج إسماعيل حا[جا] قبل سنة ١٧٩ هـ وتقابل مع امام المدينة مالك بن أنس وحدث عن أبى معاوية بن صال[ح و] جماعة وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين وبلغ اسماعيل فى ورعه درج[ة] عالية ، فكان يبتعد عن الشبهات وثروته الطائلة التى جمعها نقية خالصة استثمرها

---

(١) بردزبة : كلمة فارسية معناها الزراع أى الفلاح أو البستانى .

(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٧٦ ومقدمة فتح البارى ص ٤٧١ .

مناهج تدوين الحديث فى القرن الثالث

أخذ تدوين الحديث فى القرن الثالث الهجرى شكلا جديدا غير الذى كان مألوفا فى القرنين : الأول والثانى ، ذلك أن التدوين فى القرن الأول الهجرى وكان الغرض منه حفظ السنة النبوية من الضياع ، وصيانتها من أن يتطرق إليها الوضع ، فكانت كتابة الحديث آنئذ كتابة فردية ، ثم ما لبث أن دونت فى الصحف بجانب حفظها فى الصدور .

أما فى القرن الثانى فقد بدأ تدوين السنة فيه على يد الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ وكان منهج التدوين يقوم على جمع الاحاديث التى تدور حول موضوع واحد فى مؤلف خاص ، فكان لكل باب من أبواب السنة مؤلف خاص به تدون فيه الأحاديث المتصلة بموضوعه مختلط بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

ثم كانت المرحلة الثانية ، من مراحل التدوين فى القرن الثانى ، بعد الزهرى حيث قام الائمة : مالك ، وابن جريج ، وسفيان الثورى وغيرهم فجمعوا أحاديث الأبواب وضموا بعضها الى بعض فكانت مصنفا واحدا ومزجوا الاحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ونسج على هذا المنوال بقية أهل عصرهم . ولم يصلنا من مؤلفاتهم الا موطأ الامام مالك ومسند الامام الشافعى ، والآثار للامام محمد بن الحسن الشيبانى ووصلت لبعض المؤلفات الأخرى وأغلب الظن أن العلماء أدمجوها فى مؤلفاتهم بعد ذلك ، بجانب حفظها فى القلوب .

وكان الغرض من الجمع فى هذا القرن الثانى هو خدمة التشريع وتسهيل استنباط الأحكام ، ومن أمثلة ذلك « موطأ » الامام مالك الذى يعتبر اول مصنف من المصنفات الصحيحة رتب على الابواب ، قال أبو بكر العربى « الموطأ هو الأصل الأول واللباب ،

الدين غربية ، وتجريح لأهل الحديث بالاضافة الى ما ذكره بعض العلماء من سبب المحنة في
والكتاب يفيض بالكثير من هذه الآراء التى ذكرها ورد عليها ، ولعله قد أخذته غيرته على
الدين وأهل الحديث فتحامل على أهل الرأى والكلام .

ثانيا : نأخذ على ابن قتيبة أنه كان فى بعض الأحوال النادرة لا يرد بعض الأحاديث
غير المعقولة المنسوبة الى الصحابة مستبعدا أن يتعمد واحد منهم الكذب ، وذلك كبعض
الأحاديث التى وقعت فى (كتاب العرب) التى أيد بها رأيه فى تفضيل العرب ، وفيما نقله
أيضا فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) أن القردة مسخت من بنى إسرائيل[٦٣]

وأرى أن ابن قتيبة كان ثقة صادقا فى روايته الا أنه ينقصه تحقيق بعض الأخبار
ووزنها بالميزان العقلى السليم ، وإن كان قد قصر فى البعض فقد أنجح فى البعض الآخر
وفتح باب الرد على أهل الأهواء وجاهدهم مستبسلا صابرا فلله دره .

---

(٦٣) تأويل مختلف الحديث ص ١٦٧

صار فى زمن موسى عليه السلام من خالف أهل الزمان هذه المخالفة وكيف يجوز أن يكون من ولد آدم من يكون بينه وبين آدم هذا التفاوت ؟ وكيف يطيق آدمى حمل جبل على رأسه قدره فرسخ فى فرسخ ؟ »

قال أبو محمد : « ونحن نقول أن هذا حديث لم يأت عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته انما هو خبر من الأخبار القديمة التى يرويها أهل الكتاب سمعه قوم منهم على قديم الايام فتحدثوا به » .

وهكذا نرى كيف وقف ابن قتيبة من هذه الأخبار الكاذبة والخرافات الضالة موقف الناقد البصير يفردها ويحكم بكذبها ووضعها ، بل انه حدد الوجوه التى يدخل منها الفساد الى الحديث وحصرها فى ثلاثة أمور :

الاول : الزنادقة وما قاموا به من دس الأحاديث الشنيعة والمستحيلة التى لم يخف أمرها على رجال الحديث الذين كشفوا عوارها ، وبينوا خطرها ، وأشار الى بعض اولئك الوضاعين أمثال ابن ابى العوجاء الزنديق ، وصالح بن عبد القدوس الدهرى .

الثانى : القصاص وما كانوا يترمون به من استمالة وجوه العوام اليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الاحاديث .

الثالث : ما كان الناس عليه فى الجاهلية من أخبار متقادمة تشبه أحاديث الخرافة كقولهم أن الضب كان يهوديا عاقا فمسخه الله تعالى ضبا ، ولذلك قال الناس : أعق من ضب ، وأيضا ما قام به أعداء الحديث والجهلة وما الى ذلك ، فبين هذه الأسباب ، وطفق يدافع عن السنة فى إخلاص المؤمن وحمية الغيور على دينه .

بعض المآخذ : والذى نأخذه على ابن قتيبة ما يأتى :

اولا : تحامله على أئمة الرأى والكلام ، ويرى بعض الباحثين أن هذا راجع الى أن بعض متكلمى المعتزلة ، وبعض القضاة المتفقهين على مذهب ابى حنيفة قاموا باختبار المحدثين فى القول بخلق القرآن فى المحنة المشهورة التى قام بها المأمون(٦٢)

وأرى أن السبب فى ذلك يرجع الى ما جنح إليه أهل الكلام والرأى من أقوال فى

---

(٦٢) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة تعليق الشيخ زاهد الكوثرى ص ٣ .

نقد كتاب تأويل مختلف الحديث

وليس معنى دفاع ابن قتيبه عن الحديث وأهله أنه كان يتعصب لرأى البعض ممن ينتسبون الى أهل الحديث ، أو ممن يروون احاديث غير صحيحة تجنح الى الخرافة أو الشك ، لا . وانما كان لا يقبل الاحاديث غير الصحيحة ، ومع ذلك قد أثيرت حول ابن قتية الشبهة الآتية :

الشبهة : اتهم ابن قتية بانه لا يفرق بين الاحاديث الموضوعة ، والاحاديث الصحيحة ، وكان كل همه ان يتناول التوفيق بين الاحاديث المتناقضة ويبحث عما يؤيد آراءه من الأحاديث .

الرد على ذلك : وردنا على هذه الشبهة ، يتلخص فى انها دعوى غير صحيحة لأن ابن قتية رفض احاديث كثيرة وردها لأنه رأى فيها من الخرافات والكذب ما لا يستقيم مع العقل ، وما يضاعف شكوك المرتابين ، وهى ايضا تحمل بين طياتها دلائل وضعها وكذبها ، ومقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه اعظم من ذلك . ومن امثلة ما رده ابن قتية من احاديث : « من قرأ سورة كذا وكذا ، ومن فعل كذا وكذا اسكن من الجنة سبعين الف قصر فى كل قصر الف مقصورة فى كل مقصورة سبعون الف مهاد على كل مهاد سبعون الف كذا .. الخ »[٦٦] ومثل ذلك ما قيل عن عوج بن عنق : « قالوا : حديث يكذبه النظر ، قالوا : رويتم ان عوجا اقتلع جبلا قدره فرسخ فى فرسخ على قدر عسكر موسى [illegible] رأسه ليطبقه عليهم فصار طوقا فى عنقه حتى مات ، وأنه كان يخوض البحر فلا يجاوز ركبتيه وكان يصيد الحيتان من لججه ويشويها فى عين الشمس وأنه لما مات وقع على نيل مصر فجسر للناس سنة أى صار جسرا لهم يعبرون عليه من جانب الى جانب وأن طول موسى عليه السلام كان عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع ووثب من الأرض عشرا ليضربه فلم يبلغ عرقوبه . قالوا هذا كذب بين لا يخفى على عاقل ولا على جاهل وكيف

---

(٦٦) تأويل مختلف الحديث ص ٩ .

بهم الى ذكر بعض الاحاديث الضعيفة موضحا ان وجهة نظرهم فى ذكرها هو التنبيه عليها لتضح للناس . وليميزوا بين الصحيح والسقيم .

وفى سبيل التماسهم للحق وتتبعهم له وجمعهم للاحاديث قام رجال الحديث برحلاتهم العلمية الهائلة برا وبحرا وشرقا وغربا ، ويرحل الواحد منهم فى سبيل الخبر الواحد وهكذا عاشوا مجتهدين مخلصين حتى ادركوا الصحيح من الاحاديث (وفهسروا صحيح الاخبار وسقيمها وناسخها ومنسوخها وعرفوا من خالفها من الفقهاء فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد ان كان دارسا ، واجتمع بعد ان كان متفرقا وانقاد للسنن من كان عنها معرضا وتنبه لها من كان عنها غافلا وحكم بقول رسول الله ﷺ بعد ان كان يحكم بقول فلان وفلان[٥٩] وقد مزد بعض المستشرقين والملحدين ممن يلبسون الحق بالباطل ، والصحيح بالعاطل فأخذوا تلك المطاعن ونسبوها الى ابن قتية ، وقدموها كقواعد مسلمة عند المسلمين وجهرا على ضوئها طعونهم الزائفة فى الدين دون أن يذكروا ما قام به هذا الامام الجليل من جهود مخلصة فى الاجابة عليها وبيان الحق من الباطل[٦٠] .

---

(٥٩) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٦٠) الحديث والمحدثون ص ٣٦٩ .

منهج ابن قتيبه فى هذا الكتاب

ويتحدد منهج ابن قتيه فى هذا الكتاب فى أمرين :
١ - جمع الطعون التى وجهها أهل الكلام الى الحديث ورجاله والرد عليها .

٢ - جمع الأخبار التى زعم البعض أنها متناقضة ومختلفة فيزيل عنها ما زعموه من تناقض ويجيب عما أوردوه حولها من شبه .

وقد تناول ابن قتيه الحديث عن أهل الكلام والرأى وعن بعض المعتزلة الذين طعنوا فى أهل الحديث وبدأ بالنظام فبين طعنه فى أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ثم تعرض فى رده للعلاف « وعبيد الله بن الحسن » « وبكر صاحب البكرية » ، « هشام ابن الحكم » كما تعرض « للجاحظ مبينا إستهزاءه بالحديث ، وما قام به من وضع وكذب ، وأخذ يفند مزاعمهم العجيبة ، واقوالهم الغريبة وطعونهم الجريئة ويجيب عنها ، كما وضح موقفه من المعتزلة وأهل الكلام ، وكيف عزف عنهم وقاطع مجلسهم حينما رأى منهم ما لا يتفق مع عقيدته ومشربه ، وأخذ يذيع على الناس ما خفى من أمورهم وجرائتهم فى رد السنة الصحيحة ، ورد على الروافض الذين زعموا أنهم على علم بباطن القرآن ففسروا الآيات بما يمليه عليهم الهوى والغرض .

قال ابن قتيه : « ولو اردنا - رحمك الله - أن ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم فى أصحاب الكلام ونرغب منهم لخرجنا من اجتماع الى تشتت ، وعن نظام الى تفرق وعن أنس الى وحشة وعن اتفاق الى اختلاف »[٥٨] .

وقد وضح ابن قتيه مسلك اهل الحديث فى اتباع الطريق الصحيح ، واجاب عن الطعون التى وجهت اليهم وهم منها براء كما تصدى لما وضعه الزنادقة وأهل الاهواء من أحاديث فنبه وحذر منها ، ورد عليها ، وشرح ما قام به رجال الحديث من جهود مخلصة ذكية فى سبيل الدفاع عن السنة ، حتى ميزوا الصحيح من غيره ، وبين أن هذا هو ما حدا

---

(٥٨) تأويل مختلف الحديث ص ١٩ .

الباعث لابن قتيبة على تأليف كتابه تأويل مختلف الحديث

مختلف الحديث فن من أهم الفنون التي يضطر العلماء الى معرفتها والوقوف عليه . ومعناه : أن يأتي حديثان ظاهرهما التناقض في المعنى فيوفق بينهما أو يرجح احدهما على الآخر . والتوفيق بين الاحاديث قد يكون بتقييد المطلق أو تخصيص العام أو الحمل على تعدد الحادثة وما الى ذلك من الوجوه .

وأول من تكلم في هذا الفن هو الامام الشافعي في كتاب « الأم » وذكر السيوطي أن الشافعي لم يقصد استيفاءه ولا افراده بالتأليف[56] ، ولكنه في الجزء السابع الف على هامشه كتابا خاصا باسم « اختلاف الحديث » ثم صنف بعد ذلك ابن قتيبة كتابه في مختلف الحديث . وكان الباعث لابن قتيبة على تأليف هذا الكتاب : هو تنزيه ساحة السنة النبوية من تلك المطاعن الزائفة التي وجهها الى الحديث وأهله اعداء السنة ، فألف هذا الكتاب عندما رأى أهل الكلام يقرمون بثلب أهل الحديث والتحامل عليهم ، فعز ذلك عليه سيما وأن أحد أنصار الحديث كتب الى ابن قتيبة يطلب منه أن يرد على أهل الكلام فصنف هذا الكتاب النفيس وقد بين الباعث له على تأليفه في مقدمة الكتاب اذ يقول : (فانك كتبت الى تعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتهانهم واسهابهم في الكتب بذمهم ، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون وكفر بعضهم بعضا ، وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث)[57] .

---

(٥٦) تدريب الراوي ص ٣٨٧ .

(٥٧) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣ .

ابن قتيبه وأهل الرأى والكلام

كانت الخصومة حادة بين أهل الحديث وأهل الرأى ، وقد حمل أهل الرأى على أهل الحديث حملات عنيفة وانبرى ابن قتيبه يرد كيد خصومه من أهل الرأى ويدافع عن أهل الحديث الذين عانوا كثيرا من هذه الخصومة التى بلغت مبلغا كبيرا حتى ان القضاة من أهل الرأى هم الذين قاموا باختبار المحدثين اثناء فتنة القول بخلق القرآن ، وكان لأهل الرأى فهم فى الآيات على غير وجهها الصحيح ، وتأولوا الأحاديث تأويلا لا يقره دين ، فوقف ابن قتيبه منهم موقف المدافع عن الدين . ففند آراءهم ، ورد أباطيلهم . أما عن أهل الكلام فكان موقفهم من الحديث موقف الشك ، لأنهم يحكمون العقل فى كل شىء ولا يثقون فى الحديث الا اذا اتفق مع عقولهم ، وأحلوا العقل مكانة كبيرة ، وجعلوا له سلطانه مع ما فيه من جموح فكان غلوهم فى تحكيم العقل وتعصبهم لبعض آرائهم هو الذى فتح سبيلا للغى . وهذا هو الذى حفز ابن قتيبه ليناهضهم ويتصدى للرد عليهم وعلى غيرهم من أعداء الحديث ، ويذود عن حمى الدين فى اخلاص وحمية . وسأعطى نموذجا لعمل ابن قتيبة فى الدفاع عن الحديث وهو كتابه (تأويل مختلف الحديث) :

وقد اخترت ابن قتيبة كمثال لجهود العلماء فى مناصرة الحديث ومقاومة اعدائه لانه كان من طليعة العلماء الذين مثلوا ثقافة القرن الثالث الهجرى بكل ما فيها من علوم ومعارف وثقافات مختلفة ، ألف فى الحديث والتفسير وأخذ وضعه فى امامة أهل السنة فى زمنه جمع بين العلم والعمل ، وكان أديبا ناقدا ولغويا ضليعا وراوية للاخبار ، كل ذلك يدل على عقلية متفتحة وأفق واسع .

مكانته وفضله

كان ابن قتيبه ثقة دينا فاضلا كما قال الخطيب[٥٢] ، وهو أحد أعلام الائمة الذين زوا فى الميدان العلمى بأعمال كثيرة ، ومصنفات وافرة فلم يترك حقلا من حقول العلم وكان من زارعيه ولا بحرا من بحور المعرفة الا وأدلى بدلوه فيه ، وكان من أجود الأئمة تصنيفا وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف[٥٣] وكانت له مكانته بين العلماء ، يقول فيه أهل المغرب : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبه يتهم بالزندقة . ويقولون كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه . ومع المبالغة فى هذا القول فهو يعطينا صورة لمكانته وفضله .

وقد حامت حوله شبهة لا أساس لها من الصحة وهى اتهامه بالانحراف عن أهل البيت النبوى . واذا نظرنا الى كتبه وآرائه وجدنا ما يناقض هذه الشبهة ، فقد أحب ابن قتيبه الامام على بن أبى طالب وآله رضوان الله عليه وكان يذكرهم بالاكبار والتجلة ، بل ويحث على حبهم ويرى أن مناصرتهم مما ينفع المرء فى يوم المعاد[٥٤] .

وحب ابن قتيبه لآل البيت ليس فيه غلو كالشيعة بل كان معتدلا . ويرى بعض الباحثين أنه كان فى بعض آرائه انحراف عن أهل البيت الا أنه رجع الى الصواب ولطف لهجته[٥٥] .

وأرى أن ابن قتيبه كما أخذ على عاتقه مناصرة السنة وأهلها ، وظهرت ميوله الى آل البيت كما تبين فى الرأى الاول وبهذا يكون بعيدا كل البعد عن هذه الشبهة ، ولعل الذى دعا بعض الباحثين الى ذلك هو ما أثار خصومه حول شخصيته العلمية وما أشاعوه فيه .

---

(٥٢) لسان الميزان جـ ٣ ص ٣٥٧ .

(٥٣) مقدمة مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبه ط الخانجى .

(٥٤) ابن قتيبه للدكتور عبد الحميد سند ص ٢٣٧ .

(٥٥) مقدمة الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة بتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ص ٣ .

مؤلفاته فصنفه فى الرد على أعداء أهل الحديث ، وعلى الشعوبية مثل كتاب (تأويل مختلف الحديث) وكتاب : (الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) وهذا النوع من مؤلفاته هو الذى كتبه ، مستمد مادته من عقليته الحافظة المتفتحة وتفكيره الخصب ، الذى كان له أكبر الأثر فى التوفيق بين نصوص القرآن والحديث ، وبيان المراد وشرح ما غمض على بعض العقول . وهذه المؤلفات تدل على تبحره فى علوم الدين واللغة من حديث وفقه ونحو وأدب وغير ذلك .

حياة ابن قتيبه العلمية

اتسمت حياة ابن قتيه العلمية بالاستقرار ، فلم يشتغل بالرحلة الى البلاد كـ[illegible] غيره من الأئمة ، وانما قضى معظم حياته فى بغداد ، واخذ عن علمائها علوم الحديث والفقه واللغة والتفسير والنحو والأدب والأخبار وعاش مدة فى الدينور أعانته على اتقان اللغة الفارسية .

واضطلع ابن قتيه بمهمة جسيمة ، ورسالة عظيمة ملكت عليه أقطار نفسه ، وكانت شغله الشاغل وهذه المهمة هى (الدفاع عن أهل السنة ومذاهبهم ، ووضع المؤلفات لسد حاجة المسلمين وتحبيبهم فى دراسة اللغة العربية) .

وكان غزير الثقافة استوعب معظم ما كان يعج به عصره من ثقافات وعلوم ، وهذا راجع الى أنه أخذ عن شيوخ مختلفين ، منهم المحدث ، ومنهم اللغوى ومنهم النحوى وهكذا . ومن أشهر الشيوخ الذين اخذ عنهم : ابو الفضل الرياشى ، وأبو حاتم السجستانى واسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل(٥٠) .

وروى عنه ابنه أحمد وعبيد الله بن عبد الرحمن السكرى وعبد الله وآخرون .

ومن تصانيفه : كتاب المعارف ، وأدب الكاتب ، وغريب القرآن ، ومشكل الحديث ومشكل القرآن وكتاب الشعر والشعراء ، والاشربة ، واصلاح الغلط ، وكتاب التفقيه ، وكتاب الخيل ، وكتاب اعراب القرآن وكتاب الانواء وكتاب المسائل والجوابات [illegible] وغير ذلك(٥١)

وبعض هذه المؤلفات ليس له فيها الا فضل الجمع والتبويب مثل كتاب : (عيون الاخبار) وكتاب : (المعارف) ومثل هذه الكتب لا تظهر لنا فيه شخصيته العلمية الا فى القليل من - التنسيق الذى يدل فقط على خبرته وحسن اختياره ، أما البعض الآخر من

---

(٥٠) لسان الميزان لابن حجر جـ ٣ ص ٣٥٧ تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٠ .

(٥١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٤ ، مرآة الجنان لليافعى جـ ٢ ص ١٩٦ .

ان التجمل بالخلق أفضل من طلب العلم ، وعرف بالسماحة والتواضع والزهد والدعوة اليه فكان من أوائل من جعلوا الزهد ركنا هاما من أركان الأدب وأفرد له بابا خاصا فى كتاب (عيون الأخبار) وابن قتيبه بما قام به من دعوة صارخة الى الزهد ، شارك فى مقارمة تيارات التحلل والمجون التى نخت على الدولة حينئذ . ولم يكن ابن قتيبه رحالة كثيره من الائمة وانما نشأته مستقرة أنفق الشطر الأكبر منها فى بغداد فى طلب العلم ثم فى تصنيف الكتب وإملائها وأقام بالدينور مدة أثناء توليه القضاء .

من جهود العلماء فى مقاومة اعداء الحديث

الامام ابن قتيبة الدينورى

تبين فى المبحث السابق كيف تصدى علماء الحديث لمحاربة بعض الطوائف ، وكيف قاموا بنخل جميع ما ألقوا به فى محيط الأحاديث من الترهات ، فميزوا بذلك البهرج من الصحيح ، ونفوا عن السنة النبوية تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين .

وفى هذا البحث أسوق مثلا من أمثلة هذا الجهاد المبرور المشكور ، لعلم من اعلام هذا القرن كان له فى هذا المجال باع طويل ، وجهد عظيم ، الا وهو الامام محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينورى وقيل المروزى ، والدينورى نسبة الى (دينور) وهى بلدة من بلاد الجبل قرب قرميسين[٤٩] ، أقام بها مدة قاضيا فنسب اليها ، ويقال له أيضا (المروزى) لأن أباه من (مرو الروز) وأصله فارسى ، وقد صرح بذلك فى قوله ـ حين هاج الشعوبية . (فلا يمنعنى نسبى فى العجم أن أدفعها عما تدعيه لها جهلتها) .

وقبل التعرض لجهوده المشكورة فى خدمة السنة النبوية والدفاع عنها ، أقدم نبذة سريعة تعطينا فكرة عن نشأته وحياته العلمية ، كمدخل لهذه الجهود .

نشـــأته :

ولد ابن قتيبة ببغداد ، وقيل بالكوفة ، وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وتوفى فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وقيل سنة احدى وسبعين ومائتين ورجح ابن خلكان أنه توفى فى منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين وعاش ابن قتيبه معظم حياته ببغداد وهى فى أوج مجدها العلمى ، وقضى جزءا من حياته فى الدينور أثناء ولايته القضاء فيها ، واتسم ـ منذ نشأته الأولى بمكارم الأخلاق ، والتحلى بحميد السجايا ، وكان يرى

---

(٤٩) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٣١٤ .

٥ - احمد بن عبد الجبار العطاردى المتوفى سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، روى عن ابى بكر ابن عباس وطبقته ، ضعفه غير واحد ، قال ابن عدى : رأيتهم مجمعين على ضعفه ولا أرى له حديثا منكرا انما ضعفوه لأنه لم يلق الذين يحدث عنهم ، وقال مطين : كان يكذب وقال الدارقطنى : لا بأس به وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، وقال ابنه عبد الرحمن : كتبت عنه وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه[٤٧].

٦ - حبيب بن ابى حبيب ، واسم ابيه زريق وقيل مرزوق أبو محمد المصرى المتوفى سنة ثمانى عشرة ومائتين . قال أحمد : ليس بثقة ، وقال ابن سعيد : كان يقرأ على مالك وتصفح ورقتين وثلاثة فسألوني عنه بمطر فقلت : ليس بشىء ، وقال ابو داود : كان من أكذب الناس وقال أبو حاتم : روى عن ابن أخى الزهرى أحاديث موضوعة ، وقال ابن عدى : أحاديثه كلها موضوعة ، وقال ابن حيان : كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروى عن الثقات الموضوعات وكان يدخل عليهم ما ليس من حديثهم . وساق له ابن عدى عن مالك عن نافع عن ابن عمر حديثين موضوعين : أحدهما : لمالك بن عبد الله بن سيف حدثنا حبيب حدثنا مالك وابن أخى الزهرى عن الزهرى عن ابى سلمه عن ابيه مرفوعا قال : « تذهب زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » والثانى : روى محمد بن مسعود العجمى انبأنا حبيب حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير عن ابيه مرفوعا : (استنزلوا الرزق بالصدقة) .

٧ - حجاج بن نصير الفساطيطى بصرى المتوفى سنة أربع عشرة ومائتين . قال يعقوب ابن شيبه : سألت ابن معين عنه فقال : صدوق لكن اخذوا عليه أشياء فى حديث شعبة وقال ابن المدينى : ذهب حديثه ، وقال أبو حاتم : ضعيف ترك حديثه وقال البخارى : سكتوا عنه ، وقال النسائى : ضعيف ، وقال ابو داود تركوا حديثه ، وقال الدارقطنى وغيره : ضعيف ، وأما ابن حيان فذكره فى الثقات[٤٨]. وبهذه النماذج يتضح لنا دقة سلفنا فى نقد الرجال ، وتمحيص احوالهم ، وسبر صفاتهم فى دقة فائقة ، وتحقيق علمى نزيه ، وكان بين المجروحين من تكلم فيه مع جلالته ، لأنهم لم يرضوا منزلة ولا جاها للرجال الا بمقياس التقوى والصدق والحفظ والاتقان . كما كان أيضا من بين من تكلم فيهم مع ثقتهم بأدنى لين وبأقل تجريح . وتلك هى الدقة الكاملة التى يراعون فيها أمر دينهم ، وحفظ شريعتهم ، لأن الرواة هم نقلة العلم النبوى فلابد أن يكونوا على درجة عالية فى الاتقان والضبط مع التقوى والأمانة .

---

(٤٧) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى جـ ١ ص ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٤٨) ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢١٠ ، ٤٦٦ .

نماذج من الرجال المجروحين
في القرن الثالث

وجه علماء القرن الثالث همتهم العالية الى نقد السند والمتن ، وقد حفلت كتب الرجال والتراجم بالكثير الذى أطلعنا على جهودهم العظيمة فى مجال النقد العلمى النزيه ، وسأضرب لذلك بعض الأمثلة لنرى من خلالها بعض النماذج للرجال المجروحين ، وآراء بعض الأئمة فيهم :

١ - ابراهيم بن ابى الليث المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، حدث ببغداد عن عبيد الله الأشجعى متروك الحديث ، قال صالح جزرة : كان يكذب عشرين سنة وأشكل أمره على أحمد وعلى حتى ظهر بعد . وقال أبو حاتم كان ابن معين يحمل عليه والقواريرى أحب الى منه وقال ابن معين ثقة لكنه أحمق ، وقال زكريا الساجى . متروك .

٢ - ابراهيم بن محمد بن مروان المتوفى سنة ثلاث وستين ومائتين عرف بالعتيق ، روى عن يعلى بن عبيد وطبقته ، وروى عنه ابن صاعد ومحمد بن مخلد ، قال البرقانى سمعت الدارقطنى يقول « غمزه » .

٣ - أحمد بن بديل الكوفى القاضى المتوفى سنة ثمان وخمسين قال النسائى : لا بأس به وقال ابن عدى : حدث عن حفص بن غياث وغيره أحاديث أنكرت عليه وهو ممن يكتب حديثه على ضعفه ، وقال الدارقطنى فيه لين .

٤ - احمد بن الحسن بن القاسم بن سمرة الكوفى المتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين بمصر قال الدارقطنى وغيره : متروك ، وقال ابن حبان : كذاب روى عنه وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعا : « اذا كان يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش فيؤتى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى » الحديث وقال ابن يونس حدث بمناكير .

الدين غريبة ، وتجريح لأهل الحديث بالاضافة الى ما ذكره بعض العلماء من سبب المحنة ، والاكتئاب يفيض بالكثير من هذه الآراء التى ذكرها ورد عليها ، ولعله قد أخذته غيرته على الدين وأهل الحديث فتحامل على أهل الرأى والكلام .

ثانيا : نأخذ على ابن قتيبة أنه كان فى بعض الأحوال النادرة لا يرد بعض الأحاديث غير المعقولة المنسوبة الى الصحابة مستبعدا أن يتعمد واحد منهم الكذب ، وذلك كبعض الأحاديث التى وقعت فى (كتاب العرب) التى أيد بها رأيه فى تفضيل العرب ، وفيما نقله أيضا فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) أن القردة مسخت من بنى إسرائيل[٦٣] .

وأرى أن ابن قتيبة كان ثقة صادقا فى روايته الا أنه ينقصه تحقيق بعض الأخبار ووزنها بالميزان العقلى السليم ، وان كان قد قصر فى البعض فقد أنجح فى البعض الآخر وفتح باب الرد على أهل الأهواء وجاهدهم مستبسلا صابرا فلله دره .

---

(٦٣) تأويل مختلف الحديث ص ١٦٧ .

صار فى زمن موسى عليه السلام من خالف أهل الزمان هذه المخالفة وكيف يجوز أن يكون من ولد آدم من يكون بينه وبين آدم هذا التفاوت ؟ وكيف يطيق آدمى حمل جبل على رأسه قدره فرسخ فى فرسخ ؟ »

قال أبو محمد : « ونحن نقول أن هذا حديث لم يأت عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته انما هو خبر من الاخبار القديمة التى يرويها أهل الكتاب سمعه قوم منهم على قديم الايام فتحدثوا به » .

وهكذا نرى كيف وقف ابن قتيبة من هذه الأخبار الكاذبة والخرافات الضالة موقف الناقد البصير يفردها ويحكم بكذبها ووضعها ، بل إنه حدد الوجوه التى يدخل منها الفساد الى الحديث وحصرها فى ثلاثة أمور :

الاول : الزنادقة وما قاموا به من دس الأحاديث الشنيعة والمستحيلة التى لم يخف أمرها على رجال الحديث الذين كشفوا عوارها ، وبينوا خطرها ، وأشار الى بعض اولئك الوضاعين أمثال ابن ابى العوجاء الزنديق ، وصالح بن عبد القدوس الدهرى .

الثانى : القصاص وما كانوا يقومون به من استمالة وجوه العوام اليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الاحاديث .

الثالث : ما كان الناس عليه فى الجاهلية من أخبار متقادمة تشبه أحاديث الخرافة كقولهم أن الضب كان يهوديا عاقا فمسخه الله تعالى ضبا ، ولذلك قال الناس : أعق من ضب ، وأيضا ما قام به أعداء الحديث والجهلة وما الى ذلك ، فبين هذه الأسباب ، وتفنن يدافع عن السنة فى إخلاص المؤمن وحمية الغيور على دينه .

بعض المآخذ : والذى نأخذه على ابن قتيبة ما يأتى :

أولا : تحامله على أئمة الرأى والكلام ، ويرى بعض الباحثين أن هذا راجع الى أن بعض متكلمى المعتزلة ، وبعض القضاة المتفقهين على مذهب ابى حنيفة قاموا باختبار المحدثين فى القول بخلق القرآن فى المحنة المشهورة التى قام بها المأمون[٦٢]

وأرى أن السبب فى ذلك يرجع الى ما جنح إليه أهل الكلام والرأى من أقوال فى

---

(٦٢) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة تعليق الشيخ زاهد الكوثرى ص ٣ .

نقد كتاب تأويل مختلف الحديث

وليس معنى دفاع ابن قتيبه عن الحديث وأهله أنه كان يتعصب لرأى البعض ممن ينتسبون الى أهل الحديث ، أو ممن يروون احاديث غير صحيحة تجنح الى الخرافة أو الشك ، لا . وانما كان لا يقبل الاحاديث غير الصحيحة ، ومع ذلك قد اثيرت حول ابن قتيبة الشبهة الآتية :

الشبهة : اتهم ابن قتيبة بانه لا يفرق بين الاحاديث الموضوعة ، والاحاديث الصحيحة ، وكان كل همه ان يتناول التوفيق بين الاحاديث المتناقضة ويبحث عما يؤيد آراءه من الأحاديث .

الرد على ذلك : وردنا على هذه الشبهة ، يتلخص فى انها دعوى غير صحيحة لأن ابن قتيبة رفض احاديث كثيرة وردها لأنه رأى فيها من الخرافات والكذب ما لا يستقيم مع العقل ، وما يضاعف شكوك المرتابين ، وهى ايضا تحمل بين طياتها دلائل وضعها وكذبها ، ومقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه اعظم من ذلك . ومن امثلة ما رده ابن قتيبة من احاديث : « من قرأ سورة كذا وكذا ، ومن فعل كذا وكذا اسكن من الجنة سبعين الف قصر فى كل قصر الف مقصورة فى كل مقصورة سبعون الف مهاد على كل مهاد سبعون الف كذا .. الخ »[٦١] ومثل ذلك ما قيل عن عوج بن عنق : « قالوا : حديث يكذبه النظر ، قالوا : رويتم ان عوجا اقتلع جبلا قدره فرسخ فى فرسخ على قدر عسكر موسى ما . جعل رأسه ليطبقه عليهم فصار طوقا فى عنقه حتى مات ، وأنه كان يخوض البحر فلا يجاوز ركبتيه وكان يصيد الحيتان من لججه ويشويها فى عين الشمس وأنه لما مات وقع على نيل مصر فجسر للناس سنة أى صار جسرا لهم يعبرون عليه من جانب الى جانب وأن طول موسى عليه السلام كان عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع ووثب من الأرض عشرا ليضربه فلم يبلغ عرقوبه . قالوا هذا كذب بين لا يخفى على عاقل ولا على جاهل وكيف

---

(٦١) تأويل مختلف الحديث ص ٩ .

بهم الى ذكر بعض الاحاديث الضعيفة موضحا ان وجهة نظرهم فى ذكرها هو التنبيه عليها لتضح للناس . وليميزوا بين الصحيح والسقيم .

وفى سبيل التماسهم للحق وتتبعهم له وجمعهم للاحاديث قام رجال الحديث برحلاتهم العلمية الهائلة برا وبحرا وشرقا وغربا ، ويرحل الواحد منهم فى سبيل الحديث الواحد وهكذا عاشوا مجتهدين مخلصين حتى ادركوا الصحيح من الاحاديث وفهموا صحيح الاخبار وسقيمها وناسخها ومنسوخها وعرفوا من خالفها من الفقهاء فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد ان كان دارسا ، واجتمع بعد ان كان متفرقا وانقاد للسنن من كان عنها معرضا وتنبه لها من كان عنها غافلا وحكم بقول رسول الله ﷺ بعد ان كان يحكم بقول فلان وفلان[٥٩] وقد مزج بعض المستشرقين والملحدين ممن يلبسون الحق بالباطل ، والصحيح بالعاطل فأخذوا تلك المطاعن ونسبوها الى ابن قتيبة ، وقدموها كقواعد مسلمة عند المسلمين ووجهوا على ضوئها طعونهم الزائفة فى الدين دون أن يذكروا ما قام به هذا الامام الجليل من جهود مخلصة فى الاجابة عليها وبيان الحق من الباطل[٦٠] .

---

(٥٩) المرجع السابق ص ٨٩ .
(٦٠) الحديث والمحدثون ص ٣٦٩ .

منهج ابن قتيبه فى هذا الكتاب

ويتحدد منهج ابن قتيه فى هذا الكتاب فى أمرين :

١ - جمع الطعون التى وجهها أهل الكلام الى الحديث ورجاله والرد عليها .

٢ - جمع الأخبار التى زعم البعض أنها متناقضة ومختلفة فيزيل عنها ما زعموه من تناقض ويجيب عما أوردوه حولها من شبه .

وقد تناول ابن قتيه الحديث عن أهل الكلام والرأى وعن بعض المعتزلة الذين طعنوا فى أهل الحديث وبدأ بالنظام فبين طعنه فى أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ثم تعرض فى رده للعلاف « وعبيد الله بن الحسن » « وبكر صاحب البكرية » ، « هشام ابن الحكم » كما تعرض « للجاحظ مبينا استهزاءه بالحديث ، وما قام به من وضع وكذب ، واخذ يفند مزاعمهم العجيبة ، واترالهم الغريبة وطعونهم الجريئة ويجيب عنها ، كما وضح موقفه من المعتزلة وأهل الكلام ، وكيف عزف عنهم وقاطع مجلسهم حينما رأى منهم ما لا يتفق مع عقيدته ومشربه ، واخذ يذيع على الناس ما خفى من امورهم وجرائتهم فى رد السنة الصحيحة ، ورد على الروافض الذين زعموا انهم على علم بباطن القرآن ففسروا الآيات بما يمليه عليهم الهرى والغرض .

قال ابن قتيبه : « ولو اردنا - رحمك الله - أن ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم فى اصحاب الكلام ونرغب منهم اخرجنا من اجتماع الى تشتت ، وعن نظام الى تفرق وعن أنس الى وحشة وعن اتفاق الى اختلاف »[٥٨] .

وقد وضح ابن قتيبه مسلك اهل الحديث فى اتباع الطريق الصحيح ، واجاب عن الطعون التى وجهت اليهم وهم منها براء كما تصدى لما وضعه الزنادقة وأهل الاهواء من أحاديث فبينها وحذر منها ، ورد عليها ، وشرح ما قام به رجال الحديث من جهود مخلصة دائبة فى سبيل الدفاع عن السنة ، حتى ميزوا الصحيح من غيره ، وبين أن هذا هو ما حدا

---

(٥٨) تأويل مختلف الحديث ص ١٩ .

الباعث لابن قتيبة على تأليف كتابه تأويل مختلف الحديث

مختلف الحديث فن من أهم الفنون التي يضطر العلماء الى معرفتها والوقوف عليه . ومعناه : أن يأتي حديثان ظاهرهما التناقض في المعنى فيوفق بينهما أو يرجح احدهما على الآخر . والتوفيق بين الاحاديث قد يكون بتقييد المطلق أو تخصيص العام أو الحمل على تعدد الحادثة وما الى ذلك من الوجوه .

وأول من تكلم في هذا الفن هو الامام الشافعي في كتاب « الأم » وذكر السيوطي أن الشافعي لم يقصد استيفاءه ولا افراده بالتأليف[٥٦] ، ولكنه في الجزء السابع ألف على هامشه كتابا خاصا باسم « اختلاف الحديث » ثم صنف بعد ذلك ابن قتيبه كتابه في مختلف الحديث . وكان الباعث لابن قتيبة على تأليف هذا الكتاب : هو تنزيه ساحة السنة النبوية عن تلك الطعون الزائفة التي وجهها الى الحديث وأهله اعداء السنة ، فألف هذا الكتاب عندما رأى أهل الكلام يقرمون بثلب أهل الحديث والتحامل عليهم ، فعز ذلك عليه سيما وأن أحد أنصار الحديث كتب الى ابن قتيبة يطلب منه أن يرد على أهل الكلام فصنف هذا الكتاب النفيس وقد بين الباعث له على تأليفه في مقدمة الكتاب اذ يقول : (فانك كتبت الى تعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتهانهم واسهابهم في الكتب بذمهم ، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون وكفر بعضهم بعضا ، وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث)[٥٧] .

---

(٥٦) تدريب الراوي ص ٣٨٧ .

(٥٧) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢ .

ابن قتيبه وأهل الرأى والكلام

كانت الخصومة حادة بين أهل الحديث وأهل الرأى ، وقد حمل أهل الرأى على أهل الحديث حملات عنيفة وانبرى ابن قتيبه يرد كيد خصومه من أهل الرأى ويدافع عن أهل الحديث الذين عانوا كثيرا من هذه الخصومة التى بلغت مبلغا كبيرا حتى ان القضاة من أهل الرأى هم الذين قاموا باختبار المحدثين اثناء فتنة القول بخلق القرآن ، وكان لأهل الرأى فهم فى الآيات على غير وجهها الصحيح ، وتأولوا الأحاديث تاويلا لا يقره دين ، فوقف ابن قتيبه منهم موقف المدافع عن الدين . فنقد آراءهم ، ورد اباطيلهم . اما عن أهل الكلام فكان موقفهم من الحديث موقف الشك ، لأنهم يحكمون العقل فى كل شئ ولا يثقون فى الحديث الا اذا اتفق مع عقولهم ، وأحلوا العقل مكانة كبيرة ، وجعلوا له سلطانه مع ما فيه من جموح فكان غلوهم فى تحكيم العقل وتعصبهم لبعض آرائهم هو الذى فتح سبيلا للغى . وهذا هو الذى حفز ابن قتيبه ليناهضهم ويتصدى للرد عليهم وعلى غيرهم من أعداء الحديث ، ويذود عن حمى الدين فى اخلاص وحمية . وساعطى نموذجا لعمل ابن قتيبة فى الدفاع عن الحديث وهو كتابه (تأويل مختلف الحديث) :

وقد اخترت ابن قتيبة كمثال لجهود العلماء فى مناصرة الحديث ومقاومة اعدائه لانه كان من طليعة العلماء الذين مثلوا ثقافة القرن الثالث الهجرى بكل ما فيها من علوم ومعارف وثقافات مختلفة ، ألف فى الحديث والتفسير واخذ وضعه فى امامة أهل السنة فى زمنه جمع بين العلم والعمل ، وكان أديبا ناقدا ولغويا ضليعا وراوية للاخبار ، كل ذلك يدل على عقلية متفتحة وأفق واسع .

مكانته وفضله

كان ابن قتيبه ثقة دينا فاضلا كما قال الخطيب[٥٢] ، وهو أحد أعلام الائمة الذين زوا فى الميدان العلمى بأعمال كثيرة ، ومصنفات وافرة فلم يترك حقلا من حقول العلم وكان من زارعيه ولا بحرا من بحور المعرفة الا وأدلى بدلوه فيه ، وكان من أجود الأئمة تصنيفا وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف[٥٣] وكانت له مكانته بين العلماء ، يقول فيه أهل المغرب : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبه يتهم بالزندقة . ويقولون كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه . ومع المبالغة فى هذا القول فهو يعطينا صورة لمكانته وفضله .

وقد حامت حوله شبهة لا أساس لها من الصحة وهى اتهامه بالانحراف عن أهل البيت النبوى . واذا نظرنا الى كتبه وآرائه وجدنا ما يناقض هذه الشبهة ، فقد أحب ابن قتيبه الامام على بن أبى طالب وآله رضوان الله عليه وكان يذكرهم بالاكبار والتجلة ، بل ويحث على حبهم ويرى أن مناصرتهم مما ينفع المرء فى يوم المعاد[٥٤] .

وحب ابن قتيبه لآل البيت ليس فيه غلو كالشيعة بل كان معتدلا . ويرى بعض الباحثين أنه كان فى بعض آرائه انحراف عن أهل البيت الا أنه رجع الى الصواب ولطف لهجته[٥٥] .

وأرى أن ابن قتيبه كعالم اخذ على عاتقه مناصرة السنة وأهلها ، وظهرت ميوله الى آل البيت كما تبين فى الرأى الاول وبهذا يكون بعيدا كل البعد عن هذه الشبهة ، ولعل الذى دعا بعض الباحثين الى ذلك هو ما أثار خصومه حول شخصيته العلمية وما أشاعوه فيه .

---

(٥٢) لسان الميزان جـ ٣ ص ٣٥٧ .

(٥٣) مقدمة مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبه ط الخانجى .

(٥٤) ابن قتيبه للدكتور عبد الحميد سند ص ٢٦٧ .

(٥٥) مقدمة الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة بتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ص ٣ .

مؤلفاته فصنفه فى الرد على اعداء أهل الحديث ، وعلى الشعوبية مثل كتاب (تأويل مختلف الحديث) وكتاب : (الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) وهذا النوع من مؤلفاته هو الذى كتبه واستمد مادته من عقليته الحافظة المتفتحة وتفكيره الخصب ، الذى كان له أكبر الأثر فى التوفيق بين نصوص القرآن والحديث ، وبيان المراد وشرح ما غمض على بعض العقول . وهذه المؤلفات تدل على تبحره فى علوم الدين واللغة من حديث وفقه ونحو وأدب وغير ذلك .

حياة ابن قتيبه العلمية

اتسمت حياة ابن قتيبه العلمية بالاستقرار ، فلم يشتغل بالرحلة الى البلاد كغيره من الأئمة ، وانما قضى معظم حياته فى بغداد ، واخذ عن علمائها علوم الحديث والفقه واللغة والتفسير والنحو والأدب والأخبار وعاش مدة فى الدينور أعانته على اتقان اللغة الفارسية .

واضطلع ابن قتيبه بمهمة جسيمة ، ورسالة عظيمة ملكت عليه أقطار نفسه ، وكانت شغله الشاغل وهذه المهمة هى (الدفاع عن أهل السنة ومذاهبهم ، ووضع المؤلفات لسد حاجة المسلمين وتحبيبهم فى دراسة اللغة العربية) .

وكان غزير الثقافة استوعب معظم ما كان يعج به عصره من ثقافات وعلوم ، وهذا راجع الى انه أخذ عن شيوخ مختلفين ، منهم المحدث ، ومنهم اللغوى ومنهم النحوى وهكذا . ومن أشهر الشيوخ الذين اخذ عنهم : ابو الفضل الرياشى ، وأبو حاتم السجستانى واسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل[٥٠] .

وروى عنه ابنه أحمد وعبيد الله بن عبد الرحمن السكرى وعبد الله وآخرون .

ومن تصانيفه : كتاب المعارف ، وأدب الكاتب ، وغريب القرآن ، ومشكل الحديث ومشكل القرآن وكتاب الشعر والشعراء ، والاشربة ، واصلاح الغلط ، وكتاب التفقيه ، وكتاب الخيل ، وكتاب اعراب القرآن وكتاب الانواء وكتاب المسائل والجوابات ، والميسر والقداح وغير ذلك[٥١] .

وبعض هذه المؤلفات ليس له فيها الا فضل الجمع والتبويب مثل كتاب : (عيون الاخبار) وكتاب : (المعارف) ومثل هذه الكتب لا تظهر لنا فيه شخصيته العلمية الا فى القليل من التنسيق الذى يدل فقط على خبرته وحسن اختياره ، أما البعض الآخر من

---

(٥٠) لسان الميزان لابن حجر جـ ٣ ص ٣٥٧ تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٠ .

(٥١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٤ ، مرآة الجنان لليافعى جـ ٢ ص ١٩٦ .

أن التجمل بالخلق أفضل من طلب العلم ، وعرف بالسماحة والتواضع والزهد والدعوة اليه فكان من أوائل من جعلوا الزهد ركنا هاما من أركان الأدب وأفرد له بابا خاصا فى كتاب (عيون الأخبار) وابن قتيه بما قام به من دعوة صارخة الى الزهد ، شارك فى مقاومة تيارات التحلل والمجون التى ألحت على الدولة حينئذ . ولم يكن ابن قتيبه رحالة كغيره من الائمة وانما نشأته مستقرة أنفق الشطر الأكبر منها فى بغداد فى طلب العلم ثم فى تصنيف الكتب وإملائها وأقام بالدينور مدة أثناء توليه القضاء .

من جهود العلماء فى مقاومة اعداء الحديث

الامام ابن قتيبة الدينورى

بين فى المبحث السابق كيف تصدى علماء الحديث لمحاربة بعض الطوائف ، وكيف قاموا بتنخل جميع ما ألقوا به فى محيط الأحاديث من الترهات ، فميزوا بذلك البهرج من الصحيح ، ونفوا عن السنة النبوية تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين .

وفى هذا البحث أسوق مثلا من أمثلة هذا الجهاد المبرور المشكور ، لعلم من اعلام هذا القرن كان له فى هذا المجال باع طويل ، وجهد عظيم ، الا وهو الامام محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينورى وقيل المروزى ، والدينورى نسبة الى (دينور) وهى بلدة من بلاد الجبل قرب قرميسين[٤٩] ، أقام بها مدة قاضيا فنسب اليها ، ويقال له أيضا (المروزى) لأن أباه من (مرو الروز) وأصله فارسى ، وقد صرح بذلك فى قوله – حين حاج الشعوبية . (فلا يمنعنى نسبى فى العجم أن أدفعها عما تدعيه لها جهلتها) .

وقبل التعرض لجهوده المشكورة فى خدمة السنة النبوية والدفاع عنها ، أقدم نبذة سريعة تعطينا فكرة عن نشأته وحياته العلمية ، كمدخل لهذه الجهود .

نشـــأته :

ولد ابن قتيبة ببغداد ، وقيل بالكوفة ، وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وتوفى فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وقيل سنة احدى وسبعين ومائتين ورجح ابن خلكان أنه توفى فى منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين وعاش ابن قتيبه معظم حياته ببغداد وهى فى أوج مجدها العلمى ، وقضى جزءا من حياته فى الدينور أثناء ولايته القضاء فيها ، واتسم – منذ نشأته الأولى بمكارم الأخلاق ، والتحلى بحميد السجايا ، وكان يرى

---

(٤٩) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٣١٤ .

٥ ـ احمد بن عبد الجبار العطاردي المتوفى سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، روى عن أبي بكر ابن عباس وطبقته ، ضعفه غير واحد ، قال ابن عدي : رأيتهم مجمعين على ضعفه ولا أرى له حديثا منكرا انما ضعفوه لأنه لم يلق الذين يحدث عنهم ، وقال مطين : كان يكذب وقال الدارقطني : لا بأس به وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، وقال ابنه عبد الرحمن : كتبت عنه وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه(٤٧).

٦ ـ حبيب بن ابى حبيب ، واسم ابيه زريق وقيل مرزوق ابو محمد المصرى المتوفى سنة ثمانى عشرة ومائتين . قال أحمد : ليس بثقة ، وقال ابن سعيد : كان يقرأ على مالك وتصفح ورقتين وثلاثة فسألوني عنه بمصر فقلت : ليس بشىء ، وقال ابو داود : كان من أكذب الناس وقال أبو حاتم : روى عن ابن أخى الزهرى أحاديث موضوعة ، وقال ابن عدي : أحاديثه كلها موضوعة ، وقال ابن حبان : كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروى عن الثقات الموضوعات وكان يدخل عليهم ما ليس من حديثهم . وساق له ابن عدى عن مالك عن نافع عن ابن عمر حديثين موضوعين : أحدهما : لمالك بن عبد الله بن سيف حدثنا حبيب حدثنا مالك وابن أخى الزهرى عن الزهرى عن ابى سلمه عن ابيه مرفوعا قال : « تذهب زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » والثانى : روى محمد بن مسعود العجمى انبانا حبيب حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير عن ابيه مرفوعا : (استنزلوا الرزق بالصدقة) .

٧ ـ حجاج بن نصير الفساطيطى بصرى المتوفى سنة أربع عشرة ومائتين . قال يعقوب ابن شيبه : سألت ابن معين عنه فقال : صدوق لكن اخذوا عليه أشياء فى حديث شعبة وقال ابن المدينى : ذهب حديثه ، وقال أبو حاتم : ضعيف ترك حديثه وقال البخارى : سكتوا عنه ، وقال النسائى : ضعيف ، وقال ابو داود تركوا حديثه ، وقال الدارقطنى وغيره : ضعيف ، وأما ابن حبان فذكره فى الثقات(٤٨). وبهذه النماذج يتضح لنا دقة سلفنا فى نقد الرجال ، وتمحيص احوالهم ، وسبر صفاتهم فى دقة فائقة ، وتحقيق علمى نزيه ، وكان بين المجروحين من تكلم فيه مع جلالته ، لأنهم لم يرضوا منزلة ولا جاها للرجال الا بمقياس التقوى والصدق والحفظ والاتقان . كما كان أيضا من بين من تكلم فيهم مع ثقتهم بأدنى لين وبأقل تجريح ، وتلك هى الدقة الكاملة التى يراعون فيها أمر دينهم ، وحفظ شريعتهم ، لأن الرواة هم نقلة العلم النبوى فلابد أن يكونوا على درجة عالية فى الاتقان والضبط مع التقوى والأمانة .

---

(٤٧) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى جـ ١ ص ٢٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٣ .

(٤٨) ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢١٠ ، ١١٦ .

نماذج من الرجال المجروحين في القرن الثالث

وجه علماء القرن الثالث همتهم العالية الى نقد السند والمتن ، وقد حفلت كتب الرجال والتراجم بالكثير الذى أطلعنا على جهودهم العظيمة فى مجال النقد العلمى النزيه ، وسأضرب لذلك بعض الأمثلة لنرى من خلالها بعض النماذج للرجال المجروحين ، وآراء بعض الأئمة فيهم :

١ - ابراهيم بن ابى الليث المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، حدث ببغداد عن عبيد الله الأشجعى متروك الحديث ، قال صالح جزرة : كان يكذب عشرين سنة وأشكل أمره على أحمد وعلى حتى ظهر بعد . وقال أبو حاتم كان ابن معين يحمل عليه والقواريرى أحب الى منه وقال ابن معين ثقة لكنه أحمق ، وقال زكريا الساجى . متروك .

٢ - ابراهيم بن محمد بن مروان المتوفى سنة ثلاث وستين ومائتين عرف بالعتيق ، روى عن يعلى بن عبيد وطبقته ، وروى عنه ابن صاعد ومحمد بن مخلد ، قال البرقانى سمعت الدار قطنى يقول « غمزه » .

٣ - أحمد بن بديل الكوفى القاضى المتوفى سنة ثمان وستين قال النسائى : لا بأس به وقال ابن عدى : حدث عن حفص بن غياث وغيره أحاديث أنكرت عليه وهو ممن يكتب حديثه على ضعفه ، وقال الدارقطنى فيه لين .

٤ - احمد بن الحسن بن القاسم بن سمرة الكوفى المتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين بمصر قال الدارقطنى وغيره : متروك ، وقال ابن حبان : كذاب روى عنه وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعا : « اذا كان يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش فيؤتى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى » الحديث وقال ابن يونس حدث بمناكير .

حكم رواية الكاذب إذا تاب

التائب من الفسق ، إذا حسنت توبته وعرفت عدالته ،تقبل روايته . وأما التائب من الكذب فهو على ضربين :

الأول : التائب من الكذب فى حديث الناس فتقبل روايته ، خلافا لأبى بكر الصيرفى .

الثانى : التائب من الكذب فى الحديث النبوى ، وهذا لا تقبل روايته وإن تاب وحسنت توبته عن الكذب وهذا ما ذهب إليه الأئمة : أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي وأبو بكر الصيرفى ، بل قال الصيرفى ، كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهر .. وذهب النووى فى شرح مسلم إلى أن المختار القطع بصحة توبته وقبول روايته كالكافر إذا أسلم .

والذى نرجحه هو ما ذهب إليه الإمام أحمد ومن معه تغليظا وزجرا عن الكذب على الرسول ﷺ لما يترتب على هذا الكذب من المفاسد بخلاف الكذب فى غيره .

وينبغى أن ننبه هنا إلى أن ردّ رواية التائب من الكذب لا تعنى عدم قبول توبته فإن الله تواب رحيم ولكن الأمر هنا قائم على الحيطة البالغة فى الحديث الشريف أما توبة مثل هذا فهى بينه وبين الله تعالى قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن أحمد الحلبى : سألت أحمد بن حنبل عن محدث كذب فى حديث واحد ثم تاب ورجع ، قال : توبته فيما بينه وبين الله تعالى ولا يكتب حديثه أبدا وقال السمعانى : من كذب فى خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه .

وينبغى الحيطة البالغة فى رواية الحديث والتحرز من الكذب ، واجتناب

الشواذ والمنكرات « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع » ... ويمكن التعرف على كذب الراوى بمعرفة التاريخ ، وقال سفيان الثورى : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ.

ويعرف كذب المحدث فى روايته عمن لم يدركه بمعرفة تاريخ مولد الرواة وتاريخ وفاة من روى عنه ، قال يحيى بن صالح : حدثنا جعفير بن معدان الكلاعى قال : قدم علينا عمر بن موسى خمص فاجتمعنا إليه فى المسجد ، فجعل يقول : حدثنا شيخكم الصالح ، فلما أكثر ، قلت له : من شيخنا هذا الصالح ؟ سمه لنا نعرفه قال : فقال خالد بن معدان ، فقلت له : فى أى سنة لقيته ؟ قال: لقيته سنه ثمان ، قلت : فأين لقيته ؟ قال : لقيته فى غزاة أرمينية ، قال فقلت له : اتق الله يا شيخ ولا تكذب مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين وأزيدك أخرى ، أنه لم يغز أرمينية قط كان يغزو الروم [1] أ هـ .

(١) الكفاية للخطيب البغدادى .

بعض الأئمة الذين تصدوا للتجريح والتعديل

عرفنا فيما سبق أن الكلام فى الجرح والتعديل نشأ مع الحديث نفسه ، وأن الرسول ﷺ قد تكلم فيهما ، وأن كثيرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد أدلى بدلوه فى هذا المضمار ، كابن عباس ، وأنس بن مالك ، وعبادة بن الصامت .. ومن التابعين : سعيد بن المسيب والشعبى ، ومحمد بن سيرين .. ومن أتباع التابعين وهكذا فى كل عصر كان الأئمة يجتهدون فى فحص الرواة وبحث أحوالهم ، ولكن قيل : أول من تكلم فى رجال الحديث شعبة بن الحجاج ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان ثم من بعده أحمد بن حنبل . وقد عرفنا أن الكلام فى الرجال سبق هؤلاء بكثير فيكون مراد القائلين بهذا أن هؤلاء هم أول من تفرغ لذلك وعنى به ..

ومن الأئمة الذين كانت لهم عناية بالجرح والتعديل : مالك بن أنس وسفيان الثورى ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى ، والبخارى ، ومسلم وابن عبد البر ، وابن الصلاح ، والذهبى ، وابن حجر ، والسيوطى وغيرهم ....

الاستدلال بالتاريخ على الكذب في الرواية

سبق التنويه بأهمية علم تاريخ الرواة ، وأنه علم يبحث فى تاريخ رواة الحديث ورحلاتهم ومواطنهم ومواليدهم ووفياتهم وكثير من أحوالهم مما له أثر فى توهينهم أو تقويتهم ..

وبمعرفة التاريخ يستدل على ما فى الرواية من كذب إذا كان الراوى مثلا لم يدرك من روى عنه ، ويعرف ذلك بتاريخ موت المروى عنه ، ومولد الراوى

ذكر الخطيب البغدادى أمثلة لذلك قال : أخبرنا [١] محمد بن الحسن بن الفضل قال أنا عبد الله جعفر قال : ثنا يعقوب بن سفيان قال حدثنى العباس ابن الوليد بن صبح قال حدثنى يحيى بن صالح قال حدثنا عفير بن معدان الكلاعى قال : قدم علينا عمر بن موسى حمص فاجتمعنا إليه فى المسجد فجعل يقول : حدثنا شيخكم الصالح فلما أكثر قلت له من شيخنا هذا الصالح ؟ سمه لنا نعرفه ، قال : فقال خالد بن معدان : قلت له فى أى سنة لقيته ؟ قال : لقيته سنة ثمان ومائة ، قلت فأين لقيته ؟ قال لقيته فى غزاة أرمينية قال : فقلت له : اتق الله ياشيخ ولا تكذب ، مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة ، وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين وأزيدك أخرى ، أنه لم يغز أرمينية قط ! كان يغزو الروم .

وبمعرفة التاريخ أمكن الوقوف على الحقيقة ، ولذا يقول سفيان الثورى رضى الله عنه : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ .

ويقول حفص بن غياث : إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين ، اى احسبوا سنه وسن من كتب عنه وإذا أخبر الراوى عن نفسه بأمر مستحيل سقطت روايته .

---

(١) الكفاية فى علم الرواية .

عدم الالتفات إلى التجريح المتعصب

هناك تجريح يدعو إليه التعصب ، والحسد والبغضاء فيجب أن يتنبه إليه فى هذا الباب – باب الجرح والتعديل – وألا يؤخذ بقول المجرحين على إطلاقه ...

وقد ذكر الإمام تاج الدين السبكى قاعدة فى الجرح والتعديل من الأهمية بمكان بحيث يجب التنبه إليها فقال :

الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه ، وندر جارحوه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أو غيره ، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون .

وفى حديث الزبير رضى الله عنه : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه الإمام أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه والضياء فى المختارة .

وروى الحافظ أبو عمرو بن عبد البر فى كتابه : (جامع بيان العلم وفضله) بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذى نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس فى زروبها وعن مالك بن دينار قال : يؤخذ بقول العلماء والقراء فى كل شيء إلا قول بعضهم فى بعض .

ثم قال الإمام السبكى بعد ذلك : إن الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره

فى حق من غلبت طاعاته على معاصيه وما دحوه على ذاميه ، ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة فى الذى جرحه من تعصب مذهبى أو منافسة دنيوية كما يكون من النظراء أو غير ذلك أ هـ .

ثم قال : ومما ينبغى أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح فى العقيدة فجرحه لذلك وإليه أشار الرافعى بقوله : وينبغى أن يكون المزكون برآء من الشحناء والعصبية فى المذهب خوفا من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب وقد أشار شيخ الإسلام تقى الدين بن دقيق العيد فى كتابه (الاقتراح) إلى هذا وقال : أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس : المحدثون والحكام .

كما ينبغى التنبه عند الجرح إلى حال الجارح ومعرفته بمدلولات الألفاظ ، والعلم بالأحكام الشرعية وهكذا .

التحمل والأداء

يراد بتحمل الحديث أخذه ونقله عن الغير وهو من يسمى فى اصطلاح المحدثين بالشيخ .

ويطلق الأداء ويراد به رواية الحديث وتبليغه لطالب الحديث بعد تحمله

ويشترط فيمن يتحمل الحديث أن يكون ضابطا مميزا ، وللعلماء فى تحديد سن التمييز آراء فمنهم من قال لا ينبغى السماع إلا بعد العشرين ومنهم من قال بعد عشر ، وقال آخرون بعد ثلاثين .

ونقل عن القاضى عياض أن أهل الحديث حددوا أول زمن يصح فيه السماع للصغير بخمس سنين لما رواه البخارى عن محمود بن الربيع قال : « عقلت من النبى ﷺ مجة مجها فى وجهى من دلو ، وأنا ابن خمس سنين » .

والحق أن الناس تختلف حوافظهم ، وتتفاوت عقولهم ولذا كانت العبرة بالتمييز والضبط فمتى كان مميزا ضابطا يفهم الخطاب ويرد الجواب صح سماعة وإلا فلا ، كما أجاز العلماء تحمل غير المسلم إذا أدى بعد الإسلام كحديث جبير بن مطعم أنه سمع النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور رواه الشيخان وحديث أبى سفيان وقصته مع هرقل وهى موجودة فى الصحيحين فهو وإن كان قد تحملها قبل إسلامه إلا أنه أداها فى حال الإسلام فلا بد لمن يؤدى الحديث ويبلغه أن يكون مسلما بالغا عاقلا خاليا من أسباب الفسق وخوارم المروءة حافظا لما يرويه إن كان يروى من حفظه ولكتابه إن كان يروى من كتابه ، وأن يكون عالما بمدلولات الألفاظ وما يحيل المعانى إن روى بالمعنى .

ولكل طريقة من طرق التحمل ، صيغ فى أدائها ، وأقسام التحمل ثمانية :

١ - السماع :

وطريق السماع أعلى طرق التحمل وأقواها ، وهو إما أن يكون بإملاء أو

يحديث من غير إملاء سواء كان من حفظه أو من كتابه وعلى المحدث وطالب الحديث عدم الاشتغال عن الأداء أو السماع . وهناك آراء فى شأن من اشتغل وقت السماع بغيره هل يصح سماعه أم لا ؟

فإذا اشتغل المستمع مثلا بالنسخ وقت القراءة ، فعند بعض العلماء نفى سماعه ، وممن قال بالنفى الإمام إبراهيم الحربى وأبو أحمد بن على الحافظ وأبو إسحاق الإسفرائينى .

وأجاز ذلك موسى بن هارون الحمال .

وقال ابن الصلاح : وخير من هذا الإطلاق التفصيل فنقول : لا يصح السماع إذا كان النسخ بحيث يمتنع معه فهم الناسخ لما يقرأ حتى يكون الواصل إلى سمعه كأنه صوت غفل ويصح إذا كان بحيث لا يمتنع معه الفهم كمثل مارويناه عن الحافظ العالم الدارقطنى أنه حضر فى حداثته مجلس إسماعيل الصفار ، فجلس ينسخ جزءا كان معه ، وإسماعيل يملى ، فقال له بعض الحاضرين : لا يصح سماعك وأنت تنسخ ، فقال : فهمى للإملاء خلاف فهمك ، ثم قال تحفظ كم أملى الشيخ من حديث إلى الآن ؟ قال : لا فقال الدارقطنى : أملى ثمانية عشر حديثا ، فعددت الأحاديث فوجدت كما قال ، ثم قال : الحديث الأول منها عن فلان عن فلان ومتنه كذا ، والحديث الثانى عن فلان عن فلان ومتنه كذا ، ولم يذكر أسانيد الأحاديث ومتونها على ترتيبها فى الإملاء حتى أتى على آخرها فتعجب الناس منه .

وصيغ الأداء الخاصة بطريق السماع هى :

سمعت ، أو سمعنا ، وحدثنى أو حدثنا ويقول حدثنى إن كان وحده ، فإن كان معه غيره قال حدثنا .

قال القاضي عياض : لا خلاف أنه يجوز فى هذا للسامع أن يقول فى روايته : حدثنا وأخبرنا وسمعت فلانا وقال لنا وذكر لنا .

وقال الخطيب : أرفعها سمعت ثم حدثنا وحدثنى ثم أخبرنا وهو على الشيخ قال : ثم أنبأنا ونبأنا وهو قليل فى الاستعمال .
كثير فى الاستعمال ، وكان هذا قبل أن يشيع تخصيص أخبرنا بالقراءة .

وقال ابن الصلاح : « حدثنا وأخبرنا » أرفع من « سمعت » من جهة أخرى وهى أنه ليس فى « سمعت » دلالة على أن الشيخ روى له الحديث وخاطبه به وفى « حدثنا وأخبرنا » دلالة على أنه خاطبه به ورواه له .

ومن العلماء من يرى أن التحديث والإخبار والإنباء بمعنى واحد كالبخارى وجماعة ، ومنهم من يخص التحديث بالسماع من الشيخ والإخبار بالقراءة على الشيخ والإنباء بالإجازة مثل مسلم وجماعة . وقول الحافظ ابن حجر : وفى ادعاء الفرق بينهما - حدثنى وأخبرنى - من حيث اللغة تكلف شديد لكن لما استقر الاصطلاح صار ذلك حقيقة عرفية تتقدم على الحقيقة اللغوية [1] .

٢ - القراءة على الشيخ :

والقسم الثانى من أقسام التحمل القراءة على الشيخ ويسميها أكثر المحدثين عرضا وهى جائزة فى الرواية سواء كان القارئ هو الراوى بأن كان يقرأ من حفظه أو من كتابه أم كان القارئ غيره بأن سمعه يقرأ على الشيخ بشرط أن يكون الشيخ حافظا لما يقرأ عليه أو يقابل على أصله الصحيح أو يكون الأصل بيد القارئ أو بيد أحد المستمعين الثقات .

---

(١) تدريب الراوى ، مقدمة ابن الصلاح ، الباعث الحثيث ، فى أصول الحديث للدكتور محمد أبى شهبه والمنهج الحديث للدكتور محمد السماحى .

وقيل هى دون السماع من لفظ الشيخ وقيل هى ومرتبة السماع سواء وقيل هى أقوى والصحيح أنها تلى مرتبة السماع .

ودليل جواز القراءة على الشيخ حديث ضمام به ثعلبة ، روى البخاري — بسنده — عن شريك به عبد الله بن أبى تمرة أنه سمع أنس بن مالك يقول : بينما نحن جلوس مع النبى ﷺ فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبى ﷺ متكئ بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فقال له الرجل : ابن عبد المطلب فقال له النبى ﷺ : قد أجبتك ، فقال الرجل للنبى ﷺ إنى سائلك فمشدد عليك فى المسألة فلا تجد علىّ فى نفسك فقال : سل عما بدالك ، فقال : أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم ، قال : أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبى ﷺ : اللهم نعم فقال الرجل : آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة بن سعد . فلما رجع إلى قومه اجتمعوا عليه فأبلغهم فأجازوه ، وقبلوا منه الإسلام وتعاليمه وأسلموا وللبخارى فى صحيحه فى كتاب العلم عنوانه : « باب القراءة والعرض على المحدث » .

* وصيغ الأداء الخاصة بالقراءة هى : قرأت على فلان وقرئ على فلان وأنا أسمع ، وأخبرنى أو أخبرنا فلان وحدثنا فلان قراءة عليه وأخبرنا كذلك ، وأما لفظ حدثنا أو أخبرنا من غير تقييد بالقراءة على الشيخ فمنعها بعضهم وأجازها آخرون والمختار من ذلك إجازة قولهم : « أخبرنا » ومنع قولهم « حدثنا » .

٣ - الإجازة :

وهى أن يأذن الشيخ لتلميذه فى رواية مروياته أو مؤلفاته والرواية بطريق الإجازة جائزة عند الجمهور ، وادعى القاضي أبو الوليد الباجى الإجماع على ذلك ، ونقضه ابن الصلاح بما رواه الربيع عن الشافعى أنه منع من الرواية بها ، وكذلك منع غيره من العلماء الرواية بها وقال بعض المانعين من الرواية بها : لو جازت الإجازة لبطلت الرحلة .

وقال ابن الصلاح : ثم إن الذي استقر عليه العمل وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم القول بتجويز الإجازة وإباحة الرواية بها[1].

هذا ومن الملاحظ أن معظم الرواة وأغلبهم فى العصور المتأخرة يعتمدون على طريقة الإجازة وبذلك بقيت سلسلة الإسناد متصلة إلى وقتنا هذا حيث تتعاقب العصور والأزمنة على رواية المرويات والكتب الصحيحة ..

والإجازة أقسام :

الأول : أن تكون الإجازة من لمعين لمعين مثال ذلك أن يقول : أجزتك أن تروى عنى هذا الكتاب أو هذه الكتب وهى جائزة عند الجماهير حتى الظاهرية لكن خالفوا فى العمل بها لأنها فى معنى المرسل عندهم إذ لم يتصل السماع

الثانى : إجازة لمعين فى غير معين ومثال ذلك أن يقول أجزت لك أن تروى عنى ما أرويه أو ما صح عندك من مسموعاتى ومصنفاتى ، وهذا القسم مما يجوزه الجمهور أيضا رواية وعملاً .

الثالث : الإجازة لغير معين بوصف العموم ومثال ذلك أن يقول أجزت

---

(١) مقدمة ابن الصلاح .

جميع المسلمين أو كل واحد أو أن يقول أجزت للموجودين أو لمن قال : لا إله إلا الله ، وتسمى الإجازة العامة .

وفي هذا القسم خلاف للمتأخرين ، فإن قيدها أي الإجازة العامة بوصف حاضر كأن يقول مثلا أجزت طلبة العلم ببلد كذا فأقرب إلى الجواز من غير المقيدة .

أما لو كانت إجازة غير حاضرة في الوصف كأن يقول أجزت لأهل بلد كذا فهذا النوع كالإجازة المطلقة ، وممن أجاز الرواية بطريق الإجازة العامة المطلقة القاضي أبو الطيب الطبري والخطيب البغدادي وابن منده وغيرهم.

الرابع : إجازة لمعين بمجهول من الكتب ، أو إجازة بمعين من الكتب لمجهول من الناس مثل أجزت لفلان أن يروى عنى كتاب السنن وهو يروى مجموعة من كتب السنن أو يقول أجزت لمحمد بن خالد الدمشقي وهناك جماعة مشتركون في هذا الاسم والنسب ثم لا يعين المجاز له منهم وهذه الإجازة باطلة أما لو أجاز لجماعة مسمين في الإجازة أو غيرها ولم يعرفهم بأعيانهم ولا أنسابهم ولا عددهم ولا تصفحهم صحت الإجازة كما يصح سماع من حضر مجلسه للسماع منه وإن لم يعرفهم .

الخامس : الإجازة للمعدوم فإن عطف المعدوم على الموجود كأن يقول : أجزت لفلان ومن يولد له فجائز وأما الإجازة للمعدوم ابتداء من غير عطف على موجود فأجازها الخطيب وغيره ، ومنعها البعض .

السادس : إجازة ما لم يسمعه المجيز ولم يتحمله أصلا بعد ليرويه المجاز له إذا تحمله المجيز بعد ذلك ، وقد منع العلماء هذا النوع ، وقال القسطلاني : الأصح البطلان ، وأما قوله : أجزت لك ما صح أو يصح عندك من مسموعاتي

فصحيح تجوز الرواية به لما صح عنده سماعه له قبل الإجازة ، وفعله الدارقطني وغيره .

السابع : إجازة المجاز وذلك بأن يقول الشيخ مثلا : أجزت لك مجازاتي أو أجزت لك رواية ما أجيزلي روايته وقد منع من هذا النوع البعض ولكن الصحيح الذي عليه العمل أن هذا النوع جائز .

ومن ألفاظ الأداء عن الإجازة عموما : أجازني أو أجازنا فلان ، أنبأني وأنبأنا

٤ - المناولة :

والمناولة نوعان : مناولة مقرونة بالإجازة ، ومناولة مجردة من الإجازة .

فأما المناولة المقرونة بالإجازة فمثل أن يناول الشيخ الطالب كتابا من سماعه ويقول له « ارو هذا عني » أو أن يأتي الطالب بكتاب من حديث الشيخ فيعرض عليه فيتأمله الشيخ وهو عارف مستيقظ ثم يعيده إليه ويقول له هو من حديثي فاروه عني .

والأصل في المناولة ما علقه البخاري في العلم ، ووصله البيهقي والطبراني بسند حسن : أن رسول الله ﷺ كتب لأمير السرية كتابا وقال : لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي ﷺ .

وقد جعل بعض أهل الحديث المناولة أرفع من السماع لأن الثقة بكتاب الشيخ مع إذنه فوق الثقة بالسماع منه وأثبت لما يدخل من الوهم على السامع والمستمع وهذا فيه من المبالغة ما فيه ولكن الصحيح أن المناولة أقل من السماع والقراءة .

وأما النوع الثاني : وهي المناولة المجردة من الإجازة فلا تجوز الرواية بها ،

وحكى الخطيب عن بعضهم جوازها وصيغ الأداء عن النوع الأول من المناولة وهى المقرونة بالإجازة أن يقول : ناولنى أو ناولنا فلان مع الإجازة ، حدثنى فلان بالمناولة والإجازة ، أنبأنى فلان بالإجازة والمناولة .

٥ - المكاتبة :

وهى أن يكتب الشيخ بشيء من حديثه لمن كان موجودا عنده أو يرسله إلى من غاب عنه ويعرف المكتوب له خط الشيخ أو خط الكاتب عنه فإن اقترنت بالإجازة وأذن له فى روايته فهى كالمناولة المقرونة بالإجازة بل هى أرجح منها .

وإن لم تكن معها إجازة فأجاز جمهور العلماء الرواية بها .

وصيغ الأداء عن هذا الطريق كتب إلىّ أو إلينا فلان ، كاتبنى أو كاتبنا ، وحدثنى بالمكاتبة والإجازة وأخبرنى بالمكاتبة والإجازة .

٦ - الإعلام :

والمراد إعلام الشيخ أن هذا الكتاب سماعه من فلان من غير أن يأذن له فى روايته عنه . وقد أجاز بعض العلماء الرواية بطريق الإعلام ومنع الرواية بهذا الطريق بعض العلماء قال ابن الصلاح إنه المختار ، ثم قال : لأنه قد يكون ذلك مسموعه وروايته ثم لا يأذن فى روايته عنه لكونه لا يجوز روايته لخلل يعرفه فيه ولم يوجد منه التلفظ به .

وصيغ الأداء عن هذا الطريق : أعلمنى أو أعلمنا فلان وحدثنى فلان بالإعلام وأخبرنى فلان بالإعلام .

٧ - الوصية :

وذلك بأن يوصى الراوى بكتاب يرويه عند موته أو سفره لشخص وبعض

السلف جوّز بها رواية الموصي له وشبهوا ذلك بالمناولة والإعلام بالرواية ، قال ابن الصلاح وهذا بعيد جدا وهو إما زلة عالم أو متأول على أنه أراد الرواية على سبيل الوجادة .

وصيغ أداء هذا الطريق عند من يجيزه أوصي إلىّ أو إلينا فلان أو أخبرني فلان بالوصية أو حدثني فلان بالوصية .

٨ - الوجادة :

وهي عبارة عن وجود حديث أو كتاب بخط شخص بإسناده ولم يلقه أو لقيه ولم يسمع منه ذلك الذى وجده وليست له إجازة منه فيأتى من وجده فيرويه عنه على سبيل الحكاية فيقول :

وجدت بخط فلان ويوجد مثل هذا فى مسند الإمام أحمد حيث يقول ابنه عبد الله : وجدت بخط أبى حدثنا فلان ويسوق الحديث

ومنها أيضا وجود أحاديث فى بعض الكتب المطبوعة للمؤلفين المعروفين المشهورين .

وصيغ الأداء لهذا الطريق : وجدت بخط فلان إذا عرف الخط ووثق به أو يقول قال فلان أو نحو ذلك .

والوجادة ليست من باب الرواية وإنما هى حكاية عما وجده فى الكتاب وقد منع طائفة من العلماء العمل بها ، ونقل عن الشافعى وطائفة من أصحابه جواز العمل بها ، وقطع بعض المحققين من العلماء بوجوب العمل بها عند حصول الثقة .

أنواع الرواية وحكم كل نوع

الرواية هي أداء الحديث وتبليغه مع إسناده إلى من عزى إليه بصيغة من صيغ الأداء المطابقة لحالة التحمل كما سبق في بحث التحمل والأداء.

والرواية نوعان : رواية باللفظ ، ورواية بالمعنى.

* أما الرواية باللفظ : فهي رواية الحديث على النحو الذي تحمله الراوي وباللفظ الذي سمعه دون تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقص أو تقديم أو تأخير.

وحكم هذا النوع أنه جائز دون خلاف بين أحد من العلماء بل إن هذا النوع من الرواية هو أعلى الأنواع وأقواها إذا استوفى شروط الصحة.

* وأما الرواية بالمعنى : فيراد بها أداء الحديث وروايته بمعناه سواء كان اللفظ كله من الراوي أو بعضه بشرط أن يحافظ على المعنى.

حكم الرواية بالمعنى

وفي حكم الرواية بالمعنى آراء للعلماء ، وقبل توضيح تلك الآراء أحب أن أوضح أنواعاً من الأحاديث لا تجوز روايتها بالمعنى وإنما يجب على راويها أن يحافظ على ألفاظها دون تغيير وهي :

١ - الأحاديث التي تتعلق بالأمور التوقيفية كأسماء الله تعالى وصفاته ، فلا يجوز إبدال اللفظ بغيره وإن كان يحمل المعنى المراد.

٢ - الأحاديث التي تشتمل على بعض النصوص أو الصيغ التي يتعبد بألفاظها كأحاديث الأدعية لكونها مقصودة لذاتها لاشتمالها على بعض الحكم والأسرار ومثال ذلك : عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال:
علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : « اللهم اهدني فيمن

هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت » رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، ولا نعرف عن النبى ﷺ فى القنوت شيئا أحسن من هذا .

ومثال هذا النوع أيضا مارواه البخارى فى صحيحه بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

٣ - ما كان من جوامع كلم الرسول ﷺ فلا تجوز روايته بالمعنى ، لأن روايته بمعناه لا يمكن أن تبلغ مراده ولا أن تأتى بما تضمنه من معان فالرسول ﷺ أفصح الناس وأبلغهم ومثال ذلك :

عن أبى عمرو وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم .

٤ - ما كان متعلقا بألفاظ العبادة كالأذان والإقامة وتكبيرات الصلاة وصيغة التشهد ، وقد روى عن رسول الله فى التشهد ثلاثة تشهدات أحدهما :

من رواية ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » رواه البخارى ومسلم .

والصيغة الثانية : رواها ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ : التحيات المباركت الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله » رواه مسلم .

والصيغة الثالثة : من رواية أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : « التحيات الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله » رواه مسلم .

* وقد اتفق العلماء عل أن هذه الأنواع لا تجوز روايتها بالمعنى ، كما اتفقوا ايضا على أن من كان حافظا لحديث من غير ما سبق فالأفضل والأولى أن يؤدية بلفظه الذى جاء به .

* كما اتفق العلماء أيضا على عدم جواز الرواية بالمعنى إذا كان الراوى غير عالم بالألفاظ ومدلولالتها ومقاصدها ولا خبيرا بما يحيل معانيها ، ولا بصيرا بمقادير التفاوت بينها ولا عارفا بالشريعة ومقاصدها .

* أما إذا كان الراوى عالما بالألفاظ ومدلولاتها ومقاصدها وكان عارفا بالشريعة ومقاصدها وقواعدها وخبيرا بما يحيل المعانى وبصيرا بمقادير التفاوت وجازما أنه يؤدى المعنى الذى حفظه بدقة ، إذا جمع الراوى هذه الشروط فللعلماء آراء فى جواز روايته بالمعنى :

* يرى كثير من علماء الحديث والفقة والأصول منع الرواية بالمعنى مع هذه الشروط ومن هؤلاء القاسم بن محمد وابن سيرين والقاضى عياض والإمام مالك بن أنس ، يقول القاضى عياض : ينبغى سد باب الرواية

بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن كما وقع للرواة كثيرا قديما وحديثا .

ووجهة نظر المانعين من الرواية بالمعنى أنها تكون عرضة للتغيير والتبديل واستدلوا بحديث : « نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه الترمذى يقول الخليل بن أحمد إن الراوى إذا روى الحديث بالمعنى فقد أزال عن موضعه ما فيه .

* وقيد بعض العلماء منع الرواية بالمعنى للأحاديث المرفوعة وأجازها فيما سوى ذلك .

* وذهب البعض إلى جواز تغيير كلمة بمرادفها فقط .

* ومن العلماء من جوّز الرواية بالمعنى للصحابة دون غيرهم قال القاضى أبو بكر بن العربى فى كتابه « أحكام القرآن » :

« ... فإنا لو جوزناه لكل أحد لما كنا على ثقة من الأخذ بالحديث إذ كل أحد إلى زماننا هذا قد بدل ما نقل وجعل الحرف بدل الحرف فيما رآه ، فيكون خروجا من الأخبار بالجملة والصحابة بخلاف ذلك ، فإنهم اجتمع فيهم أمران عظيمان

أحدهما : الفصاحة والبلاغة إذ جبلتهم عربية ولغتهم سليمة .

الثانى : أنهم شاهدوا قول النبى ﷺ وفعله فأفادتهم المشاهدة عقل المعنى جملة واستيفاء المقصد كله وليس من أخبر كمن عاين » أ هـ .

والذى أختاره من هذه الآراء وأرى أنه أرجحها هو القول بجواز الرواية بالمعنى إذا استوفى الراوى الشروط التى سبق ذكرها ، وذلك لرفع الحرج ولأن المقصود من

أكثر السنة معناها ، واللفظ لا يقع به إعجاز ولا تحد ولا يتعبد بتلاوته كالقرآن وللتيسير على الأمة ويدل على ذلك مارواه ابن منده فى معرفة الصحابة والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن سليمان بن أكتمة الليثى قال : قلت : يا رسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمع منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا ؟ فقال : « إذا لم تحلوا حراما ولا تحرموا حلالا ، وأصبتم المعنى فلا بأس » وأيضا مما يدل على جواز الرواية بالمعنى بشروطها السابقة أن ذلك هو ماتشهد به أحوال الصحابة والسلف حيث كانوا ينقلون المعنى الواحد فى أمر واحد بالألفاظ المختلفة.

وهذا الخلاف السابق لا يجرى فيما دون فى الكتب يقول ابن الصلاح : « ثم إن هذا الخلاف لا نراه جاريا ، ولا أجراه الناس – فيما نعلم – فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شئ من كتاب مصنف ويثبت بدله فيه لفظا آخر بمعناه فإن الرواية بالمعنى رخص فيها من رخص لما كان عليهم فى ضبط الألفاظ والجمود عليها من الحرج والنصب وذلك غير موجود فيما اشتملت عليه بطون الأوراق والكتب ولأنه إن ملك تغيير اللفظ فليس يملك تصنيف غيره » أ هـ والأولى والأفضل بلا خلاف رواية الحديث باللفظ والأولى لمن يروى بالمعنى أن يقول عقب روايته « أو كما قال » ، أو نحو ذلك وكان ابن مسعود وأبو الدرداء وأنس رضي الله عنهم إذ رووا حديثا قالوا : أو نحو هذا أو شبهه أو قريبا منه .

وكل هذا للاحتياط والدقة فى رواية السنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

تدوين الحديث

ومما يجدر دراسته والوقوف عليه بيان درجة كتب السنة التى دون فيها

الحديث الصحيح والموازنة بينها ... ولكن قبل بيان ذلك أوضح كيف دون الحديث النبوى فأقول وبالله التوفيق .

قام أعداء الإسلام يعملون فى ظلام الفرقة التى دبت بين المسلمين على أثر قتل الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضي الله عنه – حين افترق المسلمون فرقا وأحزابا ما بين شيعة وخوارج وجمهور وساعدهم على ذلك اتساع البلاد ، فوجدوا المناخ ملائما لبث سمومهم ودس أكاذيبهم ، وبعد أن انقضى عهد الخلافة الراشدة وافترق المسلمون إلى فرق ، ظهر أرباب الكذب والنفاق من الملل الأخرى يكذبون ويلفقون ويصنعون الأحاديث ، فكان ظهور الوضع فى الحديث أهم هذه الأسباب التى حفزت همم العلماء لتدوينه وتصنيفه صيانة له من الأيدى العابثة ، يقول الإمام الزهرى : « لولا أحاديث تأتينا من المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ولا أذنت فى كتابته »[1].

ولم يكن ذلك الوقت الذى ازداد فيه نشاط العلماء فى الجمع والتدوين هو مبدأ زمن التدوين وإنما بدأت كتابة الحديث منذ عهد النبى ﷺ بصورة خاصة وغير رسمية فالسنة النبوية لم تبق مهملة طيلة القرن الأول إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، وإنما كانت تكتب كتابة فردية فى عهد الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وحفظت فى الكراريس والصحف بجانب حفظها فى الصدور ، حيث توجد بعض الصحائف التى شاركت الصدور فى حفظ السنة ومن هذه الصحائف صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التى تسمى بالصادقة ، لأنه كتبها عن رسول الله ﷺ مباشرة ، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد : « هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ وليس بينى وبينه أحد »[2].

---

(١) تقييد العلم ص ١١٨ .

(٢) المحدث الفاصل ، وتقييد العلم ص ٨٤ .

وهى تشمل على ألف حديث[1] وكان لسعد بن عبادة الأنصارى صحيفة ، ولسمرة بن جندب صحيفة والصحيفة التى دونت فيها حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة ، وكان لجابر الأنصارى صحيفة ولأنس بن مالك صحيفة كان يبرزها إذا اجتمع الناس ولهمام بن منبه صحيفة تسمى الصحيفة الصحيحة رواها عن أبى هريرة وكان ابن عباس معروفا بطلب العلم وبعد وفاة النبى ﷺ ... كان يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكانت تلك الصحف والجاميع تحتوى على العدد الأكبر من الأحاديث التى دونت فى القرن الثالث .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه « رجال الفكر والدعوة » : « وإذا اجتمعت هذه الصحف والجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب فى عهد الرسول ﷺ وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم ، وقد شاع فى الناس حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا فى القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى وما نشأ هذا الغلط إلا عن طريقتين :

الأولى : أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدونى الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : أن المحللين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذى لا يتصور أن يكون قد جاء فى هذه الجاميع الصغيرة التى كتبت من القرن

---

(١) أسد الغابة ٣ ٤٣٣ .

الأول « أ هـ »[1].

ويقول العلامة مناظر أحسن الكيلاني متفقا مع الندوى فى كتابه (تدوين الحديث) (وقد يتعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال أن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبى زرعة ويروى عن الإمام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلا عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التى عنى بها المحدثون فحديث إنما الأعمال بالنيات يروى من سبعمائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل [2]من الأحاديث ، وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف) [3]أ هـ .

وأنا أرجح هذا الرأى وهو كتابة الحديث فى القرن الأول ، لأن أهل القرن الأول هم حلقة الاتصال بالنسبة لمن بعدهم من أصحاب القرون التالية الذين انتقلت على أيديهم السنة ، وأهل العهد الأول وإن كانت الأحاديث المدونة عنهم يظن أنها قليلة إلا أنها صحيحة كلها لا يدخلها شك ، إذ لم يكن الكذب أو الوضع قد شاع فيهم كالذين جاءوا من بعدهم فهم عدول وهم خير القرون وما من شك فيما كانوا عليه فى العهد الأول من المنزلة العالية فى الحفظ والضبط وليس هذا غريبا على قوم انحدروا من أصلاب آباء كانوا قمما

---

(١) رجال الفكر والدعوة ص ٨٢ .

(٢) أى بالنسبة إلى ضخامة عدد الأحاديث المروية فالقلة نسبية .

(٣) القرآن والنبى للدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ نقلا عن « تدوين الحديث » .

عالية فى الحفظ والإتقان ، ولكن مع هذا فقد كتب بعضهم الأحاديث فكان وصولها إلى القرون التالية شفاهة وتحريرا وهذا أدق وأوثق يقول : ابن الصلاح « ولولا تدوينه – أى الحديث – فى الكتب لدرس فى الأعصر الآخر »[1].

ومنذ سنة أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة وحرب الإمام علىّ ومعاوية دبّت الخلافات السياسية والمذهبية وظهر الوضع فى السنة النبوية من الذين لا ثقة فيهم ولا صحبة لهم حقيقية ، إلا أن هذه الحركة قوبلت بقوة مؤمنة من علماء السنة الذين حصروا الوضاعين وصانوا سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ، سيرا على منهجه الكريم الذى وضعه لهم فى الحفاظ على السنة الشريفة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من قال علىّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار »[2].

وقد وردت بعض أحاديث تنهى عن الكتابة : منها ما رواه أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال « لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه »[3].

وعن أبى نضرة قال قيل لأبى سعيد لو اكتتبنا الحديث ؟ فقال تكتبكم ، خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا ﷺ[4].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٧١ .

(٢) فتح البارى جـ١ ص ١٨٠ عن سلمة بن الأكوع بلفظ « من يقل .. » وأخرجة أحمد جـ٢ص ٥٠١ عن أبى هريرة (بلفظ من قال) بإسناد صحيح وابن ماجة جـ ١ص ١٠ من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة ومسلم جـ١ ص ٥ والحاكم جـ١ ص١٠٢ والشافعى فى الرسالة ص ٢٩٦ والدرامى بنحوه جـ١ ص ٧ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١٢٩ وكتاب جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٦ ورواه الدارمى جـ ١ ص ١٩٨ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٧٦ .

وهذا النهى عن كتابة الحديث كان فى بدء الدعوة خشية أن يختلط الحديث بالقرآن فيلتبس على بعض الناس ، أو أن النهى كان فى حق من يوثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة ولذا أذن بالكتابة لمن لا يوثق بحفظه كأبى شاه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبى ﷺ فركب راحلته فخطب فقال : « إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل » ، قال أبو عبد الله : قال أبو نعيم وسلط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنون ألا وأنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ، ألا وأنها أحلت لى ساعة من نهار ، ألا وأنها ساعتى هذه حرام لا يختلى شوكها ، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتيل ، فجاء رجل من أهل اليمن ـ هو أبو شاه فقال اكتب لى يا رسول الله و فقال : اكتبوا لأبى فلان » رواه البخارى وأحمد وابن عبد البر .

والمراد كتابة الخطبة التى سمعها من رسول الله ﷺ .. أو أن النهى كان عاما وخص بالسماح له من كان كاتبا مجيدا لا يلتبس عليه الحال بين السنة والكتاب كعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : « ما من أصحاب النبى ﷺ أحد أكثر حديثا عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » رواه البخارى والدارمى وابن عبد البر . كما كان للنهى عن الكتابة ثمرة عظيمة : هى اتساع المجال أمام القرآن الكريم حتى يأخذ مكانه فى الكتابة ويثبت فى صدور الحفاظ ، أو أن النهى كان خاصا بكتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، والإذن فى تفريقهما . أو أن النهى كان متقدما ، فالإذن بالكتابة ناسخ له عند الأمن من الالتباس ، وهذا أقرب الآراء .

وممن روى عنه كراهة الكتابة في الصدر الأول : ابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى ، وأبو سعيد الخدرى ، وممن روى عنه إباحة الكتابة أو فعله : على وابنه الحسن وأنس وعبد الله بن عمرو بن العاص .

(قال البلقيني : وفي المسألة مذهب ثالث وهو الكتابة والمحو بعد الحفظ [١] وأرى أن النهى عن الكتابة كان عاما في بادئ الأمر وخص الرسول ﷺ بعض الصحابة بالإذن في الكتابة لأسباب منها : أن البعض لا يثق بحفظه كأبي شاه ، ومنها أن البعض كان كاتبا مجيدا لا يلتبس عليه الحال كعبد الله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان قارئا للكتب المتقدمة ويكتب بالسريانية والعربية [٢].

وظل النهى عن الكتابة قائما حتى كثرت السنن وخيف عليها أن تضيع من البعض فكان الإذن بالكتابة ناسخا لما تقدم من النهى ، ولم يلحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها .

وقد هم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكتابة الحديث واستشار أصحاب الرسول ﷺ فأشاروا عليه ، فطفق يستخير الله في ذلك مدة ثم عدل عن ذلك ، روى البيهقي في المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن ، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له وقال : إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس ... كتاب الله بشيء أبدا [٣].

واستمر حال السنة على هذا حتى انتشر الإسلام ، واتسعت الفتوحات ،

---

(١) تدريب الراوى ص ٢٨٥. (٢) تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٦.
(٣) جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص٢٢ ، تدريب الراوى ص ٢٨٧ ؛ تقييد العلم ص٥٠

وتفرق الصحابة فى الأقطار ومات الكثير منهم ، فدعت الحالة إلى تدوين الحديث النبوى ، وذلك حين أفضت الخلافة إلى الإمام العادل عمر بن عبد العزيز ، فأراد أن يجمع السنن ويدونها مخافة أن يضيع منها شيء وكان ذلك على رأس المائة الأولى ، فكتب إلى بعض علماء الأمصار يأمرهم أن يجمعوا الأحاديث ، كما كتب إلى عماله فى أمهات المدن الإسلامية ، وهكذا أصدر الخليفة العادل أمره إلى أقطار الإسلام : « انظروا حديث رسول الله ﷺ ، فأجمعوه[1] » .

وكتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ١١٧ هـ (اكتب إلىّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ وبحديث عمرة فإنى خشيت دروس العلم وذهابه) وفى رواية : (فإنى خشيت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبى ﷺ وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا[2]

كما أوصاه أن يكتب له بما عند القاسم بن محمد بن أبى بكر كما أمر ابن شهاب الزهرى – عام ١٣٤ هـ – وغيره بجمع السنن فكتبوها مستجيبين لأمر الخليفة الذى أشعل هممهم وصادف أمره فى نفوسهم الاستجابة والقبول وهكذا أتمّ الله على يد عمر بن عبد العزيز تنفيذ رغبة جده عمر بن الخطاب التى عدل عنها خشية التباس السنة بالقرآن الكريم .

وكان تدوين الإمام الزهرى للسنة عبارة عن جمع الأحاديث التى تدور حول موضوع واحد فى مؤلف خاص ، فكان لكل باب من أبواب العلم مؤلف قائم به ، فكتاب للصلاة مثلا ، وآخر للصوم وهكذا وكل مؤلف من هذه المؤلفات

---

(١) فتح البارى جـ١ ص ٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق .

تدون فيه الأحاديث المتصلة بموضوعه ، ومختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وقد أخلص الإمام الزهرى نيته وعمله لله والرسول فى تدوين السنة والتنبيه على العناية بأساليبها .

أما بعد الإمام الزهرى فقد تناول الأئمة رسالته ، وأخذوا يكملون ما بدأ ، فقد كان عمل الزهرى بمثابة حجر الأساس لتدوين السنة فى كتب خاصة ، ولكى يوضح الإمام الزهرى هذا العمل ويسلم أساس البناء للجيل الذى سيأتى بعده . كان يخرج لطلابه الأجزاء المكتوبة ليرووها عنه .

وفعلا فقد بدأ العمل بعده ، وتعاون الأئمة والعلماء فى المدن الإسلامية ، فى مكة وفى المدينة وفى البصرة والكوفة والشام وخراسان واليمن ومصر وواسط والرى ، واضطلع الأئمة من أمثال الإمام ابن جريج ١٥٠ هـ بمكة ، والإمام مالك ١٧٩ هـ بالمدينة ، والإمام سفيان الثورى ١٦١ هـ بالكوفة وغيرهم بالمهمة الجليلة الملقاة على عاتقهم ، فأكملوا ما بدأه الزهرى ، الذى قام بالتدوين فجمع كل باب فى مؤلف خاص كما سبق ، فجاء هؤلاء من بعده ، فجمعوا أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة ثم ضموا الأبواب بعضها إلى بعض ، فكانت مصنفا واحدا ، وخلطوا الأحاديث بأقوال الصحابة والتابعين.

أما ما جاء بعد هؤلاء الأئمة – من أهل عصرهم فقد سار على دربهم ، ونسج على منوالهم إلى أن رأى بعض الأئمة إفراد الحديث خاصة على رأس المائتين فى أوائل القرن الثالث الهجرى .. فألفت المسانيد ، ثم جاءت طبقة أخرى دونت السنة فى كتب خاصة تحروا فى تدوينها الصحيح على شروطهم ، وأفردت الحديث عن غيره ، وجمعته على أبواب الفقه واختارت الرواة المشهورين بالفقه وبهذا يتضح أن تدوين السنة لم يأخذ وضعه فى الظهور والتصنيف تماما إلا فى منتصف القرن الثانى فى خلافة بنى العباس ، وإن كان

قد بدأ قبل ذلك .

وكان لتدوين السنة على هذه المراحل أثره الجليل في حفظها من الدخيل ، ومن الكذب على الرسول ﷺ ، كما كان لتدوين السنة على هذه المراحل أثره حيث سهل الطريق للاجتهاد والاستنباط .

بعد هذا كله أرى أن السنة النبوية كانت تكتب في عهد الرسول ﷺ وإن وجدت بعض الأخبار بالنهي عن كتابتها ، فإن إباحة الكتابة كانت جائزة لبعض ، وكانت آخر ما ترك الرسول ﷺ أصحابه عليه : فلم يلحق بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها وقد حفظت في الصحف بجانب حفظها في الصدور ، ولم تبق مهملة طيلة القرن الأول إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، وأحاديث الإذن بالكتابة أكبر شاهد على ذلك وهكذا كتبت الأحاديث وحفظ الكثير منها في الصدور الواعية ، والصحف الأمينة ، وتناقلتها جيلا بعد جيل إلى أن تسلمها منهم أهل القرن الثالث ودونت الكتب الستة للأئمة : البخاري ومسلم وأبي داود ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجة جزاهم الله خير الجزاء عن السنة الشريفة .

منزلة المسانيد من السنن

من المعلوم أن المسند : هو ما أفرد فيه حديث كل صحابي على حدة من غير نظر للأبواب كمسند أبي داود الطيالسي ، ومسند أحمد بن حنبل ، وأبي بكر بن أبي شيبة وأبي بكر البزار ، وأبي القاسم البغوي وغيرهم . وواضح أن من يجمع مسندا من المسانيد لصحابي إنما يقوم بجمع ما يقع له من حديث سواء كان صالحا للاحتجاج أم لا لهذا كانت منزلة المسانيد تلي كتب السنن في الرتبة لأن أصحابهـا لم يتقيدوا بكون الحديث محتجا بـه أم لا ، فلا تلتحق

بالأصول الخمسة وما أشبهها (١)

الموازنة بين الكتب الستة

يقوم منهجنا في الموازنة بين الكتب الستة على أساسين :ـ

الأول : طريقة كل إمام من الأئمة فى تدوين الحديث النبوى فى مصنفه .

الثانى : شرط كل واحد منهم فى كتابه من حيث الصحة وغيرها .

أما بالنسبة للأمر الأول : ـ

١ ـ نرى أن البخارى فى صحيحه انتهج طريقة التدوين على المصنفات كالتى اتبعها الإمام مالك فى (الموطأ) إلا أن البخارى تميز عنه بتجريد صحيحه من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وهذه الميزة (وهى تجريد الحديث وتخليصه من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين) شاركه فيها أصحاب المسانيد كالإمام أحمد ابن حنبل فى مسنده ولكن البخارى جمع بجانب ذلك ميزة أخرى هى : أنه أفرد بالجمع الأحاديث الصحيحة فقط دون غيرها ، وهذه الميزة لا توجد فى المسانيد قبله ثم استهدف فى كتابه المقصد الفقهى فرتب كتابه ترتيبا موضوعيا ، وبوبه تبويبا فقهيا ، ولهذا قلما يتعرض البخارى لتعداد الأسانيد وطرق الحديث فى الباب الواحد إلا فى حال تقوية الحديث فجاء فى كتابه : بالتعليق والاختصار والتفريق على الأبواب ، وما ذكره من التعليقات فإنما ذكره فى التراجم فقط ، لأنها ليست على شرطه فلم يجعلها من أصول الكتاب ، فامتاز بالناحية الفقهية ودقة التراجم إلى جانب تدوين الصحيح فقط .

٢ ـ وأما بالنسبة إلى الإمام مسلم : فقد جمع فى المكان الواحد طرق الحديث وأسانيده ، ولم يقطع الحديث أو يكرره فى الأبواب ، وعنى بتحرير

---

(١) فتح المغيث جـ ١ ص ٥٠ ، تدريب الراوى ص ٩٩ .

ألفاظ الرواة مما جعل الرجوع إليه سهلا .

٣ – وأما جامع الترمذى ، فقد أخذ من طريقة كل من الكتابين السابقين فجمع الطرق والأسانيد فى موضع واحد منبها على اختلاف الألفاظ ، كما جاء بالفوائد الفقهية دون أن يكرر الحديث أو يقطعه على الأبواب إلا فى القليل ، إلا أن تراجمه لم تبلغ مبلغ تراجم البخارى فى الدقة والتفنن ، وبعد الغوص ، فقد كانت تراجم الترمذى واضحة الدلالة قليلة الاستنباط ولكنه تميز بفنون الصناعة الحديثية .

٤ – وأما أبو داود : فقد عنى بالأحاديث التى تدور عليها أحكام الشريعة ، واستوفى منها ما لم يستوفه غيره ، وتميز فى تدوينها بحسن الترتيب ، ولعناية أبى داود بالناحية الفقهية واشتمال الحديث على عدة أحكام كرر أحاديث كثيرة بإسناد واحد فى موضعين أو أكثر من أبواب الكتاب .

٥ – وأما النسائى : فقد بوب كتابه أيضا على الأبواب الفقهية ، ورتبه ترتيبا موضوعيا وسلك المسالك العميقة .

٦ – وأما ابن ماجه : فقد رتب كتابه كذلك ترتيبا فقهيا ، وامتاز بحسن التنسيق والترتيب وسعة الجمع .

وقال أبو جعفر بن الزبير : (لأبى داود فى حصر أحاديث الأحكام واستيفائها ما ليس لغيره وللترمذى فى فنون الصناعة الحديثية ما لم يشاركه غيره ، وقد سلك النسائى أعمق تلك المسالك وأجلها) [1] أ هـ .

وهكذا نرى أن الأساس الأول من الموازنة أبرز لنا ما تميز به كل كتاب عن غيره وما اشترك فيه كل كتاب مع نظيره .

---

(١) تدريب الراوى ص ٩٩ .

وأما الثاني : وهو شرط كل واحد في كتابه :

فقبل بيان الموازنة بين تلك الشروط ، أقدم تقسيم الجمهور للحديث الصحيح ، وآراء بعض الأئمة فى هذه الكتب وطبقاتها لأستأنس بها فى الحديث عن الموازنة :

قسم الجمهور – كما سبق – الحديث الصحيح بالنظر إلى تفاوت الأوصاف المقتضية للصحة إلى سبعة أقسام كل قسم منها أعلى مما بعده .

فالأول : ما أخرجه البخارى ومسلم ، وهذا القسم هو أعلى الأقسام ويسمى بالمتفق عليه.

والثانى : ما انفرد به البخارى ، ووجه تأخره عما اتفقا عليه اختلاف العلماء أيهما أرجح ، ولئن كان الأكثر والأصح وما عليه الجمهور أن كتاب البخارى أصح ولكن ما اتفقا عليه يكون أكثر قوة مما انفرد به البخارى لأن كثرة الطرق تقوى الحديث .

والثالث : ما انفرد به مسلم .

والرابع : ما كان على شرطهما ، مما لم يخرجه واحد منهما ، ووجه تأخره عما أخرجه أحدهما تلقى الأمة بالقبول له .

والخامس : ما كان على شرط البخارى .

والسادس : ما كان على شرط مسلم

والسابع : ما صححه أحد الأئمة المعتمدين غير البخارى ومسلم .

وترجيح كل قسم من هذه الأقسام السبعة على ما بعده إنما هو من قبيل ترجيح الجملة على الجملة لا ترجيح كل واحد من أفراده على كل واحد من أفراد الآخر ، فيسوغ أن يرجح حديث فى مسلم على آخر فى البخارى إذا وجد

مرجب الترجيح .

قال الزركشي : ومن هنا يعلم أن ترجيح كتاب البخارى على مسلم إنما المراد به ترجيح الجمـلة لا كـل فرد من أحاديثه على كل فرد من أحاديث الآخر (١) .

ونلاحظ على هذا التقسيم أنه لم يرد تصريح من العلماء فيه بترتيب كتب الحديث من حيث الصحة إلا بكتاب البخارى أولا ، ثم كتاب مسلم ثانيا ، ثم ما كان على شرطهما ، وما صححه أحد الأئمة المعتمدين غير البخارى ومسلم .

وقد قام بترتيب طبقات كتب الحديث الشيخ المحدث أحمد المعروف بشاه ولى الله الدهلوى فقسم الكتب إلى طبقات :

١ - **الطبقة الأولى** : وتنحصر بالاستقراء فى ثلاثة كتب : الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم .

٢ - **الطبقة الثانية** : كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ، ولكنها تتلوها ، كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر فى فنون الحديث ، ولم يرضوا فى كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على أنفسهم فتلقاه من بعدهم بالقبول ، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة واشتهرت فيما بين الناس ، وتعلق بها القوم شرحا لغريبها ، وفحصا عن رجالها واستنباطا لفقهها ، وعلى تلك الأحاديث بناء عامة العلوم كسنن أبى داود وجامع الترمذى ومجتبى النسائى .

وقال : (أما الطبقة الأولى والثانية فعليها اعتماد المحدثين وحوم حماها مرتعهم

---

(١) مفتاح السنة ص ٣٥ ، تدريب الراوى ص ٦٤ .

ومسرحهم)[١] وأرى أن تقسيم الدهلوى لم يرد فيه ترتيب الكتب حسب صحتها كتابا كتابا وإنما قسمها من حيث الطبقات ، فوضع الموطأ والصحيحين فى الطبقة الأولى ، ووضع سنن أبى داود وجامع الترمذى ومجتبى النسائى فى الطبقة الثانية ، وليس فى تقديمه كتاب الموطأ فى الذكر تقديمه من حيث الصحة عليهما كما قال الشافعى : (ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك) فهذا القول من الشافعى إنما هو قبل وجود الكتابين . وقال الذهبى ردا على ابن حزم الذى أخر الموطأ عن الصحيحين وكتب السنن والمسانيد فى الرتبة قال ما أنصف ابن حزم رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين مع سنن أبى داود والنسائى [٢].

والآن قد اتضح الأمر وأن كتب السنن فى الطبقة الثانية، وأنها بعد الصحيحين أما ترتيبها : فإذا نظرنا إلى عدد الأحاديث التى انتقدها ابن الجوزى على كتب السنن وهى : تسعة أحاديث انتقدها على كتاب أبى داود ، وعشرة أحاديث انتقدها على كتاب النسائى ، وثلاثون حديثا انتقدها على كتاب الترمذى ، وثلاثون حديثا انتقدها على كتاب ابن ماجه ، إذا نظرنا من حيث الأحاديث المنتقدة هذه فإن ترتيب الكتب يبتدىء بالأقل فى الأحاديث المنتقدة فالأكثر وهكذا فيأتى :ــ

أولا : سنن أبى داود .
ثانيا : سنن النسائى .
ثالثا : جامع الترمذى .
رابعا : سنن ابن ماجه .

---

(١) حجة الله البالغة جـ١ ص١٦ وما بعدها .
(٢) فتح المغيث للعراقى جـ١ ص ١٦ . تدريب الراوى ص ٥٤ ، مقدمة الموطأ ص ١٥ .

وقد تأخر سنن ابن ماجه عن كتاب الترمذى ، مع أن الأحاديث المنتقدة عليهما عددها واحد ، لأن ابن ماجه تفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث ، وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهتهم [١] ، لذا جاء ترتيبه آخر كتب السنن

وأما إذا نظرنا إلى الكتب الستة من ناحية شروط أصحابها ، فإن كتاب البخارى يأتى أولا ثم يأتى بعده كتاب مسلم ، وهذا هو الترتيب المعتمد ، لما سبق من بيان شرط كل منهما والموازنة بينهما ، وما اتضح أن شرط البخارى أعلى من شرط مسلم لاشتراطه اللقاء مع المعاصرة وتخريجه رجال الطبقة الأولى استيعابا كما سبق بيانه .

وأما ثالث هذه الكتب : فبتحقيق أقوال العلماء وآراء الائمة ، والموازنة بين شرط كل منهم تتضح الحقيقة :

يرى الإمام الدهلوى أن سنن أبى داود ، ومجتبى النسائى ، وجامع الترمذى فى الطبقة الثانية .

وأما الحازمى : فذكر أن أبا داود والنسائى يخرجان من أحاديث الطبقة الأولى والثانية والثالثة ولا يتجاوزانها إلى الرابعة ، وأما الترمذى فيخرج أحاديث الطبقة الرابعة [٢] . فقد رأى الحازمى تقديم كتاب أبى داود على جامع الترمذى . وهذا الرأى هو ما أميل إليه وأرجحه ، لأن الترمذى نزل درجة عن كل من أبى داود والنسائى حيث خرج حديث الطبقة الرابعة ، أما أبو داود والنسائى فيخرجان أحاديث الطبقة الأولى والثانية والثالثة ، ولا يتجاوزانها إلى الرابعة ، والحازمى وإن

---

(١) قواعد التحديث ص ٢٤٧

(٢) تدريب الراوى ص ٦٩ .

صرح بقوة شرط الترمذى لبيانه لدرجة الحديث – إلا أنه أخره فى الرتبة لما سبق يقول الحازمى (... وفى الحقيقة شرط الترمذى أبلغ من شرط أبى داود ، لأن الحديث إذا كان ضعيفا أو مطلعه من حديث أهل الطريقة الرابعة ، فإنه يبين ضعفه ، وينبه عليه ، فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ، ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة ، وعلى الجملة ، فكتابه مشتمل على هذا الفن ، فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبى داود [1] أ هـ فبين السبب فى تأخيره جامع الترمذى بأنه اشتمل على حديث الطبقة الرابعة وأما سنن النسائى : فتأتى رتبته بعد أبى داود ، وقبل الترمذى ، أما تأخيره عن كتاب أبى داود فلأنه وإن اشترك معه فى التخريج عن الطبقة الأولى والثانية والثالثة إلا أن أبا داود تميز ببيان ما فيه وهن ، أما النسائى فيخرج كل من لم يجمع على تركه ، والضعيف دون تنبيه عليه [2] . وأما تقديمه على الترمذى فلما سبق من تخريج الترمذى حديث أهل الطبقة الرابعة بخلاف النسائى الذى لا يتجاوز الثالثة فهو أعلى منه وعلى ذلك فيكون ترتيب الكتب الستة كالآتى :

١ – الجامع الصحيح للإمام البخارى .
٢ – الجامع الصحيح للإمام مسلم .
٣ – سنن أبى داود .
٤ – سنن النسائى .
٥ – جامع الترمذى .
٦ – سنن ابن ماجه .

وبعد بيان كل ما سبق أحب أن أبرز هنا نتيجتين هامتين :–

---

(١) شروط الأئمة الخمسة ص ٤٤ .
(٢) فتح المغيث جـ١ ص ٤٩ .

الأولى : أن هذه الشروط التى اشترطها العلماء لهؤلاء الائمة قد تبين من سبر كتبهم واستقراء طرقهم فى تدوين الحديث وترتيبهم لمصنفاتهم أن كل ذلك اجتهاد منهم فى دراسة هذه الأعمال الجليلة والمؤلفات النفيسة التى اضطلع بها هؤلاء الأعلام وهذا يدل على تقدير اللاحقين لجهود المتقدمين ، ولا يعنى تأخير واحد منهم عن ركب هؤلاء الأئمة ، ولا إهمال مصنف من هذه المصنفات .

الثانية : أن ترجيح كل كتاب من هذه الكتب وتقديمه على ما بعده فى الرتبة ، إنما المراد به ترجيح الجملة ، لا ترجيح كل فرد من أحاديثه على كل فرد من أحاديث الآخر ، فقد يسوغ ترجيح حديث فى صحيح مسلم على آخر فى صحيح البخارى وهكذا ... فجزاهم الله جميعا خير الجزاء ، على ما قدموا من خدمات جليلة للسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

علوم ومصنفات صاحبت تدوين السنة فى القرن الثالث

وفيـــه بحثـــان

البحث الأول

العلوم التى صاحبت تدوين السنة فى هذا القرن

كان القرن الثالث الهجرى أزهى وأسعد عصور السنة النبوية ، قائمة المحدثين ومصنفاتهم النفيسة الخالدة وقد تمخضت بحوث الأئمة وتدوينهم للسنة إلى علوم كانت قمة ما وصل إليه الفكر البشرى السوى وأصح ماعرف فى التاريخ من القواعد العلمية السليمة للرواية والأخبار ليس بعدها مجال للتثبت والتوثيق ، وقد نسج على منوال علماء الحديث كثيرون من علماء السلف فى سائر مجالاتهم العلمية الأخرى كالتاريخ ، والفقه ، والتفسير والأدب وغير ذلك .

وهـذه العلوم هى ما تسمى : « بعلم أصول الحديث » أو علم الحديث « دراية » ذلك أن علم الحديث ينقسم إلى قسمين :

الأول : علم الحـديث رواية ، وهو علم يعرف به ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، ونقل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأى المختار .

الثانى : علم الحديث دراية وهو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن ، كما قال الشـيخ عز الدين بن جماعة : وقال شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر ، أولى التعاريف له أن يقال : « معرفة القواعد المعرفة بحال الراوى والمروى » والتعـريفان يتفقان فى البحث عن الراوى والمروى من حيث القبول أو الرد .

---

(١) تدريب الراوى ص ٥٠٠.

وقد نشأ أصول هذا العلم مع نشأة الحديث ، إذ كانوا يطلبون من الراوى التثبت وينتقدون المرويات . وقد ازداد الحرص على هذا منذ وقوع الفتن ، فكانوا يقولون : سموا لنا رجالكم كما زاد الطلب أيضا عندما قام ابن شـــهاب الزهرى بجمع الحديث من حامليه فى الدفاتر والصحف ، ثم بعد ذلك كتب الامام الشافعى بعض المسائل فى كتابيه « الرسالة » و « الأم » وكان أول من ألف فى بعض بحوث هذا العلم هو الامام على بن المـــدينى ، كما تكلم فى مسائله البخارى ومســـلم والترمذى من علماء القرن الثالث ، وقام الترمذى فأشاع مسائل هذا العلم وجمع بعضها فى خاتمة جامعه .

فتدوين علوم الحديث إذاً ابتـــدأ فى أبواب ، وفى بعض أنواع منه أثناء المائة الثالثة وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث فى هذا العلم غير جامعة لكل أنواعه فى كتب خاصة ، ولا مستقلة قائمة بذاتها ، وإنما تعرضوا لبحث هذه العلوم أثناء تآليفهم وجمعهم للمرويات ، فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه كما فعل الامام مسلم ومنهم من جعلهـــا خاتمة تبين مراده من المصطلحات كما صنع الترمذى فى آخر جامعه ، وعنى الامام البخارى فألف كتبه فى التـــواريخ الثلاثة . الكبير والأوسط والصغير ، كما ألف أيضا فى تواريخ الرواة الامام محمد بن سعد (كتاب الطبقات الكبرى) وألف البعض فى الثقات كأبى حاتم بن حيان المتوفى سنة ٣٥٤ (كتاب الطبقات) وخصص البعض مؤلفات فى الضعفاء والعلل ككتاب الضعفاء للبخارى ، وكتاب الضعفاء للنسائى ، ورأى بعض العلماء أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة بأهل الحديث وقواعد كثيرة لهم . يعرف بها المقبول والمردود ، ففكروا فى تخليصها فى هذه الكتب وجمعها فى علم خاص وتدوينها فى كتب مستقلة ، وكان ذلك فى القرن الرابع .. حيث نضجت العلوم واستقر الاصطلاح ،

فألف القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠هـ كتاب (المحدث الفاصل بن الراوي والواعي) فجمع كثيرا من أنواع هذا العلم ، وكان أول من وضع كتابا مستقلا في علوم الحديث ولكنه لم يستوعب جميع بحوثه ، ثم صنف الحاكم أبوعبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ كتابه : (معرفة علوم الحديث) ولكنه لم يهذب ولم يرتب ثم ألف الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ كتابا في أصول الحديث سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) ثم كثر التصنيف بعد ذلك وتتابع •

وقد تنوعت الدراسة في هذا الفن إلى علوم كثيرة من أهمها :

١ ــ علم الجرح والتعديل : وقد أدى حرص العلماء على معرفة أحوال الرواة لتمييز الصحيح من غيره إلى نشأة علم الجرح والتعديل ، أو علم ميزان الرجال ، وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم من تعديل يزينهم ، أو تجريح يشينهم ، وتكلم في هذا العلم كثيرون من عهد الصحابة إلى المتأخرين من العلماء ، فمن الصحابة : ابن عباس ٦٨هـ ، وعبادة بن الصامت ٣٤هـ ومن التابعين سعيد بن المسيب ٦٣هـ ، والشعبي ١٠٤هـ •

أما ابتداء التصنيف ووضع الكتب في الجرح والتعديل ، فلم يكن إلا في القرن الثالث ، وكان من أوائل الذين ألفوا في هذا العلم : يحيى ابن معين ٢٣٣هـ ، وأحمد بن حنبل ٢٤١هـ ومحمد بن سعد كاتب الواقدي • والبخاري ومسلم وأبو داود السجستاني والنسائي ثم تتابع التأليف بعد ذلك •• وألف كذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عبد الرحيم بن سعد بن البرقي الزهري مولاهم المصري الحافظ المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين •

ومن كتب فى الثقات والضعفاء : أبو اسحاق إبراهيم بن يعقوب بن اسحاق السعدي الجوزجانى المتوفى سنة تسع وخمسين ومائتين . ومن نماذج التأليف فى هذا النوع كتاب الضعفاء للامام البخارى .

كتاب الضعفاء الصغير للامام البخارى

وقد نهج البخارى فى كتابه على ترتيب الأسماء حسب حروف الهجاء مبتدئا بحرف الألف حتى إذا ما استوعب من اسمه إبراهيم ، جاء بباب من اسمه اسماعيل ثم بباب من اسمه اسحاق ، ثم أيوب ، حتى إذا ماانتهى من حرف الألف ، جاء بباب «الباء» وهكذا إلى باء الياء مثال ذلك قوله .

« إبراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصارى » يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمرو بن دينار يكتب حديثه .

إبراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبة المدنى الأنصارى الأشهلى عن داود بن الحصين — منكر الحديث . وهكذا إلى أن انتهى من الأسماء جاء فى آخر الكتاب بالكنى من الضعفاء مثال ذلك :

أبوالرجال : سمع النضر بن النضر عن أنس عن أبيه عن النبى ﷺ « منكر الحديث عنده عجائب » .

أبو ماجد الحنفى عن ابن مسعود ، ويقال العجلى ، قال الحميدى عن ابن عيينة عن يحيى هو منكر الحديث . .

أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة المدنى ، ضعيف . وكان فى غالب الأحيان يراعى الترتيب فى أسماء الآباء .

وقد جعل لكل حرف بابا ، وتحت كل باب أبواب فرعية كل منها خاص باسم ومعنون به لكنه لم يلتزم بترتيب أبواب الأسماء على حروف المعجم فقدم من اسمه اسماعيل على من اسمه اسحاق . وطبع الكتاب بالهند سنة ١٣٢٥هـ .

كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى

رتب النسائى هذا الكتاب على حروف المعجم ، وقسمه إلى أبواب جاعلا كل حرف من الحروف الهجائية بابا ، فبدأ بالألف فالباء .. الخ .

مثل : باب « إبراهيم » وذكر قائلا :

« ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع ضعيف مدنى » ، « إبراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبة ضعيف مدنى » ، « وإبراهيم بن عطية متروك الحديث واسطى » ، « إبراهيم بن الفضل متروك الحديث مدنى » ، فاذا ما انتهى ممن اسمه إبراهيم انتقل إلى باب من اسمه « أبان » . ثم إلى باب من اسمه « أبى » فقال : « أبى بن العباس بن سهل بن سعد الساعدى ليس بالقوى » ثم باب من اسمه « أيوب » ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ، ثم باب اسامة وغيره ، ثم تتبع الحروف « بابا » « بابا » حسب ترتيبها الهجائى وهكذا .

وبعد حرف الياء وهو الحرف الأخير أتى بباب الكنى فقال : « أبو مطيع الخراسانى ضعيف » . وفى آخر الكتاب ذكر اسم أم الأسود يروى عنها أحمد بن يونس غير ثقة . فالامام النسائى حين يقدم فى هذا الكتاب الضعفاء والمتروكين لا يقدمهم أسماء مجردة وإنما يردفها بالرواة الذين أخذوا عنهم حتى يقف الباحث على مصدر الأخذ أثقة هو أم لا أمنكر هو ؟ أمتروك ؟ وهكذا فيبين من روى عنه ويذكر حكمه عليه بالنكارة أو عدم الثقة وهكذا .. ويلاحظ أنه فى ترتيب الأسماء رتبها حسب الحرف الأول منها فقط دون نظر إلى بقية الحروف وجعل لكل اسم بابا كصنيع البخارى ، ولم يراع فى الترتيب أسماء الآباء إلا قليلا ومع ذلك فان الباحث لا يلقى صعوبة فى الكشف فيه ، لأن اسم الراوى يذكر بخط كبير أول السطر ثم يتبعه ببيان حاله كما فى الطبعة الهندية سنة ١٣٢٥م .

٧ ـ معرفة الصحابة : وهو من العلوم التى تناولهـا علماء القرن الثالث الهجرى بالدراسة والتصنيف ، وتعتبر معرفة الصحابة « فنا هاما من أجل فنون علوم الحديث » .

وقد عنى به العلماء ، فى القديم والحـديث ، ولهذا العلم ثمرته العظيمة وهى : معرفة الحديث المتصل والمرسل .

قال الحاكم(١) : ومن تبحر فى معرفة الصـحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جماعة من مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعى عن رسول الله ﷺ يتوهمونه صحابيا ، وربما رووا المسند عن صحابى يتوهمونه تابعيا .

وقد ألفت فى معرفة الصـحابة كتب ، مرتبة على الحروف أو على القبائل وغير ذلك منها :

١ ـ كتاب أبى بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن البرقى الحافظ الثقة المتوفى سنة سبعين ومائتين .

٢ ـ « كتاب المعرفة » لأبى محمد عبـد الله بن محمد بن عيسى المروزى الشافعى الحافظ المعروف بعبدان المتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

٣ ـ معرفة الصحابة لأبى بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن سعيد بن البرقى الحافظ المتوفى سنة سبعين ومائتين .

٤ ـ كما ألف فى معرفة الصـحابة أبو منصور محمد بن سعيـد الباوردى المتوفى سنة احدى وثلاثمائة .

ومن أشـهر الكتب فى معرفة الصـحابة (الاستيعاب فى معـرفة الأصحاب) لابن عبد البر و (أسد الغابة) لابن الأثير و (الاصابة) لابن حجر .

---

(١) علوم الحديث ص ٢٥ .

٣ - « علم الرواة » وهو علم يعرف به تاريخ رواة الحديث ورحلاتهم ومواطنهم ومواليدهم ووفياتهم وكثير من أحوالهم مما له أثر في توهينهم أو تقويتهم ، وأول من عرف عنه الاشتغال بذلك الامام البخاري ، وابن سعد في طبقاته[1] ومن ألف في هذا : أبو الوليد أحمد ابن محمد بن الوليد بن عتبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث الأزرقي المتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وقيل سنة سبع عشرة ومائتين ونقدم هنا كتاب : « التاريخ الكبير » للامام البخاري كنموذج حي ، ومثال صحيح للتصنيف في هذا القرن بالنسبة لعلم الرواة .

التاريخ الكبير

حاول الامام البخاري في هذا الكتاب أن يقدم ما استطاع أن يستوعبه من رواة - الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ومن بعدهم إلى طبقة شيوخه ، وقام بترتيب هذا الكتاب على حروف المعجم مبتدئا الكتاب بمن اسمه « محمد » تيمنا وتكريما للنبي عليه الصلاة والسلام وأعد البخاري في هذا الكتاب لكل اسم بابا ، ورتب أسماء كل باب على حروف المعجم ، كما لاحظ هذا الترتيب كذلك في الحرف الأول من أسماء الآباء ، ولكنه لم يراع ترتيب أبواب الأسماء على حسب حروف المعجم فنذكر باب إبراهيم ثم باب اسماعيل ، ثم باب اسحاق ، ثم باب أيوب ثم باب أشعث وهكذا .

وقد ألف البخاري هذا الكتاب في فجر شبابه ومستهل حياته العملية ، وكان ذلك قبل أن يؤلف الجامع الصحيح - يقول البخاري فلما طعنت في ثماني عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير في المدينة عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة ، وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت أن يطول .

---

(١) تدريب الراوي ص ٥٠٤ ، علوم الحديث ومصطلحه ص ١١٦ .

وكان تأليفه لهذا الكتاب حول مقام الرسول ﷺ ، مما يزيده يمن ويمده بالروحانية ، ولهذا فان الكتاب قد حظى بثقة كاملة من شيوخ وبتقدير عظيم . ويدل تصنيفه هذا الكتاب على سعة علمه ونلاحظ على هذا الكتاب ان الامام البخارى كان يذكر اسم من يترجم له وبعض من روى عنهم وبعض الذين رووا عنه ، وقد يذكر حديثا لأحدهم الا أنه قلما يذكر جرحا وتعديلا . وأرى أن هذا راجع إلى أنه استغنى عن ذلك بما ذكره فى كتابه الضعفاء .

وكان لهذا الكتاب أثره فيما ألف بعده من كتب ، فكان البخارى بحق باعث نهضة القرن الثالث فى تدوين السنة وفى تاريخ الرجال .

ورواة التاريخ الكبير هم :

١ – أبو الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى عنه .

٢ – أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن موسى الغندجانى عنه .

٣ – ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبد الحميد بن عبد الخالق ابن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه(١) .

كتاب التاريخ الصغير

وأما كتاب التاريخ الصغير للامام البخارى فقد اختصر فيه تاريخ النبى ﷺ والمهاجرين والأنصار ، وطبقات التابعين ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم ، وكناهم ومن رغب فى حديثه . والجزء الأول تحدث فيه عن أخبار مهاجرى الحبشة وفى آخره تحدث عن المهاجرين والأنصار الذين حدثوا عن الرسول ﷺ ، وتوفوا فى عهده . كما تحدث على من توفوا فى عهد أبى بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه ، ومن بعده من الخلفاء .

---

(١) التاريخ الكبير للبخارى ، طبع بمطبعة حيدر اباد الدكن بالهند سنة ١٣٦١ هـ .

وأما الجزء الثانى من هـذا الكتاب فابتداه بذكر من مات فى عهد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ثم من بعده إلى أن انتهى من الجزء السادس حيث ذكر الذين ماتوا فى سنة ست وخمسين ومائتين .

وقد جاء هذا الكتاب من رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى قال أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه السرخسى بها قراءة عليه سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال : أخبرنا أبو محمد ابن محمد النيسابورى قال : حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى .

علم معرفة غريب الحديث

وهو علم يعنى ببيـان معانى بعض الكلمات الغامضـة ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليـه أفصح الناس وكان يخاطب الوفود على مختلف ألسنتهم بما يفهمونه ، فلما كانت الفتوحات ، ودخل فى الاسلام كثير من العجم ونشأ جيل تشوب العجمة ألسنتهم خيف على الحديث النبوى أن يستغلق فهمه على بعض النـاس فانبرى جماعة من أتباع التابعين ، فتكلموا فى غريب الحديث أمثـال : مالك بن أنس وسفيان الثورى وأول من صنف فى غريب الحديث أبو عبيـدة معمر بن المثنى التيمى المتوفى سنة ٢١٠هـ وألف فيه من علماء القرن الثالث أيضا : أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ كتاباً كان عمدة فى هذا الفن جمعه فى أربعين سنة ، ثم جاء ابن قتيبة الدينورى ، فنهج منهج أبى عبيد ، وصنف كتابه المشهور . وممن صنف فيه أيضا الامام إبراهيم الحربى المتوفى سنة ٢٨٥هـ ، ويقال أن أول من ألف فيه : أبو عبيد القاسم ابن سلام البغدادى الحافظ كتابه « غريب الحديث والآثار » ولعل من ذهب إلى ذلك يقصد أول من ألف فى غريب الحديث مع الاستقصاء فى الجملة ، وإلا فأول من ألف فيه على الصحيح النضر بن شميل المازنى وكتاب أبى عبيد هذا هو القدوة فى هذا الشأن وقد أفنى فيه عمره حتى

لقد قال فيما يروى عنه : جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة . وألف فى غريب الحديث كذلك أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى وأبو عمر شمر بن حمدويه ، قيل فيه أنه قدر كتاب أبى عبيد مرارا توفى سنة ست وخمسين ومائتين . وكتاب ذيل كتاب ابن قتيبة لأبى محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفى السرقسطى الأندلسى واسم كتابه (الدلائل فى شرح ما أغفله أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث) وفيه قال أبو على القالى : ما أعلم أنه وضع بالأندلس مثل كتاب الدلائل قال ابن الفرضى : ولو قال : ما وضع مثله بالمشرق ما أبعده ، مات ولم يكمله فأتمه أبوه أبو القاسم ، وتوفى أبومحمد سنة اثنتين وثلاثمائة .

كتاب غريب الحديث لابن قتيبة

وكتاب غريب الحديث لابن قتيبة ، حذا فيه حذو أبى عبيد ، ولم يدون فيه شيئا من الأحاديث المودعة فى كتاب أبى عبيد إلا ما دعت إليه حاجة من زيادة أو شرح بيان ، ولهذا كان كتاب ابن قتيبة مثل كتاب أبى عبيد أو أكبر منه .

ويعتبر هذا الكتاب من أوائل ما ألف ابن قتيبة ، وأنه قد ألفه قبل تأليف كتاب تأويل مختلف الحديث وقبل كتاب « الأشربة » والشعر والشعراء وقبل أدب الكاتب « وعيون الأخبار » وذلك لأننا نراه فى هذه الكتب يشير إلى كتاب « غريب الحديث » .

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب النفيسة المفقودة التى لم تقع فى أيدينا وقد ذكر ابن الأثير أن ابن قتيبة قال فى مقدمة كتابه : « وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبى عبيد قد جمع غريب الحديث ، وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحوا مما ذكر فتتبعت ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر »(١) أهـ .

---

(١) مقدمة النهاية لابن الأثير ص ٤ م

علم معرفة علل الحديث

والعلة عبارة عن سبب غامض قادح فى الحديث مع أن الظاهر السلامة منه ، ويتطرق ذلك إلى الاسناد الجامع شروط الصحة ظاهرا .

وقد تطلق العلة على غير مقتضاها ككذب الراوى ، وغفلته ، وسوء حفظه ونحوها من أسباب ضعف الحديث وقد يطلقها بعضهم على مخالفة لا تقدح كارسال ما وصله الثقة الضابط حتى قال : « من الصحيح صحيح معلل كما قيل منه صحيح شاذ »(١) .

أما كيفية ادراك العلة ومعرفتها فهو : تفرد الراوى ومخالفة غيره له مع قرائن تضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن على وهم وقع بارسال فى الموصول أو وقف فى المرفوع أو دخول حديث فى حديث أو غير ذلك بحيث يغلب على ظنه فيحكم بعدم الصحة أو يتردد فيتوقف فيه ، والطريق إلى معرفته : جمع طرق الحديث والنظر فى اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم . والتصنيف على العلل هو جمع الأحاديث المعلة وتدوينها مرتبة ترتيبا موضوعيا مبينا فيها مع كل حديث علته ، وقد يلحق بعض المصنفين هذه الطريقة بطريقة المسانيد فيصنف مسنده معلا وممن صنف فى العلل « الامام على بن المدينى ، والامام أحمد بن حنبل ، والإمام البخارى ، والامام مسلم ، وأبو يحيى بن زكريا بن يحيى الضبى المتوفى سنة ٣٠٧هـ ، والامام الترمذى ونقدم هنا نموذجا للتأليف على العلل .

العلل الكبير للامام الترمذى

سار الإمام الترمذى فى تصنيف العلل على درب الامام البخارى واعتمد عليه وعلى علمه وكتابه ، وكان يروى فيه كثيرا عن البخارى مما يدل على تأثره به وانتفاعه بعلمه . وقد أتقن الامام الترمذى هذا

---

(١) تدريب الراوى ص ١٦١ .

الفن وحذقه كما هو الشأن في كتابه « الجامع » وغيره حتى قال فيه الحافظ الادريسي : صنف الجامع ، والتواريخ والعلل ، تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل في الحفظ . وللترمذي كتابان في العلل :

احدهما : العلل الصغير ، « وهو الكتاب الذي ألحقه بجامعه ، وجعله خاتمة له » .

والثاني هو العلل الكبير ، وهذا هو الكتاب المقصود بقول المحدثين رواه الترمذي في العلل ، ولكن ممايؤسف له ، ان هذا الكتاب غير موجود بأيدينا ، فهو من الكتب المفقودة ، ولعله يكون مخطوطا ضمن مخطوطات خزانات الكتب الأجنبية أو اندثر ضمن ما اندثر من تراثنا العزيز تحت غبار السنين والقرون .

وهذا هو ما دعا البعض أن يقول : انهما كتاب واحد .

وأرى ان كتاب العلل الكبير ، غير كتاب العلل الصغير ، لما روى من الأحاديث عن (العلل الكبير) وهي غير موجودة في العلل الصغير .

ومثال ذلك ما رواه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمر عن أخته حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ : (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) وقد أعل الترمذي وأحمد والنسائي هذا الحديث لمخالفة عبد الله بن أبي بكر بن عمر بن حزم الذي تفرد به من هم أكبر منه قدرا كابن عيينة ويونس الايلي وغيرهما ممن رووه موقوفا على حفصة ، ولما رواه نافع في رواية مالك موقوفا على ابن عمر ، كما ظهرت بعض القرائن في ذلك وهي كثرة الاختلاف في سند الحديث حتى رجحوا رواية الوقف على رواية عبد الله بن ابي بكر قال الترمذي في العلل : (وهو خطأ ، وهو حديث فيه اضطراب ، والصحيح عن ابن عمر موقوفا) .

المشـــيخات

ومن الأنواع التى صنفت فى القرن الثالث كذلك « كتب المشيخات » وهى التى تشتمل على ذكر الشـــيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم ، وأجازوه وإن لم يلقهم .

كمشيخة الحافظ أبى يعلى الخليلى ، ومشيخة أبى يوسف يعقوب ابن سفيان بن حيان ، المتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين ومشيخته فى ستة أجزاء مرتبة على البلاد .

الطبقـــات

ومن الأنواع التى صنفت فى هذا القرن أيضـــا « كتب الطبقات » وهى التى تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ، ورواياتهم طبقة بعد طبقة ، وعصرا بعد عصر إلى زمن المؤلف . وتقدم الحديث عن طبقات ابن سعد الكبـــرى . وممن ألف كذلك فى هذا القرن الثالث أبو عمرو خليفة بن خياط ابن خليفة الشيبانى العصفرى البصرى الحافظ أحد شيوخ البخارى ألف « طبقات الرواة » وتوفى سنة ثلاثين ، وقيل : سنة أربعين أو ست وأربعين ومائتين .

---

(١) رواه ابو داود جـ ٢ ص ٣٢٩ ، والنسائى جـ ١ ص ٢٢٠ ، والترمذى جـ ١ ص ١٤١ ، وابن ماجه جـ ١ ص ٥٢٠ .

البحث الثانى
مصنفات موائمة لنهضة التدوين
فى القرن الثالث الهجرى

أقدم فى هذا البحث المصنفات التى صنفت ، قبل الأئمة الستة ، وفى زمنهم وبعدهم ، تلك المصنفات التى وافقت نهضة التدوين فى القرن الثالث الهجرى وكانت لها مناهج بعضها يعتبر متفرعا من مناهج التدوين الأساسية ، التى سبق ذكرها فى الباب الثانى . وقد أدلى بعض الأئمة الستة بدلوه فى مجال هذه المصنفات .

وفى بحثنا هذا أريد أن أبرز هذه المناهج التى قامت تلك المصنفات على أساسها ، مشيرا إلى ما كان موجودا منها فى القرن الثالث وهى :

الأجــزاء

يطلق الجزء عند علماء الحديث على تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم ، وقد يختارون من المطالب المذكورة فى صفة الجامع مطلبا جزئيا يصنفون فيه مبسوطا ، وفرائد حديثية ووحدانيات وثنائيات[1] كما صنف أبو بكر بن أبى الدنيا فى باب النية وذم الدنيا كتابين مبسوطين .

معنى الجامع :

ومعنى « الجامع » الذى قد يختار مؤلفوا الأجزاء أحد مطالبه ، فهو فى اصطلاح المحدثين[2] ما وجد فيه جميع أقسام الحديث مثل أحاديث العقائد ، وأحاديث الأحكام ، وأحاديث الرقاق وأحاديث آداب الأكل والشرب وأحاديث السفر والقيام والقعود والأحاديث

---

(١) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ٨٦ ط بيروت .
(٢) مقدمة تحفة الأحوذى جـ ١ ص ٦٤ .

المتعلقة بالتفسير والتاريخ والسيرة وأحاديث الفتن وأحاديث المناقب والمثالب وقد صنف أهل العلم بالحديث فى كل من هذه الفنون الثمانية تصانيف مفردة .

ومن ألف على طريقة الأجزاء فى القرن الثالث الهجرى :

١ — أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس ابن مالك الأنصارى البصرى القاضى الثقة شيخ البخارى ، توفى سنة خمس عشرة ومائتين ، ويعتبر جزؤه من الأجزاء العالية الشهيرة .

٢ — أبو الحسن على بن الجعد بن عبيد الهاشمى مولاهم الجوهرى المتوفى سنة اثنين وثلاثين ومائتين ، وله الأجزاء الجعديات وهى إثنا عشر جزءا .

٣ — جزء لؤين محمد بن سليمان بن حبيب المصيصى المتوفى سنة خمس أو ست وأربعين ومائتين .

٤ — جزء أبى بكر أحمد بن عبدالله بن سويد بن منجوف السدوسى ويعرف بالمنجوفى نسبة إلى جده المذكور ، وهو من مشايخ البخارى فى الصحيح توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين .

٥ — جزء أبى الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى البغدادى المعمر المتوفى سنة سبع وخمسين ومائتين وقد جاوز المائة .

٦ — وجزء أبى مســعود أحمد بن الفرات بن خالد الرازى نزيل أصبهان ومحدثها ، وصاحب التصانيف ، الحافظ الثقة ، توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين ، قال الذهبى : وجزؤه من أعلى ما يروى اليوم ، ونقل عنه أنه قال : كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ ، وكتبت ألف ألف حديث وخمسمائة فعملت من ذلك فى تأليفى خمسمائة ألف حديث .

٧ — وكتب فى الفوائد «مثل فوائد أبى بشر إسماعيل بن عبد الله ابن مسعود العبدى الأصبهانى الثقة [illegible] فى ثلاثة أجزاء

قال الذهبي : ومن تأمل فوائده المروية علم اعتناءه بهذا الشأن ، توفى سنة سبع وستين ومائتين .

٨ ـ وجزء القناعة لأبي العباس أحمد بن محمد بن مسروق المتوفى سنة تسع وتسعين ومائتين .

٩ ـ « فوائد » أبي محمد عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد العسكري نسبة إلى عسكر الأهوازي الجواليقي المعروف بعبدان المتوفى سنة ست وثلاثمائة .

المستخرجات

ومنهج التصنيف على المستخرجات أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ، وربما أسقط صاحب المستخرج أحاديث من الكتاب الذي يستخرج أحاديثه لأنه لم يجد له بها سندا يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق الكتاب الأصلي .

وممن ألف على هذه الطريقة من علماء القرن الثالث :

١ ـ الحافظ أبو بكر محمد بن رجاء النيسابوري الاسفراييني المتوفى سنة ست وثمانين ومائتين .

٢ ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري البزار ، قال الذهبي : له مستخرج كهيئة صحيح مسلم توفى سنة ست وثمانين ومائتين .

٣ ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن حمدان بن علي بن عبد الله بن سنان الحيري نسبة إلى الحيرة محلة كبيرة مشهورة بنيسابور توفى سنة احدى عشرة وثلاثمائة .

٤ ـ مستخرج أبي بكر بن منجويه وأبي على الحسن بن على بن نصر الخراساني الطوسي شيخ أبي حاتم الرازي توفى سنة اثنتي عشرة

وثلاثمائة ، كل منهما على الترمذى وقد شارك الثانى منهما الترمذى فى كثير من شيوخه .

الشمائل

ومن طرق التصنيف فى القرن الثالث طريقة تدوين الأحاديث النبوية الخاصة بالشمائل النبوية والسير المصطفوية ويقوم التأليف فى هذه الطريقة على وصف رسول الله ﷺ وهو جانب هام وكريم من جوانب السنة النبوية ، ومعلوم أن الحديث هو ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة وهذا الأخير هو صفة رسول الله ﷺ وهو المقصود بالتصنيف على هذه الطريقة . ولاشك أن هذا الجانب من السنة يهتدى به عشاق الحضرة ومحبو السنة النبوية ، الذين رأوا فى صاحبها سعادة دنياهم وأخراهم ، فساروا على مبادئه وفضائله ، وتعللوا بذكر الحبيب وشمائله ، قال الشيخ محمد بن محمد الجزرى .

أخلاى إن شط الحبيب وربعه   وعز تلاقيه ونات منازله
وفاتكم أن تبصروه بعينكم   فما فاتكم بالعين هذى شمائله

ومن ألف فى الشمائل من علماء القرن الثالث :

١ - أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى المصرى الذى هذب السيرة لمحمد بن اسحاق ، فصارت تنسب إليه ، رواها عن زياد بن عبد الله البكائى عنه ، توفى سنة ثمان عشرة ومائتين .

٢ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عائذ القرشى الدمشقى الحافظ الثقة توفى سنة ثلاث أو أربع وثلاثين ومائتين .

٣ - المغازى لأبى أيوب يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموى الكوفى نزيل بغداد الملقب بالجمل توفى سنة أربع وتسعين ومائتين .

ومن أهم ما ألف فى هذا النوع .

كتاب الشمائل للامام الترمذى

وكتاب الشمائل للامام الترمذى من الكتب العظيمة القدر فى هذا الجانب وقد تلقاه العلماء بثناء عاطر وقابلوه بتقدير عظيم ، قال الشيخ إبراهيم الباجورى(١) إن كتاب الشمائل للامام الترمذى كتاب وحيد فى بابه فريد فى ترتيبه واستيعابه حتى عد ذلك من المواهب وسار فى المشارق والمغارب .

واشتمل كتاب الشمائل على ستة وخمسين بابا ، وضع لكل باب عنوانه المناسب وقام بترتيب الأبواب ، متدرجا من جانب إلى آخر ، فابتدأه بما جاء فى خلق الرسول صلوات الله وسلامه عليه متناولا بيان صفاته البدنية الشريفة ، ثم مظهره العام ، ثم الملبس .. ثم ما يتعلق بحياته اليومية وعاداته الشخصية ثم ما كان عليه من الخلق العظيم ، وهكذا سارت طريقة الكتاب فى هذا التسلسل المنطقى السليم حتى جاء إلى باب ما جاء فى وفاته ﷺ ثم ميراثه ، ثم رؤيته ﷺ فى المنام .

وكان يروى الأحاديث الخاصة بكل موضوع فى بابها المناسب الذى أعده لها ولم يتكلم الامام الترمذى على الأحاديث من ناحية تصحيحها أو تضعيفها .

درجة أحاديثه :

أما عن درجة أحاديث الكتاب فقد حاول الامام أبو عيسى أن يروى أصح الأحاديث وأحسنها فى هذا الموضوع ولكنه لم يشترط تخريج الحديث الصحيح فحسب ، ولا بيان درجة كل حديث .

مثال ما جاء فى الكتاب :

(حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه سمعه يقول(كان

---

(١) الرسالة المستطرفة للكتانى ، الترمذى للدكتور نور الدين عتر .

رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق أى شديد البياض ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط (المسترسل) بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة ، وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) ولعل المراد بالعشر سنوات فى مكة من ابتداء الجهر بالدعوة وهذا الحديث من أول الكتاب ورواته ثقات .

كتب مفردة فى أبواب مخصوصة

ومن علماء القرن الثالث من ألف فى كتب مفردة فى أبواب مخصوصة كالطهور والصلاة وهكذا . وممن ألف فى ذلك :

١ — أبو نعيم الفضل بن دكين الكوفى مولاهم الحافظ توفى سنة ثمان عشرة أو تسع عشرة ومائتين وهو من كبار شيوخ البخارى ألف كتاب « الصلاة » .

٢ — وممن ألف فى كتب مفردة فى أبواب مخصوصة أيضا : أبوعبيدة القاسم بن سلام كان أبوه عبدا روميا لرجل من أهل هراة ، البغدادى اللغوى الشافعى الحافظ ألف « الطهور » توفى بمكة وقيل بالمدينة سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وعشرين ومائتين .

٣ — أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعى نزيل مصر أول من جمع المسند . ألف « الفتن والملاحم » توفى سنة ثمان وعشرين ومائتين .

٤ — أبو خيثمة زهير بن حرب بن شداد الحربى النسائى البغدادى الحافظ ألف كتاب « العلم » روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث ، توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين .

٥ — أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله [illegible] الأزدى المعروف بابن [illegible] ، وهو لقب أبيه توفى سنة ثمان وأربعين ، وكتابه

كالمستخرج على كتاب « الأموال » لأبى عبيد ، وشاركه فى بعض شيوخه وزاد عليه زيادات .

٦ — ومن الكتب المؤلفة فى هذا النوع : « كتاب الايمان » لأحمد ابن حنبل ولأبى بكر ابن أبى شيبة ، ولأبى الفرج عبد الرحمن بن عمر ابن يزيد بن كثير الزهرى الأصبهانى الحافظ الملقب برسته توفى سنة خمسين أو ست وأربعين ومائتين .

٧ — كتاب (الاخلاص) لأبى بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس المعروف بابن أبى الدنيا الأموى مولاهم البغدادى توفى سنة احدى وثمانين ومائتين .

٨ — كتاب (سجدات القرآن) لأبى اسحاق إبراهيم بن اسحاق ابن بشير الحربى البغدادى الشـافعى ، وله مصنفات كثيرة ، توفى ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين .

٩ — كتاب (الصلاة) لأبى عبد الله محمد بن نصر المروزى ، توفى بسمرقند سنة أربع وتسعين ومائتين .

١٠ — كتاب (التهجد) لابن أبى الدنيا ، « وكتاب العيدين » له أيضا ولأبى بكر جعفر بن محمد بن الحسـن الفريابى نسبة إلى بلد بالترك يقال لها « فرياب » توفى ببغداد سنة احدى وثلاثمائة .

أحاديث بعض شـيوخ مخصـوصين من المكثـرين

ومن الكتب التى ألفت فى هذا القرن أيضا ، كتب دون فيها مصنفوها أحاديث شيوخ مخصوصين من المكثرين ومن هذه الكتب :

١ — « أحاديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى » لأبى عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلى ، توفى سنة ثمان ، وقيل سنة سبع وخمسين ومائتين وهى المسماة (بالزهريات)

فى مجلدين ، جمع فيها حديث ابن شهاب الزهرى وجوده وكان قد اعتنى به ، ونقب عليه ، وكان من أعلم الناس بحديثه .

٢ ــ وممن ألف فى هذا النــوع أيضا : أبو بكر محمــد بن مهران النيسابورى المعروف بالاسماعيلى جمع حديث الزهرى وجوده ، كما جمع حديث مالك وجوده ، وحديث يحيى ابن سعيد وحديث عبد الله بن دينار ، وحديث موسى بن عقبة ، توفى سنة خمس وتسعين ومائتين .

كتب السـنة

ومن أنواع المصنفات فى القرن الثــالث كذلك : كتب تعرف بكتب السـنة ، وهى الكتب الحاضة على إتباع السـنة والعمل بها ، وترك ما حدث بعد الصدر الأول وما بعد ذلك من البدع والأهواء ، منها كتاب « السنة » للامام أحمد بن حنبل ، ولأبى داود كتاب أيضا فى هذا النوع ومنها كذلك :

١ ــ كتاب « الاســتقامة فى الرد على أهل البدع » لأبى عاصم خشيش بن أصرم النسائى الحافظ ، توفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

٢ ــ كتاب « السنة » لأبى على حنبل بن اسحاق بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيبانى الحافظ ابن عم الامام أحمد ، وتلميذه ، توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

٣ ــ كتاب أبى بكر أحمد بن عمرو بن النبيل (أبى عاصم) الضحاك ابن مخلد الشيبانى البصرى قاضى أصبهان ، توفى سنة سبع وثمانين ومائتين .

٤ ــ ولأبى بكر أحمد بن هارون البغدادى الحنبلى المعروف بالخلال مؤلف علم أحمد بن احنبل وجامعه ومرتبه ، توفى سـنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وهو فى ثلاثة مجلدات وله أيضـا كتاب (العلل) وهو فى عدة مجلدات وغيره من التصانيف .

الكتب المفردة

في الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب والفضائل ونحوها

ومن الكتب المؤلفة في هذا النوع :

١ - « كتاب الزهد » لأبي السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي الحافظ المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

٢ - « كتاب أخبار المدينة » لأبي عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله ابن مصعب ابن ثابت القرشي الأسدي المدني القاضي المتوفى سنة ست وخمسين ومائتين .

٣ - وكتاب أبي زيد عمر بن شبة ، واسمه زيد و (شبه) لقبه ، ابن زيد النميري ، نزيل مصر ، وصاحب تاريخ مصر المتوفى سنة اثنتين أو ثلاث وستين ومائتين .

٤ - كتاب « فضائل القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى المعروف بابن (الضريس) المتوفى بالري سنة أربع وتسعين ومائتين .

٥ - « نوادر الأصول في أحاديث الرسول » ﷺ وهي ثلاثمائة حديث أصل إلا تسعة لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الملقب بالحكيم الترمذي الصوفي ، وله مختصر قدر ثلثه ، توفي ببلخ سنة خمس وتسعين ومائتين .

٦ - « المجالسة وجواهر العلم » لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري نسبة إلى « دينور » بلد بين الموصل وأذربيجان ، جمع في كتابه علوما كثيرة من التفسير ، والأحاديث والآثار ، وغير ذلك ، توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين .

٧ - « فضائل المدينة » و « فضائل مكة » كلاهما لأبي سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي نسبة إلى « الجند » بلدة باليمن ، توفي سنة ثلاثمائة(١) .

٨ - « الأدب المفرد » للامام البخاري .

وهناك سوى هذه الكتب ، فقد أبان عن ذلك ولي الله الدهلوي بقوله « والطبقة الثالثة مسانيد وجوامع ومصنفات صنفت قبل البخاري ومسلم ، وفي زمانهما ، وبعدهما جمعت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والغريب والشاذ والمنكر والخطأ والصواب والثابت والمقلوب ولم تشتهر في العلماء ذلك الاشتهار ، وإن زال عنها اسم النكارة المطلقة ولم يتداول ما تفردت به الفقهاء كثير تداول ، ولم يفحص عن صحتها وسقمها المحدثون كثير فحص .. ثم قال : فهي باقية على استتارها واختفائها(٢) أهـ . فدرجة تلك الكتب إذاً ، تأتي في الرتبة بعد الكتب الستة ولنتحدث عن واحد من هذه الكتب وهو كتاب « الأدب المفرد » للامام البخاري .

كتـــاب الأدب المفـــرد
للامام البخاري

دون الامام البخاري في كتابه الأدب المفرد مجموعة من السنة النبوية التي تدعو إلى حسن الخلق وحسن المعاملة ، و « الأدب » هو استعمال ما يحمد قولا وفعلا ، وعبر البعض عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق ، وقيل : هو الوقوف مع المستحسنات ، وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك ، وقيل : أنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام سمي

---

(١) الرسالة المستطرفة ص ٥٠ .

(٢) حجة الله البالغة ج ١ ص ٥٧ .

بذلك لأنه يدعى إليه أهـ . وكل الآراء ما عدا الأخير تتفق في معنى أنه الأخذ بمكارم الاخلاق ، وهو المراد بتسمية هذا الكتاب .

« والمفرد » يراد : المفرد عن الجامع الصحيح ، إذ أنه اشتمل على احاديث زائدة على ما في الصحيح ومنه قليل من الآثار الموقوفة وهو كثير الفائدة كما قرر الحافظ ابن حجر .

وروى كتاب « الأدب المفرد » عن الامام البخارى : أبو الخير أحمد ابن محمد بن الجليل البزار[1] . وقد جاء كتاب الأدب المفرد للبخارى جيد التصنيف وافيا في بابه فطابق اسمه مسماه .

وقد ابتدأ الامام البخارى هذا الكتاب بعد البسملة بباب قوله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد ابن الحسن بن حامد بن هارون بن عبد الجبار البخارى المعروف بابن النيازكى قرأه عليه فاقر به ، قدم علينا حاجا في صفر سنة سبعين وثلاثمائة قال : أخبرنا أبو الخير أحمد بن محمد بن الجليل بن خالد حريث البخارى الكرمانى البزار سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفى البخارى قال : حدثنا أبو الوليد قال : حدثنا شعبة قال الوليد أو أخبرنى قال سمعت أبا عمر الشيبانى يقول : حدثنا صاحب هذه الدار وأومأ بيده إلى دار عبد الله قال : سألت النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت ثم أى قال : بر الوالدين قلت ثم أى ؟ قال : ثم الجهاد في سبيل الله ، قال : حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى .

كما ذكر (باب بر الأم) حدثنا أبو عاصم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت : يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمك قلت : ثم من

(١) هدى السارى ص ٤٩٣ .

أبر ؟ قال أمك ، قلت : من أبر؟ قال : أمك ، قلت من أبر ؟ قال : أباك ثم الأقرب فالأقرب .

وذكر (باب بر الأب) حدثنا سليمان بن حرب قال : حدثنا وهيب ابن خالد بن شبرمة قال : سمعت أبا زرعة عن أبى هريرة قال : قيل يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمك ، قال ثم من قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك : ثم من ؟ قال أباك .

وذكر « باب بر الوالدين وإن ظلما » « وباب لين الكلام لوالديه » « وباب حب الوالدين » « وباب عقوق الوالدين » « وباب لعن الله من لعن والديه » « وباب بر والديه ما لم يكن معصية » وهكذا ، وآخر الكتاب باب « أحبب حبيبك هونا ما » « وباب لا يكن بغضك تلفا » .

وبهذا نكون قد كشفنا القناع عن حقائق هامة فى تاريخ تدوين السنة ، وعن كنــوز ثمينة من تراثنا الاســلامى العظيم ، بعضــها استطعت الحصول عليه فقدمت عنه من الدراسة ما وفقنى الله إليه ، ومانتحمله طاقة هذا الكتاب وبعضها الآخر غيرموجود بأيدينا منه المخطوط فى خزانات المكتبات الأجنبية ومنه المفقود ، ولعلى بهذا أكون قد قدمت دراسة مخلصة وأمينة عن جهود أئمة القرن الثالث ، ومهدت طريق البحث لمحبى السنة النبوية وعشاق المعرفة ، حتى ننفض عن تراثنا الخالد غبار عهود طويلة .

الرد على مطاعن بعض المستشرقين واتباعهم

١ — يقول المستشرق المجرى جولد تسيهر : « ان القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والســياسى والاجتماعى للاسلام فى القرنين : الأول ، والثانى ، وأنه ليس صحيحا ما يقال من

أنه وثيقة للاسلام فى عهده الأول عهد الطفولة ، ولكنه أثر من آثار جهود الاسلام فى عصر النضوج »(1) .

الرد على ذلك : وهذه الدعوى الزائفة تنهار أمام أدلة النقل من الكتاب والسنة وأمام المنطق العقلى السليم فان رسول الله ﷺ لم يلحق بالرفيق الأعلى إلا بعد كمال الدين وتمام نعمة الاسلام ومن أواخر ما نزل عليه : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »(2) .

وقال ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » .

وقد تضاربت المقاييس الثابتة والمناهج الدقيقة التى لم تتوفر لأى ثقافة أخرى ولم تعرف الدنيـا أدق من هذه الموازين العلميـة التى وضعت لقبول الرواية أو ردها . على هذا الأساس تلقى الخلف عن السلف سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام حتى وصلت إلينا صحيحة ثابتة .

وأما زعم هذا المستشرق أن أغلب الأحاديث من وضع المسـلمين نتيجة للتطور — فهو كذب وافتراء يدحضـه ويرده ما ثبت بالواقع والتاريخ من الأحاديث الصحيحة الوافـرة التى نقلت عن النبى ﷺ وحفظها الصحابة وأخذها عنهم ثقات الرواة طبقة بعد طبقة وعصرا بعد عصر حتى وصلت إلينا نقية سليمة وتلقاها الأئمة على مر العصور بجهاد مشكور فنفوا كل كذب وبالغوا فى التثبت والحيطة وسطروها على صفحات قلوبهم الواعية وصدورهم الأمينة ، ودونوها فى صحفهم

(1) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ص ١٢٧ عن كتاب : دراسات اسلامية لجولد تسهير .
(2) سورة المائدة آية ٣ .

وكتبهم الصحيحة التى التزموا فيها بنقد السند والمتن مستجيبين لنبيهم عليه الصلاة والسلام الذى أمرهم بالصدق والمحافظة على حديثه الشريف •

وكما سبق فى بيان حجية السنة يتضح ثبوت الحديث الشريف ، وفساد هذه الدعاوى الزائفة ، وهكذا تنهار هذه الدعوى الباطلة التى لا أساس لها من الصحة •

٢ — وهناك دعوى أخرى تحمل قاعدة خطيرة خلاصتها : أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلى ، يقول جولد تسيهر ، قد شعر المسلمون فى القرن الثانى بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع إلى الشكل فقط ، وانه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة ، وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث : « سيكثر الحديث عنى فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله فما وافقه فهو منى قلت أو لم أقله » هذا هو المبدأ الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع أ.هـ

والرد على هذه الفرية : انه لم ينقل عن أحد من المسلمين أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلى أو أن من بين الأحاديث الجيدة الاسناد الكثير من الأحاديث الموضوعة وإنما كل ما نقل عنهم هو ما رآه البعض بالنسبة لأحاديث الآحاد من أنها تفيد الظن كما سبق بيان ذلك ، وهذا مبالغة فى الحيطة والتثبت •

وأما ما ادعاه هذا المستشرق فى تدعيم دعواه من حديث : « سيكثر الحديث بعدى •• إلخ » فقد نقد الأئمة هذا الحديث ، وبينوا أنه موضوع فكيف ينهض دليلا على القاعدة الخطيرة التى وضعها هذا المغرور ؟ وقد قام المحدثون بمناهجهم وشروطهم التى ميزوا بها بين الصحيح وغيره وبين الصالحين للرواية وغير الصالحين كما ردوا بعض

الأحاديث التي لم تنطبق على رواتها شروطهم ، وردوا بعض أحاديث الصالحين « ولم يكتفوا في الرواة بالصلاح وحسن السيرة حتى يجمعوا إلى ذلك الحفظ والضبط واليقظة التامة »(١) .

وقال الامام مالك : « لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله ﷺ ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به »(٢) .

فهم يشترطون فيمن يأخذون عنهم ألا يكون الواحد منهم سفيها به حمق ، وعدم اتزان ، أو يكون عابدا ولكنه لا يزن الأمور بدقة ، ولا صاحب بدعة يدعو إليها ، هذا مع الضبط والفهم .

٣ — وهناك طعن آخر ، وهو ما زعمه هذا المستشرق من أن السنة منقولة عن الأمم الأخرى ، قال جولد تسيهر : « هناك جمل اخذت من العهد القديم والعهد الجديد وأقوال الربانيين أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة ، وتعاليم من الفلسفة اليونانية وأقوال من حكم الفرس والهنود — كل ذلك أخذ مكانه في الاسلام عن طريق الحديث »(٣) أه .

الرد على ذلك :

في هذه الشبهة يورد المستشرق أن الاسلام أخذ من اليهودية والنصرانية والفلسفات الأخرى ، وكيف يتأتى هذا والمسافة الزمنية بعيدة جدا بين الاسلام وغيره من الأديان السابقة ؟ والرسول أمي

(١) الحديث والمحدثون الدكتور محمد أبو زهو ص ٢١٢ .
(٢) مالك حياته وعصره : الأستاذ محمد أبو زهرة .
(٣) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٥١ .

لم يتل كتابا من قبل ولا خط بيمينه قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون »(١) ٠

نعم توجد أشياء من أخبار الرسل السابقين فى الكتاب والسنة ، وهناك تشابه بين الاسلام وغيره فى بعض الأمور ، ولكن ليس معنى هذا أن الاسلام أخذ عن السابقين أو قلد سواه ، وإنما ذكرت أخبار الرسل لأنهم إخوة اتحدوا فى الهدف وهو التبليغ عن الله الواحد وبعضهم يصدق بعضا ٠

وقد وجدت محاولات عديدة لتسلل الاسرائيليات وغيرها إلى الاسلام ولكن العلماء المجاهدين ، الذين سهروا للدفاع عنه ، ورابطوا حول أصوله حالوا دون هوى المغرضين ٠ وكيف يتصور أن الاسلام نقل عن غيره وهو الدين الشامل الكامل الذى اشتمل على ما لم يشتمل عليه ما سبقه ؟ ٠

وأن الناظر إلى صحف اليهود الآن لا يرى فيها شيئا عن الجنة والنار ولا الدار الآخرة فكيف يأخذ منها ؟ ٠

وواضح مما سبق بيانه من جهود المسلمين سلفا وخلفا أن السنة النبوية حفظت من كل دخيل وموضوع كيف لا وهى المبينة للقرآن الكريم الذى تكفل الله تعالى بحفظه ٠

نتائج هذا الباب

وأستطيع أن أخلص من هذا الباب ببعض النتائج الهامة عن دراسة السنة النبوية رواية ودراية فى القرن الثالث الهجرى الذى اتسم بأنه العصر الذهبى لتدوين الحديث من أجلها ٠

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٨ ، ٤٩ ٠

أولا : من ناحية رواية الحديث :

١ — بلغت الرواية الشفاهية فى هذا القرن منتهاها حتى كان الامام الحافظ من أئمة هذا القرن يحفظ الآلاف من الحديث الصحيح والبعض كان يجمع فى حفظه بين الصحيح وغير الصحيح وهذا منتهى الحيطة والتمييز ، وكان من أئمة هذا الشـأن أمير المؤمنـين فى الحديث أبو عبدالله البخارى الذى قال : « أحفظ مائة الف حديث صحيح ، ومائتى حديث غير صحيح ، وكان حفظهم للأحاديث حفظ المتقن المتثبت كما يقول أبو زرعة : « أحفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الانسان قل هو الله أحد »(١) بل انه بلغت درجة الاتقان فى الحفظ بحيث يملى الامام منهم الأحاديث ثم يقرؤها على من معه فلا يزيد حرفا ولاينقص حرفا يقول أبو داود والخفاف : « أملى علينا اسحاق بن راهويه أحد عشر الف حديث ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا »(٢) .

٢ — وصل أئمة الحديث فى التصنيف إلى أسمى درجات الضبط والاتقان فى مناهجهم المختلفة فمنهم من تخصص لتدوين أكبر عدد من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه فجمعها على طريقة المسانيد ومنهم من خدم الفقه الاسـلامى فقام بتبويب الأحاديث وتصنيفها حسب الأبواب الفقهيـة كما كان من بين مصنفات هذا القرن كتب خصصها أصحابها فى نوع خاص من السنة كالأجزاء والعلل والشمائل والكتب المفردة فى أبواب مخصوصة وما التزم أصحابها فيها الصحة وأحاديث بعض الشيوخ المكثـرين والكتب الحاضة على اتباع السنة والكتب المفردة فى الآداب والأخلاق .

ثانيا : من ناحية علم دراية :

١ — ابتدأ تدوين مسائل هذا العلم فى أبواب ، وفى بعض أنواع منه أثناء هذا القرن وأول من ألف فيـه هو الامام على بن المدينى ،

---

(١) مقدمة تحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٧٦ .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ٤٣٤ .

ثم كانت مسائل هذا العلم مبثوثة فيما كتبه البخارى ومسلم ، نعم نشأت أصول هذا العلم قبل ذلك مع نشأة الحديث ، إذ كانوا يتثبتون وينقدون وازداد هذا الحرص منذ وقوع الفتن ، وقالوا سموا لنا رجالكم ، وكتب الامام الشافعى بعد ذلك بعض المسائل فى كتابيه : « الرسالة والأم » وكانت كلها بوادر لهذا العلم أو نواة لأصوله ، أما فى القرن الثالث فقد جمعت بعض هذ المسائل وكان أول من أشاعها وجمعها الامام الترمذى فى خاتمة جامعه فلما كان القرن الرابع ونضجت العلوم ألف القاضى الرامهرمزى ، وتتابع التصنيف بعد ذلك .

٢ ــ وقد اضطلع علماء هذا القرن فى هذا الفن بمصنفات نفيسة فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب وتواريخ الرجال وأحوالهم والمشيخات والطبقات . وعلل الحديث ورواية الأكابر عن الاصاغر والآباء عن الأبناء وكتب فى الضعفاء والمجروحين من الرواة وفى الثقات منهم وكتب فى بيان غريب الحديث ، وفى معرفة الصحابة وهكذا .

ثالثا : من ناحية أئمة الحديث :

وأما عن أئمة الحديث فقد اتسموا بسمات عظيمة ورائعة جعلتهم درة فى جبين الدهر وشموسا خالدة الاشعاع بمصنفاتهم الحديثية العظيمة وكانت هذه السمات بعضها فطرى وبعضها مكتسب .

١ ــ أما السمات الفطرية فقد منحهم الله حوافظ قوية ، وصدورا أمينة فسطروا على صفحات قلوبهم المشرقة بالايمان سنة رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ، فما نسوا ولا جهلوا بل سلموا السنة إلى من بعدهم من أهل القرن الرابع نقية بيضاء .

٢ ــ وأما السمات المكتسبة :

(أ) فمنها أنهم أخذوا أنفسهم بالجهاد والورع ورياضة النفس حتى جمعوا بين العلم والعمل .

(ب) وكانت همهم فى تدوين الحديث النبوى وحبهم لرسولهم صلوات الله وسلامه عليه ناشئا معهم منذ صغرهم فترعرعت نفوسهم على حب السنة وعاشوا حياتهم من أجلها رواية وكتابة ومذاكرة .

(ج) وكانت لهم رحلاتهم العلمية التى استهدفوا منها جمع ما فى الأقطار الاسلامية الأخرى من الأحاديث فلم يكتفوا بأخذ العلم من علماء قطرهم فحسب بل كانت الرحلة أهم مطالبهم ، وكان منهم من يشد رحاله إلى البلاد النائية سيرا على قدميه ومنهم من ابتدأ رحلته وهو ابن خمس عشرة سنة أو ابن عشرين كأبى يعلى الموصلى الحافظ المتوفى سنة ٣٠٧هـ(١) ومنهم من استمر فى رحلته سنين طويلة .

وهكذا كان القرن الثالث الهجرى أزهى العصور فى تدوين السنة النبوية بأئمته ومصنفاته التى جمعت كل مصنفات ومرويات الأئمة السابقين ، فكان بحق أعظم العصور فى التحصيل والتدوين بأنواعه المختلفة وأغراضه المتنوعة .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٠٨ .

أثر علمـــاء القرن الثـــالث
في العصور التالية

كان القرن الثالث الهجرى أزهى عصور السنة ، ظهر فيه الأئمة الأفذاذ من حفاظ الحديث النبوى وظهرت الكتب الستة التى استوعبت معظم الحديث الصحيح وعنى فيه العلماء بدراسة الاسناد وتاريخ الرجال والتمييز بين الصحيح وغيره ، وكان تدوينهم للحديث يعتمد على الرواية الشفاهية اعتمادا كبيرا ، واذا قاموا برحلاتهم الطويلة للقاء الشـــيوخ والأخذ عنهم ، ولم يعولوا على الكتب إلا إذا نقلوا أحاديث تلك الكتب بطريق السماع من مؤلفيهـــا ، وتميز هذا القرن الثـــالث بأنه الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الســـنة النبوية وحفاظها .

وبمقابلة مناهج التصنيف فى القرن الثـــالث ومقارنتها بما بعدها نستطيع أن نستبين أثرها فى مناهج التصنيف بعد ذلك .

وقد أطل القرن الرابع الهجرى ، والدولة فى تقهقر سياسى خطير إلا أنه لم يمس الحالة العلمية ، بل استمرت على ازدهارها ونموها ، ولاسيما فى عهد السلجوقيين بالمشرق ، وعهد الدولة الفاطمية بمصر ، ونبغ فيها كبار العلماء وأساطين المفكرين(١) .

واستمرت النهضة الفكرية قائمة على قدم وساق ولم يزل العلماء يجوبون البلاد الاسلامية برحلاتهم العلمية من قطر إلى قطر ، ويروى بعضهم عن بعض ، ويقومون بعرض الكتب والمرويات على شـــيوخهم حتى سنة ٣٩٥هـ(٢) حيث توفى أبو عبـــد الله محمد ابن اسحاق بن

---

(١) تاريخ التشريع الاسلامى للشيخ محمد الخضرى ص ٢٧٨ .

(٢) الحضارة الاســلاميــة فى القرن الرابع الهجرى : آدم متز ، ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده جـ ١ ص ٢٢٥ ، الرسالة المستطرفة ص ٣٨ .

محمد بن يحيى بن منـده الذى يعتبر خاتمة الرحالين الذين رحلوا لسماع الحديث ، وبرع علماء هـذا القرن فى نقد الرجال وتمحيص المرويات ، وكانت لهم مصنفات نفيسـة فى علل الحديث ، وتاريخ الرواة ، وعلوم الحديث عامة ، الا إن أنهم رغم ذلك كله لم يصلوا إلى ما وصل إليه المتقدمون ، بل كانوا ينسجون على منوالهم .

منهج التدوين فى القرن الرابع

معلوم كما سبق أن مصنفات القرنين : الثانى والثالث تميزت بدقة التدوين والجمع ولم تدع الكتب الستة من الصحيح سوى القليل حتى جاء القرن الرابع الهجرى فوجد علماء هذا القرن من كتب الحديث التى جمعت فى القرن الثالث الهجرى موضوعا لبحثهم ، بما كان فى هذه الكتب من التبويب الفقهى والترتيب الموضوعى والتدوين السليم للسنة النبوية مما جعل دراسة هذه المصنفات — فى بعض الأحيان — تحل محل الأسفار والرحلات العلمية التى كان يقوم بها الأئمة من قبل فقد وجد من بين علمـاء هذا القرن من اسـتطاع عن طريق دراسة مصنفات المتقدمين أن يتضلع فى العلم ، ويكون إماما حافظا فى الحديث دون أن يرحل مثل أبو يونس(١) الصفدى المتوفى عام ٣٤٧هـ ، وقد قام علماء القرن الرابع بتأليف كتب جديدة يقوم منهج التدوين فيها على الطرق الآتية :

١ — تخريج الأحاديث الصحيحة على غرار ما كان يصنع البخارى ومسلم .
٢ — طريقة المستدركات .
٣ — طريقة المستخرجات .

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ ص ١٦٤ ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ج ١ ص ٣٣٥ .

٤ ــ طريقة المعاجم .
٥ ــ التأليف على العلل .
٦ ــ التأليف على الأبواب .
٧ ــ شرح الأحاديث النبوية .

طريقة تخريج الصحيح

التزم بعض علمــاء القرن الرابع تخريج الأحاديث الصحيحة على نمط صنيع أهل القرن الثالث وإن لم يبلغوا فى ذلك شأن البخارى ومسلم فلم يصلوا إلى ما وصلا إليه فى شروطهما ، ومن هؤلاء :

ابن حبان البستى (٣٥٤) هـ

وهو الامام أبو حاتم محمد بن حبــان بن أحمد بن حبان بن معاذ ابن معبد أبو حاتم البستى التميمى ومن شيوخه : الحسين بن إدريس الهروى ، وأبو عبد الرحمن النسائى ، وأبو يعلى الموصلى ، وأبو بكر ابن خزيمة .

ومن تلاميذه : الحاكم أبو عبد الله ، ومنصور بن عبد الله الخالدى وغيرهما .

وكان ابن حبان رحالة زمانه ، التقى بكثير من الشيوخ ، ورحل إلى كثير من البلاد ، وكان ذا أفق علمى واسع ، قال الحاكم : « كان من أوعية العلم والفقه والحديث واللغة والوعظ من عقلاء الرجال » وكان إلى جانب ذلك عالما بالفلسفة والفلك والطب وغيرهما من العلوم ، قال أبو سعيد الادريسى « كان على قضاء سمرقند زمانا ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار عالما بالطب والنجوم وفنون العلم » وله مؤلفات كثيرة منها : « التاريخ » و « الضعفاء » و « فقه الناس » و « المسند الصحيح » ، وقد قسم مسنده على الأوامر والنــواهى والاخبار والاباحات وأفعال النبى ﷺ ونوع كل قسم إلى أنواع ، والكشف فيه

عشر ، لأنه لم يرتبــه على الأبواب ولا على المسانيد ، قام بترتيبه على الأبواب : علاء الدين على بن بلبان المتوفى سنة ٧٣٩ وسماه « الاحسان فى تقريب صحيح ابن حبان » .

المسند الصحيح لابن حبان :

يرى بعض الأئمة أن ابن حبان متساهل فى التصحيح ولكن تساهله أقل من تساهل الحاكم ، قال الحازمى : « ابن حبان أمكن فى الحديث من الحاكم » • ويظهر تساهل ابن حبان فى قاعدته التى قال فيها : العدل من لم يعرف فيه الجرح إذ التجريح ضد التعديل فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه • فابن حبان إذاً يحكم بالعدالة إذا انتفت جهالة العين ، وجهالة العين عنده ترفع برواية واحد مشهور ، وهذا الذى ذهب إليه ابن حبان يخالف ما عليه الجمهور ، فان جهالة العين عندهم لاتزول إلا برواية عدلين فصاعدا عن المجهول وتعيينهما له ومع ذلك فلا تثبت المجهول العدالة بروايتهما ، ولقد كان اطلاق اسم « الصحيح » على كتابه فيه تجوز •

ومن ســار على طريقة تخريج الصحيــح أيضا فى القرن الرابع الهجرى ه

قاسم بن اصبغ الأندلسى (٣٤٠)

وهو الامام قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف الأندلسى أبو محمد كان عالما بالسنة ورجالها عالما بالحديث والفقه والعربية .

ومن شيوخه : بقى بن مخلد ، وابن أبى الدنيــا ، وابن أبى خيثمة وغيرهم •

ومن تلاميذه : قاسم بن محمد تليمذه ، وعبد الله بن محمد الباجى وعبد الوارث ابن سليمان وغيرهم • ومن مؤلفاته : كتاب « الصحيح » و « بر الوالدين » ، و « المنتقى فى الآثار » و (الأنساب) .

أبو على ابن السكن (٣٥٣)

هو أبو على سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادى ، ولد سنة أربع وتسعين ومائتين ورحل إلى بلاد كثيرة ، وتضلع فى الحديث وعلومه .

ومن شيوخه : أبو القاسم البغوى ، ومحمد بن يوسف الفربرى ، وسعيد بن عبد العزيز الحلبى .

ومن تلاميذه : أبو عبد الله بن منده ، وعبد الغنى بن سعيد ، وعبد الله بن محمد ابن أسد القرطبى .

وأجل مصنفاته : كتاب « الصحيح المنتقى » ويسمى بالسنن الصحاح ، ألفه على طريقة الأبواب ، ودون فيه ما صح عنده من السنن مع حذف الأسانيد .

مقارنة بين جهود هؤلاء وجهود أهل القرن الثالث

سار هؤلاء الأئمة من أهل القرن الرابع فى درب بعض علماء القرن الثالث :

(ا) فالتزموا تخريج الأحاديث الصحيحة كالبخارى ومسلم ، ولكنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه البخارى ومسلم فى تمحيص الرجال وتثقيف الشروط : كاشتراط مسلم المعاصرة ، واشتراط البخارى اللقاء مع المعاصرة ، وتخريجهما لأهل الطبقة الأولى والثانية .

(ب) كان أهل القرن الثالث يدونون كتبهم من مروياتهم التى حفظوها عن شيوخهم أو من الكتب مع الرجوع إلى أصحابها ، أما فى هذا القرن فقد وجد العلماء فى الكتب المدونة فى القرن الثالث موضوع بحثهم ، والمادة العلمية التى صنفها السابقون . وبهذا تتضح لنا جهود علماء القرن الرابع وانها مدينة فى مناهجها للمتقدمين الذين مهدوا

الطريق ، ووضعوا الأصول ، ودونوا الصحيح فكان لهم تأثيرهم فى جهود المتأخرين بالنسبة للتدوين والصناعة الحديثية .

طريقة المستدركات

وتقوم طريقة المستدركات على جمع الأحاديث النبوية التى تكون على شرط أحد الأئمة ولم يخرجها فى كتابه ، فالشيخان مثلا لم يستوعبا الصحيح فى كتابيهما ، ولا التزماه ، وهناك من الأحاديث ما هو على شرطهما ، أو على شرط أحدهما ولم يخرجاها فى كتابيهما ، فيأتى صاحب المستدرك فيحصى هذه الأحاديث المتروكة ويذكرها فى كتابه . وذلك كما فعل « الحاكم أبو عبد الله النيسابورى » المتوفى سنة ٤٠٥هـ فألف كتابه المستدرك وأودع فيه من الأحاديث ما كان على شرط الشيخين أو شرط أحدهما ، ولم يخرجاه ، كما أودع فيه أيضا ما أداه اجتهاده إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما ، وربما أودع فيه ما لم يصح منبها على ذلك(١) . وما ورد فى مستدرك الحاكم على شرط الشيخين يشير إليه بقوله : « هذا الحديث على شرط الشيخين » وما ورد فيه على شرط أحدهما يشير إليه كذلك .

وإن كان من قبيل ما صححه هو فانه يشير إليه بقوله : هذا حديث صحيح الاسناد . وإما ما لم يصح فانه ينبه عليه .

وقد قام بتلخيص المستدرك الحافظ الذهبى المتوفى سنة٧٤٨هـ .

وقد اختلف العلماء فى الأحاديث التى انفرد الحاكم بتصحيحها : فمنهم من قام بقبول تصحيحه مطلقا .

ومنهم من قال : أنه متساهل ، وقال ابن الصلاح أنه : « واسع الخطو فى شرط الصحيح متساهل فى القضاء به ، فالأولى أن نتوسط فى أمره فنقول : ما حكم بصحته ولم نجد ذلك فيه لغيره من الأئمة ان لم

---

(١) تدريب الراوى ص ٥١ .

يكن من قبيل الصحيح فهو من قبيل الحسن ، يحتج ويعمل به إلا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه »(١) أهـ .

والذى أرجحه هو ما ذهب إليه بدر الدين بن جماعة : وهو أن ماانفرد بتصحيحه نتتبعه ونحكم عليه بمايليق به من الصحة أو الحسن أو الضعف . لما قيل فيه أنه متساهل فى التصحيح .

وممن ألف على هذه الطريقة : « أبو الحسن على بن عمر بن أحمد الدار قطنى » المتوفى سنة ٣٨٥هـ ألف كتابه « الالزامات » وجمع فيه من الأحاديث ما كان على شرط الشيخين ، وليس بمذكور فى كتابيهما وألزمهما ذكره ، وهذا غير لازم ، لأنهما لم يلتزما إخراج كل الصحيح كما سبق .

وأبو ذر الهروى عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى المتوفى سنة ٤٣٤هـ فقد ألف كتابه « المستدرك على الصحيحين » .

المقارنة بين هـذه الطريقة وبين جهـود علمـاء القرن الثـالث

١ ـ استفاد أصحاب طريقة المستدركات من شرط البخارى ومسلم فدونوا على أساسها ما تركاه ، لأنهما لم يلتزما تخريج كل الصحيح ، فكانت أعمالهم إذاً متممة لأعمال سابقيهم ، وليست مبتكرة ولاجديدة . نعم اجتهد بعضهم فى تصحيح بعض الأحاديث وإن لم تكن على شرط الشيخين أو أحدهما كالحاكم النيسابورى ، إلا أنه لم يبلغ شأنهما فى ذلك لما عرف عنه من التساهل فى التصحيح .

٢ ـ كان من بين علماء القرن الثالث من اشترط على نفسه إذا أورد حديثاً به وهن شديد أن يبينه كالإمام أبى داود السجستانى ، وقد تأثر بمثل ذلك بعض أصحاب هذه الطريقة ، كالحاكم حين يورد ما لم

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٩ .

يصح عنده ينبه عليه ، والتنبيه مزية : هي بيان درجة الحديث لمن ليس من أهل الشأن والخبرة ، كما أن التنبيه كذلك يرفع من قيمة الكتاب المصنف (فان ايراد الضعيف مع بيان حاله لا يقدح في الكتاب)(١) .

طريقة المستخرجات

يقوم منهج التأليف على هذه الطريقة بأن يأتى المصنف إلى كتاب من كتب الحديث كصحيح البخارى مثلا فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ، وشرطه : ألا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سندا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة . وممن ألف على هذه الطريقة :

الامام أبوبكر أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن العباس الاسماعيلى الجرجانى المتوفى سنة ٣٧١هـ ألف الصحيح المستخرج على صحيح البخارى .

الامام يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابورى الاسفرائينى المتوفى سنة ٣١٦هـ ألف الصحيح المسند المخرج على صحيح مسلم .

الامام أبو عبدالله محمد بن يعقوب بن يوسف الشيبانى النيسابورى المعروف بابن الأخرم المتوفى سنة ٣٤٤هـ ألف المستخرج على الصحيحين .

مقارنة بين جهود أصحاب هذه الطريقة وجهود علماء القرن الثالث

واضح أن معظم المستخرجات قامت على تخريج أحاديث الصحيحين البخارى ومسلم ، منهم من استخرج أحاديث صحيح البخارى ، ومنهم من استخرج أحاديث صحيح مسلم ، والبعض استخرج أحاديث الصحيحين ، وجهود صاحبى الصحيحين تذكر فتشكر ، فقد قمد كل

---

(١) حجة الله البالغة للدهلوى جـ ١ ص ١٠٦ .

واحد منهما القواعد ، واشترط الشروط ، ومن بين ما اشترطه الضبط والاتقان والسلامة من الشذوذ والعلة ، ومن بينها كذلك : المعاصرة ، وزاد البخارى اللقاء كما سبق بيـان ذلك ، وخرج البخارى أحاديث الطبقة الأولى ، ومسلم خرج أحاديث الأولى والثانية ملتزمين تخريج الصحيح فقط .

أما أصحاب المستخرجات : فقد قاموا بتخريج الأحاديث بأسانيد لأنفسهم من غير طريق صاحب الكتاب ولهذا فقد تأتى رواياتهم الجديدة بزيادات فى الأحاديث ليست موجودة فى الأصل . وقد تأتى كذلك مبينة ما إذا كان صاحب الأصل قد روى عمن اختلط قبـل اختلاطه أو بعده وقد تأتى رواية صاحب المستخرج « معينة » اسم الراوى إذا كان صاحب الأصل قد أهمل اسـمه وقد تأتى « مميزة » للراوى إذا كان صاحب الأصل ذكره ولم يميزه .

وقد تأتى رواية صاحب المستخرج « سالمة » من بعض العلل التى أعلت بها رواية الأصل ، أو تأتى « متمشية » مع قاعدة عربية خالف فيها صـاحب الأصل فيعرف بالاسـتخراج أن ما فى الأصل وهم من الرواة .

وكان من ثمرات هذه الطريقة كذلك : علو الاسناد ، وتقوية الحديث بكثرة طرقه ، وبهذه المقارنة يتضـح لنا أن المستخرجات اما أن تأتى بزيادة أو تأتى مبينة وموضحة فمنزلتها من الأصل منزلة المتمم لما سبق والموضح له .

طريقـــة المعاجـــم

ويقوم منهج التأليف على المعاجم بترتيب صاحب الكتاب للصحابة أو الشيوخ على حسب حروف المعجم [illegible] من رتب الأحاديث على حروف [illegible]

الامام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامى اللخمى الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠هـ ألف « المعجم الكبير » فجمع فيه مسانيد الصحابة مرتبين على حروف المعجم ما عدا القسم الثانى منه وهو قسم الأفعال فانه مرتب على المسانيد ذاكرا عقب كل حديث من أخرجه من الأئمة واسم الصحابى الذى خرج عنه(١) والمعجم الأوسط وقد رتب فيه شيوخه على حروف المعجم ، « والمعجم الصغير » وهو عن كل شيخ له حديث واحد والقارىء لهذه الكتب يدرك أنها متأثرة فى منوجها إلى حد كبير بطريقة التصنيف على المسانيد التى سلكها الامام أحمد بن حنبل وغيره فى القرن الثالث ، وبهذا يتضح أثر المتقدمين فى المتأخرين .

طريقة التصنيف على العلل

وهذه الطريقة تعتبر أدق الطرق فى التأليف ، ولا يقف عليها إلا من أوتى حظا وافرا من المعرفة التامة بالرواة ومراتبهم ، وفى هذه الطريقة يقوم المصنف بجمع طرق الحديث ، والنظر إلى الرواة ، حتى يتبين اختلاف ضبطهم واتقانهم ، فيستطيع معرفة الحديث المعلول فيحكم بعدم صحته ، أو التوقف فيه . فالعلة كما سبق بيانها فى الباب الثالث: هى سبب خفى غامض يقدح فى صحة الحديث . وممن ألف على هذه الطريقة من أهل القرن الرابع : الامام أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس التميمى الحنظلى الرازى المتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، ألف كتاب العلل ورتبه على أبواب الفقه والامام أبو الحسن الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥هـ .

التأليف على الأبواب

وقد ألف على هذه الطريقة الامام الدارقطنى ٣٨٥ كتابه « السنن » الذى جمع فيه بين الصحيح والحسن والضعيف ، بل والموضوع على

(١) الرسالة المستطرفة ص ١٨٣.

ندرة ، ودن بين الموضوعات ما نبه عليه الدارقطني منها ما لم ينبه عليه •

الشــرح

وقد عنى علماء القرن الرابع بشرح الأحاديث النبوية كالإمام أحمد ابن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ٣٨٨هـ ألف كتاب « معالم السنن » شرح سنن أبى داود ، وكتاب أعلام السنن شرح صحيح البخارى وهكذا •

المقــارنة

ونلاحظ على كل من الطريقتين : الخامسة (التصنيف على العلل) والسادسة (التصنيف على الأبواب) أن كلا منهما قد طرق التــأليف عليها علماء القرن الثالث ، وأنهم كانوا أكثر تصنيفا وأوسع باعا من أهل القرن الرابع الذين ساروا على نهجهم •

أما الطريقــة الأخيرة « الشرح » ففيها تتجلى عنــاية المتأخرين بمصنفات المتقدمين خاصــة أهل القرن الثــالث ، فتناولوا مصنفاتهم بالشرح والتحليل ، وقد خلفوا فى هذا المضمار من الكنوز والنفائس ما يشهد لهم بجهود مشكورة فى خدمة السنة النبوية ، حيث استنبطوا من مؤلفات أهل القرن الثالث ما تضمنته من أحكام وآداب وقواعد بلاغية ونحوية ، وكان للصحيحين من العناية الخاصــة ما يدل على منزلتهما السامية فى نفوس المتأخرين •

منهج التصنيف من القرن الخامس
إلى سقوط الخلافة العباسية

ومن القرن الخامس حتى نهاية الخلافة العباسية ، عندما سقطت بغداد في أيدى التتار على يد (هولاكو) سنة ٦٥٦هـ في هذه المرحلة إقتصرت أعمال العلماء على الجمع والترتيب أو التهذيب لكتب السابقين .

ويقوم منهج التصنيف في هذه المرحلة على تدوين ما تفرق في كتب الأولين بجمع ما اتفق عليه الشيخان ، أو التقريب والاختصار بحذف الأسانيد واقتصارهم أحيانا على المتون وأحيانا أخرى على بعضها أو اقتصارهم على جمع أحاديث الأحكام والترغيب والترهيب ومن هؤلاء :

١ — من قام بجمع أحاديث كل من صحيح البخاري وصحيح مسلم في مصنف واحد ، ومن قام بالتصنيف على هذه الطريقة : إسماعيل بن أحمد المعروف بابن الفرات المتوفى سنة ٤١٤هـ ، ومحمد بن نصر الحميدى الأندلسى المتوفى سنة ٤٨٨هـ ، وربما زاد زيادات ليست فيهما وحسين بن مسعود المتوفى سنة ٥١٦هـ .

٢ — ومنهم من قام بالجمع بين أحاديث الكتب الستة : الصحيحان ، وموطأ مالك ، وسنن النسائى وسنن أبى داود ، وجامع الترمذى ، وممن صنف على هذه الطريقة : أحمد بن رزين بن معاوية العبدى السرقسطى المتوفى سنة ٥٣٥هـ فى كتابه (تجريد الصحاح) .

٣ — ومنهم من جمع بين أحاديث من كتب مختلفة مثل : « مصابيح السنة » للامام حسين بن مسعود البغوى المتوفى سنة ٥١٦هـ جمع فيه ٤٤٨٤ حديثا من الأحاديث الصحاح ، وهى التى أخرجها الشيخان أو أحدهما ، والأحاديث الحسان وهى التى أخرجها أبو داود والترمذى

وغيرهما ، وما فيها من ضعف ولم يذكر المنكر ولا الموضوع : ومنها : « جامع المسانيد والألقاب » لأبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ جمع فيه بين الصحيحين ، ومسند أحمد ، وجامع الترمذى وقد رتبه أبو العباس أحمد ابن عبد الله المحب الطبرى المتوفى سنة ٩٦٤هـ ومنها : « بحر الأسانيد » للامام الحافظ الحسن بن أحمد السمرقندى المتوفى سنة ٤٩١ جمع فيه مائة ألف حديث .

٤ ـ ومنهم من دون أحاديث منتقاة فى الأحكام والمواعظ مثل كتاب « منتقى الأخبار فى الأحكام » للحافظ مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الحرانى المعروف بابن تيمية المتوفى سنة ٦٥٢هـ انتقاه من صحيحى البخارى ومسلم ومسند الامام أحمد وجامع الترمذى والسنن للنسائى وأبى داود وابن ماجه ، وشرحه محدث اليمن محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ فى كتابه « نيل الأوطار » ومثل كتاب « السنن الكبرى » للبيهقى أحمد بن حسين المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، وله أيضا كتاب « السنن الصغرى » ومثل كتاب « الأحكام الصغرى » للحافظ أبى محمد بن عبد الخالق الاشبيلى المعروف بابن الخراط المتوفى سنة ٦٠٠هـ جمع فيه أحاديث الأحكام التى اتفق عليها البخارى ومسلم ، ومثل كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦هـ .

٥ ـ ومنهم من صنف على طريقة الاطراف وهى أن يذكروا طرفا من الحديث يدل على بقيته ثم يجمعوا أسانيده إما على وجه الاستيعاب واما مقيدة بكتب مخصوصة مثل : اطراف الصحيحين للحافظ إبراهيم ابن محمد بن عبيد الدمشقى المتوفى سنة ٤٠٠هـ وأطراف الصحيحين لأبى محمد خلف بن محمد الواسطى المتوفى سنة ٤٠١هـ ومنها أطراف

السنن الأربعة لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١هـ رتبه على حروف المعجم وسماه « الاشراف على معرفة الأطراف » ومنها أطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧(١) .

المقارنة بين جهود علماء هذه المرحلة
وجهود أهل القرن الثالث الهجرى

وإذا أردنا أن نقارن بين جهود أصحاب هذه الطريقة وجهود علماء **القرن الثالث نرى أن أعمال** هذه المرحلة لا تتسم بشيء من الابتكار **مثلما اتسمت به أعمال** سابقيهم ، وانما سارت خطوات مشكورة في **التقريب والاختصار** ، وجمع ما تفرق في الكتب المصنفة السابقة ، **وأعمالهم في ذلك لاتتعدى المواد** العلمية المدونة في القرن الثالث وقد يكون **لسابقيهم من أهل** القرن الرابع بعض محاولات جديدة أضافوها إلى **أعمال سلفهم من محاولة** تخريج الصحيح على نمط ما صنع البخاري **ومسلم ، أو استدراكهم** لبعض أحاديث صحيحة لم يخرجاها ، أو **استخراجهم لبعض** الأحاديث بأسانيد لأنفسهم ، أما أصحاب هذه **المرحلة فلم تكن لهم أية** اضافات أو زيادات على ما كان موجودا قبلهم **سوى التقريب والاختصار والجمع .**

وليس معنى هذا ان أصحاب هذه الطريقة لم يكن لهم من جهد **مشكور في خدمة** السنة النبوية وتدوينها ، فاننا لا نغمط القوم ، وإنما نسجل هنا ما قام به علماء هذه المرحلة من انتقاء أحاديث الأحكام من **ألوف الأحاديث** النبوية وجمعها في مصنف واحد ، فسهلوا للباحثين الطريق ، كما مهدوا السبيل لدعاة الفضائل والآداب والموجهين والوعاظ

---

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٢٨٥ .

دون عناء أو مشقة ، كما قاموا بضم أحاديث الكتب المختلفة بعضها إلى بعض أو اختصارها . وفى كل ذلك تذليل للصعوبات أمام الباحثين فى السنة ومحاولة دراستها وتناولها من أقرب طريق .

منهج التصنيف فى الفترة ما بين نهاية الخلافة العباسية إلى عصرنا الحاضر

قبل منهج التصنيف فى هذه المرحلة نحب أن نجلى الموقف العلمى بكلمة يسيرة : فى هذه المرحلة ركدت الرحلات العلمية وانقطع الاتصال بين العلماء بعد أن كانت الأقطار الاسلامية حلقات متصلة ، متماسكة الجوانب ، وقد حدث هذا الانفصال بسبب ما قامت به أوربا من بث روح الفرقة والتفضاء على شوكة المسلمين ومكنهم من ذلك غفلة المسلمين واختلافهم حتى قضى على الخلافة العثمانية ، ولم يتجاوز المسلمون بلادهم ، فتوقفت الرحلات العلميـة ، ولم يعد بعد الرواية الشفاهية من ظهور فكانت «الاجازة والمكاتبة» إلا ماكان من بعض المخلصين لتراثهم الذين استعذبوا الكد والجد فى سبيل شريعتهم ، فقاموا برحلات كانوا يجلسون فيها للاملاء وإثراء الحركة العلمية ، والعمل على نهضة السنة النبوية ، ومن هؤلاء : الحافظ زين الدين العراقى ٨٠٦هـ ، وشهاب الدين ابن حجر ٨٥٢هـ فكانوا بوارق لامعة فى جو ملبد خانق ، فلم يقدر للاجازة والمكاتبة الذيوع ، وانما عكف العلماء على كتب الأولين اختصارا وتخريجا وشرحا ، وعندما دالت دولة المماليك غربت معها الجهود لتبزغ فى الهند والحجاز حيث وجدت صدورا أرحب ، وآفاقا أوسع .

وأما عن المناهج التى سارت عليها جهودهم العلمية ، فان الناظر إلى أعمال العلماء آنئذ يجد أنها كانت مقتصرة على دراسة كتب السابقين ، انتقاء وترتيبا وتخريجا وتهذيبا ، ومن أنواع الكتب المصنفة فى هذه المرحلة :

١ ـ كتب الزوائد : وفيها يقوم العلماء باخراج الأحاديث الزائدة في كتاب على آخر وتدوينها في مصنفات خاصة لهم ، وذلك لأن كتب المتقدمين كانت تتفاوت من حيث ما تحتوى عليه قلة وكثرة ، فنبض علماء هذه المرحلة بتمييز الأحاديث الزائدة في مصنف على آخر ومن هذه الكتب كتاب : « اتحاف المهرة بزوائد العشرة » أي على الكتب الستة ، والمسانيد العشرة هي : مسند أبي الوليد الطيالسي ، والحميدي ومسدد وابن أبي عمر ، وابن راهويه ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وأحمد ابن منيع ، وعبد بن حميد ، والحارث بن محمد بن أبي أسامة ، وأبي يعلى الموصلي ومنها كتاب « زوائد مسند أحمد على الكتب الستة » .

٢ ـ كتب الجوامع العامة : وفيها جمع العلماء بين جملة من الكتب في مؤلف واحد ككتاب جامع المسانيد والسنن لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ جمع فيه بين الكتب الستة ومسانيد أحمد والبزار وأبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني ، ومنها « جمع الجوامع » للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وكان يقصد جمع السنن بأسرها ، وذلك غير ممكن .

٣ ـ كتب جامعة لأحاديث الأحكام : ككتاب « الالمام في أحاديث الأحكام » لابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ جمع فيه المتون دون أسانيدها ، وكتاب «بلوغ المرام من أحاديث الأحكام» لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ واشتمل على ألف وأربعمائة حديث في الأحكام .

٤ ـ تخريج الأحاديث المذكورة في مصنفات العلوم المختلفة ، وهذه الأحاديث أوردها بعض المصنفين في العلوم المختلفة كالفقه وأصوله والتفسير وشرح الأحاديث والعقائد واللغة وجاءوا بها للاستدلال أو الاستشهاد ، دون بيان لدرجتها من الصحة أو الضعف ، فتصدى بعض الحفاظ لتخريجها ، وبينوا مواضعها وجمعوا ذلك في كتاب على حدة

« تخريج أحاديث تفسير الكشاف » للحافظ جمال الدين الزيلعي المتوفى سنة ٧٦٢هـ « تحفة الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي » للشيخ عبد الرؤوف المناوي والشيخ محمد همات زادة المتوفى سنة ١١٧٥هـ .

٥ ـ تخريج الأحاديث المشتهرة على الألسنة : وهذا النوع من الأحاديث دار على ألسنة كثير من الناس كحكمة أو مثل ، وراج بين عامتهم ، ومنه الصحيح ومنه الضعيف ومنه الموضوع ومنه الحكمة ومنه المثل ، فانبرى بعض العلماء ليطلعوا المسلمين على حقيقة الأمر فألفوا كتبا في هذا النوع ككتاب « المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » للحافظ السخاوي . وكتاب « كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس » للحافظ اسماعيل ابن محمد العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢هـ .

٦ ـ كتب الأطراف : وفيها يذكر طرف من الحديث يدل على بقيته ككتاب « أطراف مسند الامام أحمد » و « أطراف مسند الفردوس » لابن حجر و « أطراف صحيح ابن حبان » للعراقي .

هذه هي مناهجهم في هذا الدور ، وهناك غير ذلك بعض الشروح والمختصرات .

المقارنة بين جهود علماء هذه الرحلة وجهود علماء القرن الثالث الهجري

واضح من عرض هذه النماذج لجهود علماء هذه المرحلة أنها كانت قائمة على الترتيب والتهذيب والانتقاء والتخريج ، وإنها كمصنفات المرحلة السابقة أفادت من كتب المتقدمين وظهر أثرهم واضحا في مناهج أصحاب هذه المرحلة ، وهي وإن لم تتسم بالابتكار إلا أنها كانت محاولات مخلصة وأمينة بذلوها على طول الطريق مستهدفين جمع

ما احتوته مصنفات المتقدمين واستيعابه ، بل أن بعضهم كالسيوطي استهدف جمع السنة بأسرها ، وهذا وإن لم يكن ممكنا إلا أنه كان محاولة ناجحة لتدوين أكبر عدد ممكن من الأحاديث .

كما أنهم تناولوا مصنفات سلفهم بالفحص والدراسة ، ومعرفة الزائد على غيره وجمع أحاديث الأحكام لتسهيل مهمة الفقه الاسلامى واستخراج ما فى السنة من كنوز ونفائس . كما دفعهم ولاؤهم وحبهم للسنة أن أخلصوا العمل ، وسهروا الليالى فى سبيل بيان درجة كثير من الأحاديث المتناثرة فى كتب العلوم المختلفة والأحاديث الدائرة على كثير من الألسنة فتناولوها بالتخريج رغبة منهم فى توضيح حالها للمسلمين حتى يقفوا على حقيقة أمرها ويتميز للناس الصحيح منها من السقيم .

علوم السنة

سبقت الاشارة إلى ما صنف من كتب فى علوم السنة بالنسبة للقرن الثالث الهجرى وان علماء هذا القرن صنفوا فى الجرح والتعديل ، ومعرفة الصحابة ، وتاريخ الرواة ، ومعرفة الأسماء والكنى والألقاب ، وتأويل مشكل الحديث ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، ومعرفة غريب الحديث ومعرفة علل الحديث . وكانت مؤلفات القرن الثالث فى علم مصطلح الحديث غير مستقلة ، وإنما تابعة لمؤلفات كبيرة كالامام مسلم فى مقدمة صحيحه ، والإمام الترمذى فى خاتمة جامعه ، وهكذا .

وأما استقلال هذا العلم والتصنيف فى جميع بحوثه فلم يكن إلا فى القرن الرابع على يدى الرامهرمزى ٣٦٠هـ .

وإذا ألقينا النظر على مؤلفات علوم السنة من لدن القرن الرابع إلى آخر العصور المتأخرة نرى أنها لم تبلغ نضجها وتمامها فى التصنيف إلا بعد القرن الثالث ، بخلاف المصنفات الأخرى فى علم الحديث رواية

فانها وصلت إلى مرحلة التمام والنضج في القرن الثالث ، ولم يكن أعمال العلماء بعد هذا إلا جمعا وترتيبا وتهذيبا .

وفي رأيي أن هذا راجع إلى سببين :

الأول : أن علماء القرن الثالث حملوا على عاتقهم مهمة جليلة وشاقة ، وهي تدوين السنة النبوية وتصنيفها ، فعنى بعضهم بتخليصها من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وعنى الآخرون بتخليص الصحيح من غيره وتمييزه منه وهكذا . وفي سبيل هذا العمل المضني عاشوا للسنة حراسا ساهرين ، لا ينطبق له جفن ولا تلين لهم عزيمة ، وجابوا الأقطار الاسلامية ، وقطعوا المفاوز النائية ، بل ان بعضهم ربما رحل الرحلات الطويلة لسماع حديث واحد ، فانشغالهم بهذا العمل الضخم لم يكن ليمكن لهم من طول البحث أو كثرة التصنيف في علوم السنة خاصة وانهم ليسوا في حاجة كبيرة إلى مثل هذه التصانيف لأنهم حملوا مقاييسهم وشروطهم في السند والمتن وعلى ضوئها دونوا ما دونوا مشافهة .

والثاني : ان علماء القرن الرابع لم ينشغلوا بمثل ما انشغل به أهل القرن الثالث الذين كفوهم عناء البحث فوجودا في مصنفاتهم ما يريدون .

ثم ان الرواية الشفاهية في عهدهم فترت والرحلات العلمية قلت ، فكان لديهم نوع من الاستقرار دعاهم لأن يتموا ما بدأه سلفهم بالنسبة لعلوم السنة ، فتوفر لهم الوقت وانارت لهم السبيل بعض بواكير سلفهم من أهل القرن الثالث فأخذوا في استكمال هذه العلوم حتى بلغت نضجها وكمالها .

وإذا تتبعنا مراحل التصنيف في هذه العلوم نرى أنها تمت ونضجت بعد القرن الثالث .

أولا : بالنسبة « للجرح والتعديل » صنف فيه ابن أبى حاتم ٣٢٧ وأحمد بن نصر البغدادى ٣٢٣هـ ، وابن منده ٣٩٥هـ ، وهؤلاء من أهل القرن الرابع ، كما صنف فيه من أهل القرن الخامس : أبو بكر البرقانى ٤٢٥هـ وأبو الفضل الفلكى ٤٣٨هـ ، وأبو الوليد الباجى ٤٧٤هـ ، وأبو عبد الله الحميدى ٤٨٨هـ ، ومن أهل القرن السادس : ابن طاهر المقدسى ٥٠٧ ، وأبو موسى المدينى ٥٨١ ، وأبو القاسم بن عساكر ٥٢٣ ، وأبو بكر الحازمى ٥٨٤ ، وعبد الغنى المقدسى ٦٠٠ ، ومن أهل القرن السابع : ابن الصلاح ٦٤٢ ، والحافظ المنذرى ٦٥٦هـ ، وأبو شامة ٦٢٥ ، وابن دقيق العيد ٧٠٢ ، ومن أهل القرن الثامن : ابن تيمية ٧٢٨ ، والحافظ المزى ٧٤٢هـ وابن سيد الناس ٧٣٤هـ والعراقى ٨٠٦ وابن حجر ٨٥٢ . وهكذا ظهر فى كل عصر من الأئمة الأعلام من وزنوا الرواة بميزان العدل ، ومنهم من تكلم على الضعفاء ومنهم من اقتصر على الثقات ومنهم من جمع بين النوعين .

ثانيا : بالنسبة لمعرفة الصحابة : وهو فن رفيع من الفنون الحديثة يعرف به الاتصال والارسال ألف فيه أبو موسى المدينى ، وابن عبد البر وكتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » يعتبر من أحسن المؤلفات فى هذا الفن ، و « أسد الغابة » لابن الأثير ٦٣٠هـ ، واختصره الحافظ الذهبى ٧٤٨ فى كتابه « التجريد » وابن حجر العسقلانى ٨٥٢ ألف كتابه « الاصابة فى معرفة الصحابة » .

ثالثا : علم تاريخ الرواة : ويبحث فى تاريخ كل راو ورحلاته وتاريخ مولده ، ووفاته وأغلب أحواله التى لها دخل فى تعديله أو تجريحه ، ومن ثمرات هذا العلم :

(أ) معرفة السابق واللاحق من الأحاديث ، وبذلك يمكن الوقوف على الناسخ والمنسوخ فلا يكون هناك تعارض .

(ب) معرفة ما يقبل من أحاديث الثقات قبل اختلاطهم

(جـ) معرفة الموضوع من الأحاديث وذلك عن طريق معرفة ما إذا كان البعض لم يلتق بمن حدث عنه ، ومن المصنفات فى ذلك «الوفيات»

لعبد الله ابن أحمد بن ربيعة الربعي الدمشقي ٢٧٣ ، ومن العلماء من ألف في رجال الصحيحين ، كابن طاهر المقدسي ٥٠٧ ، ومنهم من ألف في رجال السنن الأربع كأحمد بن أحمد الكردي ٧٦٣ ، « تهذيب التهذيب » وتقريب التهذيب لابن حجر ٨٥٢ .

رابعا : معرفة الأسماء والكنى والألقاب : ومن الكتب المصنفة في ذلك كتاب « المنى في الكنى » للسيوطي ، وكتاب « الأسماء والألقاب » لابن الجوزي ٥٩٧ .

ومن هذه الأنواع كتب مؤلفة في المتفق والمفترق للخطيب البغدادي وكتب في المؤتلف والمختلف للدارقطني .

خامسا : تأويل مشكل الحديث ألف فيه ابن الجوزي ٥٩٧هـ كتابا سماه : « التحقيق في أحاديث الخلاف » .

سادسا : الناسخ والمنسوخ : وممن ألف فيه أبو بكر زين الدين محمد بن أبي عثمان الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ وسمى كتابه « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار » .

سابعا : معرفة غريب الحديث ، وممن ألف فيه أبو سليمان الخطابي ٣٧٨هـ ، وجار الله أبو القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ، وابن الجوزي ، وابن الأثير ٦٠٦هـ وسمى كتابه : « النهاية في غريب الحديث والأثر » ولخصه السيوطي المتوفى سنة ٩١١ في كتاب سماه « الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير » .

ثامنا : معرفة علل الحديث ، ألف فيه الدارقطني وابن حجر ، واسم كتابه « الزهر المطلول في الخبر المعلول » .

تاسعا : الموضوعات ، ألف فيه بعض العلماء كتبا حصرت الأحاديث المكذوبة ، ومنها « تذكرة الموضوعات » لابن طاهر المقدسي و« الموضوعات الكبرى » لابن الجوزي و« اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة » للسيوطي و« تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين » لمحمد البشير ظافر أبي عبد الله المالكي المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ .

هذه نبذة عن بعض أنواع هذه العلوم ، وهى كثيرة لا تحصى ، وكما قال الحازمى : « علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة ، كل نوع منها علم مستقل ، ولو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته ، وقد ذكر ابن الصلاح منها خمسة وستين »(١) أهـ .

وقد سبق الكلام عن تاريخ نشأة هذا العلم ، وأن أول من صنف فيه القاضى ابو محمد الحسين بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠هـ فى كتابه « المحدث الفاصل بين الراوى والسامع » نعم كانت هنـاك مصنفات قبله ، ولكنهـا كانت فى بعض الفنون ، أما كتـاب الرامهرمزى فيعتبر أعظم ما ألف فى زمانه جمعاً لأنواع هذا العلم ، وان لم يستوعب جميع المسائل . ثم تتابع التأليف بعد ذلك ، فظهرت الكتب الكثيرة والمنظومات والمختصرات .

---

(١) تدريب الراوي ص 14 .

أثر رواية الحديث
في رواية العلوم الأخرى

لم يعن العرب قبل الإسلام بالرواية وتمحيص الرويات ، لأن مروياتهم لم يكن لها من القداسة مايدعو إلى ذلك ، ففيها الأساطير والأحاديث المختلقة .

أما الرواية فى الاسلام ، وفى الحديث خاصة فقد شدد العلماء فيها وتحدوا لها القواعد ، وصاغوا لها الشروط . وأصلوا لها الاصول بعناية فائقة تعتبر أدق ما وصل إليه النقد فى القديم والحديث وكان من مميزات الرواية فى الاسلام وخصائصها الاسناد الصحيح المتصل برواية العدول الضابطين .

ولقد ظل العلماء يتحرون الدقة ، ويعنون بالتثبت من الأخبار ونقدها سندا ومتنا ، ونظروا للاسناد على أنه من الدين ، قال عبد الله ابن المبارك (الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء »[1] . وقال صالح ابن أحمد الحافظ : « سمعت أبا بكر محمد ابن أحمد يقول » (بلغنى أن الله حفظ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الاسناد والأنساب ، والاعراب) ويقول محمد بن حاتم بن المظفر : « ان الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالاسناد ، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم اسناد وإنما هى صحف فى أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم وليس عندهم تمييز بين ما ألحقوه من الأخبار التى أخذوا عن غير الثقات ، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف فى زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والاضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان اقل مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر حتى يهذبوه من الغلط »[2] .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٧٩ مخطوط بدار الكتب المصرية .

ومما سبق يتضح أن الاسناد من خصائص هذه الأمة ، وقد رغب كثير من الأئمة الحفاظ فى الرحلة إلى الأقطار الاسلامية طلبا لعلو الاسناد قال الامام أحمد بن حنبل « الاسناد العالى سنة عمن سلف »(١) .

وللرواية فى الاسلام أثرها الكبير فى العلوم الأخرى :

فقد تأثر بعلماء الحديث ومناهجهم وأسانيدهم كثير من العلماء فى كثير من علوم اللغة والآداب والتاريخ والسير ، وقلدوا أئمة السنة فيما يأتى :

١ ـ كانوا يذكرون السند ، فمثلا يقول(٢) ثعلب فى أماليه : «حدثنى أبو بكر بن الأنبارى عن أبى العباس عن ابن الاعرابى ، قال : يقال : لحن الرجل يلحن لحنا فهو لاحن إذا أخطأ ، ولحن يلحن فهو لحن إذا أصاب وفطن » .

٢ ـ سار كثير من علماء اللغة على نمط علماء الحديث فى ترتيب كلمات اللغة وأطلقوا اصطلاحات يظهر فيها التأثر الكثير باصطلاحات الحديث ، قالوا : فصيح وأفصح وجيد وأجود ، وقالوا أيضا : ضعيف ومنكر ومتروك ، كما صنع رجال الحديث فى قولهم مثلا صحيح وحسن وضعيف وقالوا : أوفى بالعهد أفصح من وفى بالعهد لأن الأولى لغة القرآن .

٣ ـ قاموا بتجريح بعض الرواة وتعديلهم شأنهم فى ذلك شأن علماء السنة فعدلوا الخليل بن أحمد وأبا عمرو بن العلاء ، وجرحوا قطربا .

٤ ـ كانت لهم محاولات فى تدوين الكلمات ، وكانت لهم طريقتان الأولى دونوا فيها الكلمات حسبما اتفق دون ترتيب والثانية : وضعوا الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد كما وضع المحدثون بالنسبة لمرحلة التدوين على المسانيد وعلى الأبواب .

---

(١) الباعث الحثيث لابن كثير ص ١٦٠ .
(٢) ضحى الاسلام : احمد امين ج ٢ ص ٢٥٨ .

٥ — يظهر للناظر فى كتب تراجم الأدب سيمة المحدثين واضحة ككتاب الأغانى فاننا نراه يسير على غرار اسناد المحدثين ، كقوله مثلا : أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبى عبيدة ، قال : بلغنى أن هذا البيت فى التوراة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

وكانت المؤلفات فى تراجم الشعراء وطبقاتهم على نمط طبقات المحدثين كما صنع ابن سلام حيث وضع طبقات الشعراء ، وابن قتيبة ، كل ذلك على نمط صنيع المحدثين .

المقارنة بين رواية الحديث ورواية العلوم الأخرى

لم تبلغ الرواية فى العلوم الأخرى شأن ما بلغته رواية الحديث ، ولم تلق من العناية ما لقيته لدى المحدثين من دقة النقد وتمحيص المرويات ولم يتمسك رواة العلوم الأخرى بالاسناد طويلا كما تمسك به المحدثون ، فلم نر لعلماء اللغة مثلا معجما مسندا كما هو الشأن فى صحيحى البخارى ومسلم ، بل ان ما جمعه علماء اللغة لم يكن كله فى درجة واحدة من الثقة والصحة ، فقد تسلل إليه الوضع والفساد ، وحامت حوله الشكوك والشبهات ويرجع ذلك إلى أسباب يمكن اجمالها فيما يأتى :

(ا) أن سائر العلوم واللغات فيما سوى القرآن الكريم والسنة النبوية لم تتمتع بالقداسة والاكبار كما هو الشأن فى هذين الأصلين الشريفين .

(ب) ان الألفاظ اللغوية لا تقع تحت حصر ، فلو حاول العلماء تدوين كل كلمة وكل اشتقاق عن طريق الاسناد لوصل بهم الأمر مدى لا يحصى .

(جـ) ان بعض علماء اللغة لم يكونوا على جانب كبير من الثقة فيما يدونونه كما هو الحال بالنسبة للمحدثين .

(د) اخذ بعض علماء اللغة عن الكتب والصحائف في العصور الأولى ولم تكن يومئذ منقوطة ولا مشكولة ، الا ما كان في القرآن الكريم فقط وهكذا نرى أن هذه المحاولات إنما كانت خطوات عابرة وأمثلة قاصرة ولم يبلغ هؤلاء ولاغيرهم من المؤرخين وكتاب السير شأن المحدثين لأن النظرة عند كل منهم مختلفة ، فالمحدثون نظروا على أنه دين وتشريع له قداسته وصيانته واحترامه ، أما كتاب التاريخ والأدب واللغة فلم تصل نظرتهم فيما دونوه إلى ما وصلت إليه نظرة أهل الحديث .

ويتضح لنا الفرق بين النظرتين بما صنعه ابن جرير الطبري في كتابه التفسير حيث تحرى الدقة في الرواية أكثر مما صنع في كتابه التاريخ وهذا راجع إلى تباين النظرتين .

وصلى الله على صاحب السنة المطهرة
وعلى آله وصحبه و